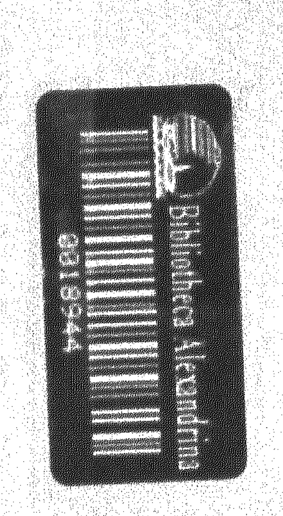

Bibliotheca Alexandrina

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
دار الكتب



تأليف

أبى الفرج الأصفهانى

الجزء السادس عشر

تحقيق

مصطفى السقا

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء السادس عشر

من كتاب الأغانى

أخبار شارية

نسبها وتعلمها الغناء

٥ قال أبو الفرج علىّ بن الحسين :

كانت شارية مولدة من مولدات البصرة ، يقال إن أباها كان رجلا من بنى سامةَ بن لؤىّ المعروفين ببنى ناجيــة[1] ، وأنه جحدها ، وكانت أمها أَمَةً ، فدخلت فى الرق . وقيل بل سُرقت فبيعت ، فاشترتها امرأة من بنى هاشم ، فأدّبتها ، وعلمتها الغناء ، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدى ، فأخذت غناءها[2] كله أو أكثره عنه ، و بذلك يحتج ١٠ من يقدّمها على عَريب ، و يقول : إن إبراهيم خرّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء

(١) سامة بن لؤى بن غالب : أخو كعب الجد السادس للنبى صلى الله عليه وسلم . واختلف فيه : فقال أبو الفــرج الأصبهانى : إن قريشا تدفع بنى سامة ، وتنسبهم إلى أمهم ناجية . وقال الهمدانى : يقول الناس : بنو سامة ، ولم يعقب ذكرا ، إنما هم أولاد بنته ، وكذلك قال عمر وعلى ، ولم يفرضا لهم ، وهم ممن حرم . وقال ابن الكلبى والزبير بن بكار : فولد سامة بن لؤى الحارث وغالبا (انظر تاج العروس ١٥ للزبيدى فى : سوم) .

(٢) كذا فى ف ، وفى بقية الأصول : غناءه .

لنفسه، وبمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبى[(١)] لم يكن يقارب إبراهيم فى العلم، ولا يقاس به فى بعضه[(٢)]، فضلا عن سائره .

ابن المعتز يؤلف عنها

أخبرنى بخبرها محمد بن إبراهيم قُرَيص[(٣)] :

أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذى ألفه فى أخبارها، وقال له أن يرويه عنه، فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطى فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره فى الكتب، وسمعته أنا ممن رويته عنه .

بيعها

قال ابن المعتز : حدثنى عيسى بن هارون المنصورى :

أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية، من ولد جعفر بن سليمان . فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فأعطى بها ثلثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها . فجىء بها إلى إبراهيم بن المهدى، فعرضت عليه، فساوم بها . فقالت له مولاتها : قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار، وأنت أيها الأمير، أعزك الله، بها أحق . فقال : زنوا لها ما قالت . فوُزن لها، ثم دعا بقيِّمته، فقال : خذى هذه الجارية ولا ترينّها[(٤)] سنة، وقولى للجوارى يطرحن عليها،

---

(١) كذا فى ف، مب، ونهاية الأرب (٥ : ٩٦) وهو عبد الله بن إسماعيل المراكبى، مولى عريب، ومخرجها فى الغناء . وفى بقية الأصول : المرادى، تحريف .

(٢) كذا فى ف . وفى أ، م : ولا يقاس فى بعضه . وفى ج : ولا يقاس بعضها بعضه .

(٣) هو قريص المغنى، قال ابن النديم فى الفهرست (مصر ٢٢٢) : قريص الجراحى، كان فى جملة أبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح، واسمه ... ... من حذاق المغنين وعلمائهم» وقريص : بصاد مهملة كما فى ف وبعض النسخ، لا بالضاد كما فى بعض آخر؛ يؤيد ذلك الجناس فى بيت جحظة البرمكى، من أبيات يهجوه بها :

أكلنا قريصا وغنى قريص * فبتنا على شرف الفالج

توفى قريص سنة أربع وعشرين، وفيها مات جحظة» . انظر الفهرست لابن النديم .

(٤) فى نهاية الأرب (٥ : ٧٩) : تربيها .

فلما كان بعد سنة أخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها . فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى فدعاه، وأراه إياها، وأسمعه غناءها . وقال : هـذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهى رخيصة بها .

قال له إبراهيم : أتعرفها؟ قال: لا. قال : هذه الجارية التى عَرَضْتُها عليك الهاشمية

٥ بثلثمائة دينار، فلم تقبل . فبقى إسحاق متحيرا، يعجب من حالها وما انقلبت إليه .

وقال ابن المعتز : حدثنى الهشامى[1] عن محمد بن راشد : أن شارية كانت مولدة البصرة ، وكانت لها أمّ خبيثة منكرة، تدّعى أنها بنت محمد بن زيد، من بنى سامة ابن لؤى .

قال ابن المعتز : وحدثنى غيره ، أنها كانت تدعى أنها من بنى زُهْرة .

١٠ قال الهشامى: فجىء بها إلى بغداد، وعُرِضت على إبراهيم بن المهدى، فأعجب بها إعجابا شديدا، فلم يزل يعطى بها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم . فقال لى هبة الله ابن إبراهيم بن المهدى : إنه لم يكن عند أبى درهم ولا دانق، فقال لى : ويحك ! قد أعجبتنى والله هذه الجارية إعجابا شديدا، وليس عندنا شىء . فقلت له : نبيع ما نملكه حتى الخزف، ونجمع ثمنها . فقال لى: قد فكرت[2] فى شىء؛ اذهب إلى علىّ بن هشام،

١٥ فأقرئه منى السلام، وقل له : جعلنى الله فداءك ! قد عرضت علىّ جارية قد أخذت بمجامع قلبى، وليس عندى ثمنها، فأحب أن تقرضنى عشرة آلاف درهم . فقلت له : إن ثمنها ثمانيـة آلاف درهم ، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم ، لا بدّ أن نكسوها ، ونقيم لها ما تحتاج إليه .

١١٠ / ١٤

(١) كذا فى ف ، ح . وفى بقية الأصول : الهاشمى ، تحريف .

٢٠ (٢) كذا فى ف . وفى بعض الأصول : تذكرت، وفى بعضها : تفكرت .

فصرت إلى علىّ بن هشام ، فأبلغته الرسالة ، فدعا بوكيل له ، وقال له : ادفع إلى خادمه عشرين ألفا ، وقل له : أنا لا أصلك ، ولكن هى لك حلال فى الدنيا والآخرة (١). قال : فصرت إلى أبى بالدراهم ، فلو طلعتُ عليه بالخلافة ، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم .

خبث أمها

وكانت أمها خبيثة ، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهى ، ذهبت إلى عبد الوهاب بن علىّ ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم ، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

قال ابن المعتز : وأخبرنى عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب ، قال : ذكر يوسف بن إبراهيم المصرىّ ، صاحب إبراهيم بن المهدى :

أن إبراهيم وجّه به إلى عبد الوهاب بن على ، فى حاجة كانت له ، [قال] (٢) : فلقيته وانصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتنى امرأة . فلما نظرت فى وجهى سترت وجهها . فأخبرنى شاكرى (٣) أن المرأة هى أم شارية ، جارية إبراهيم . فبادرت إلى إبراهيم ، وقلت له : أدرك ، فإنى رأيت أم شارية فى دار عبد الوهاب ، وهى من تعلم ، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها . فقال لى فى جواب ذلك : أشهدك أن جاريتى شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدى ، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك (٤) . وأمرنى بالركوب إلى دار ابن أبى دُواد ، وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدّلين عنده ، فأحضرته أكثر من عشرين شاهدا . وأمر بإخراج شارية ،

(١) كذا فى الأصول ونهاية الأرب (٥ : ٨٠) ولعله يريد ليست هى بقرض ولا صدقة ، ولكنها هبة . (٢) قال : عن نهاية الأرب . (٣) الشاكرىّ : أحد الجنود الشاكرية ؛ من جند الخلفاء العباسيين . انظر رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة للجاحظ ص ١٨ .

(٤) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : ثم أشهد الله أنه على مثل ما أشهدنى عليه .

فخرجت، فقال لها: اسفرى، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت. فقال لها: تسمّى. فقالت: أنا شارية أمتك. فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإنى أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأنى قد تزوّجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. ياشارية مولاة إبراهيم بن المهدى، أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدى قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم به علىّ. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطيّبهم وانصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبى دُواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علىّ، فأقرأ عمه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترَض علىّ طاعتك، وصيانتك عن كل ما يُعرك[(1)]، إذ كنتَ عمى، وصنو أبى، وقد رفعتْ إلىّ امرأة من قريش قصة، ذكرت فيها أنها من بنى زُهرة صَلِيبة[(2)]، وأنها أم شارية، واحتجت بأنه لاتكون بنت امرأة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة فى أن شارية بنتها، وأنها من بنى زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك، وسترها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ من جعلتَها عنده بإطلاقها، وكان فى ذلك الحظ لك فى دينك ومروءتك؛ وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى منزلك، وقد زال عنك القول

---

(١) كذا فى ف. وفى بعض الأصول: يضرك. وفى نهاية الأرب للنويرى (٥ : ٨١): يسوءك.

(٢) صليبة: بتقديم الياء المثناة على الباء، كذا فى ف، أ. وفى ترجمة أبى تمام (الأغانى طبعة الساسى ١٥ : ٩٦). وكذلك جاءت فى أخبار أبى تمام للصولى (ص ٥٩ طبعة لجنة التأليف والترجمة). وهى منصوبة إما على أنها صفة لمحذوف، أى نسبة صليبة، وهى الخالصة. قال فى أساس البلاغة: عربى صليب: خالص النسب، وامرأة صليبة: كريمة المنصب عريقة. وإما على أنها حال من بنى زهرة، وهم فرع من قريش. وفى ج، م، سـ، ب: صلبية، بتقديم الموحدة على المثناة، نسبة إلى الصلب. يريد أن آباءها من بنى زهرة أنفسهم، وليست مولاة لهم، فكلا اللفظين إذن صحيح.

الذى لا يليق بك ولا يحسن . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هب شارية بنت زُهْرة بن كلاب ، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلالها ؟ فقال عبد الوهاب : لا . فقال إبراهيم : فأبلغ أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه السلامة ، وأخبره أن شارية حرة ، وأنى قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول .

١١١
١٤

وقد كان الشهود بعد منصرَفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبى دُواد ، فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه ، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية ، وتزوّج إبراهيم إياها . فركب إلى المعتصم ، فحدّثه بالحديث معجّبا له منه . فقال : ضلّ سَعْى عبد الوهاب . ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلما رآه يمشى فى صحن الدار ، سدّ المعتصم أنف نفسه ، وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشم رائحة صوف مُحَرَّق ، وأحسب أن عمى لم يقنعه ردّك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها ، فشمِمتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح .

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية ، بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها وهى فى ملك غيره ، ثم ابتاعها من ميمونة ، فحل له فرجُها ، فكان يطؤها على أنها أمته ، وهى تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة . فلما توفى طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته فى الثُّمن ، فأظهرت خبرها . وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن الخبر ، فأخبرا به المعتصم . فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار ، فحوّلت إلى داره ، فكانت فى ملكه حتى تُوفِّى .

قال ابن المعتز : وقد قيل إن المعتصم ابتاعها بثلثمائة ألف درهم .

قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته ، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فرباها تربية الولد ، حتى لقد ذكرت

أنها كانت فى حجره جالسة ، وقد أعجب بصوت أخذته منه ، إذ طُمِثت أوّل طمثها ، فأحس بذلك ، فدعا قَيِّمة له ، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام ، فلفه عليها ، فقال : آحمليها ، فقد آقشعرّت ، وأحسِب برد الحُشّ(١) قد آذاها .

حسن وجهها وغنائها

قال : وحدّثت شارية أنها كانت معه فى حَرَّاقة قد توسط بها دجلة ، فى ليلة مقمرة ، وهى تغنى إذ آندفعت فغنت :

٥

لقـد حثوا الجمال ليهـ * ـربوا منـا فـلم يئـلوا

فقام إليها ، فأمسك فاها ، وقال : أنت والله أحسن من الغريض وجها وغناء ، فما يؤمننى عليك ؟ أمسكى .

قال : وحدّث حمدون بن إسماعيل : أنه دخل على إبراهيم يوما ، فقال له : أتحب أن أسمعك شيئا لم تسمعه قط ؟ قال : نعم . فقال : هاتوا شارية ، فخرجت ، فأمرها أن تغنى لحن إسحاق :

١٠

* هـل بالديار التى حَيَّيْتَها أحد؟ *

قال حمدون : فغنتنى شيئا لم أسمع مثله قَطُّ ، فقلت : لا والله ياسيدى ما سمعت هكذا . فقال : أتحب أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لايكون . فقال : بلى والله تقر بذاك . فقلت : على آسم الله . فغناه هو ، فرأيت فضلا عجيبا . فقلت : ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل . قال : أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذى لا يكون . فقال : بلى والله . فقلت : فهات . قال : بحياتى يا شارية ، قوليه وأَحيلى(٢) حلقك فيه . فسمعت والله فضلا

١٥

(١) الحش : البستان . وفى بعض النسخ : الخيش .

(٢) كذا فى ف ، س . ومعناه : حوّلى حلقك فى أثناء الغناء من حال إلى حال ، ارتفاعا وانخفاضا . وفى أ : وأحلى . وفى ج : وأجيلى .

٢٠

بينا ، فأكثرت التعجب . فقال لى : يا أبا جعفر ، ما أهون هـذا على السامع ! تدرى بالله كم مرّة رددت عليها موضعا فى هذا الصوت ؟ قلت : لا . قال : فقل وأكثر . قلت : مائة مرّة . قال : آصعد ما بدالك . قلت : ثلثمائة . قال : أكثر والله من ألف مرّة ، حتى قالته كذا .

١١٢ / ١٤

عقوبتها

قال : وكانت رَيِّق تقـول : إن شارية كانت إذا آضطربت فى صـوت ، فغاية ما عنده من عقوبتها ، أنه يقيمها تغنيه على رجليها ، فإن لم تبلغ الذى يريد، ضَرَبت ريق[1] .

شارية تضـرب بالعـود

قال : ويقـال إن شارية لم تضرب بالعود إلا فى أيام المتوكل ، لمّا اتصل الشرّ بينها وبين عريب ، فصارت تقعد بها عند الضرب ، فضربت هى بعد ذلك .

إبراهيم يمتنـع من بيعها

قال آبن المعتز : وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم ، المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضى الكتّاب فى زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخا ثقة ، قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها . فعاتبتُه على ذلك ، فلم يجبنى بشىء . ثم دعانى بعـد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة . فأحضره الغلام سَفُّودا فيـه ثلاث فراريج ، فرمى إلىّ بواحدة ، فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رِطلا وسقانيه ، ثم أُتِى بسفود آخر ، ففعل كما فعل ، وشرب كما شرب وسقانى . ثم ضَرَب سِترا كان إلى جانبـه ، فسمعت حركة العِيدان ، ثم قال : ياشارية تَغَنَّى . فسمعت شيئا ذهب بعقلى . فقال : يا سهل ، هذه التى عاتبتنى فى أن أبيعها بسبعين ألف دينـار ، لا والله ، ولا هـذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار .

(١) أى أخذت من شارية العود، وضربت هى به، لتضبط اللحن .

نسبها وبيعها

قال : وكانت شارية تقول : إن أباها من قريش ، وإنها سُرِقت صغيرة ، فبيعت بالبصرة من آمرأة هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدىّ . والله أعلم .

رأى فى غنائها

أخبرنى عمى ، قال : حدّثنى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال : أمرنى المعتز ذات يوم بالمُقام عنده ، فأقمت . فأمر فمدّت الستارة ، وخرج من كان يغنى وراءها ، وفيهنّ شارية ، ولم أكن سمعتها قبل ذلك . فاستحسنت ماسمعت منها ، ٥ فقال لى أمير المؤمنين المعتز : يا عبيد الله ، كيف ما تسمع منها عندك[١] ؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء ، أكثر من حظ الطرب . فاستحسن ذلك ، وأخبرها به فاستحسنته .

تلعب النرد مع ريق

قال آبن المعتز : وأخبرنى الهشامىّ ، قال : قالت لى رَيِّق : كنت ألعب أنا ١٠ وشارية بالنرد بين يدى إبراهيم ، وهو متكىء على مِخَدّة ينظر إلينا ، فجرى بينى وبين شارية مشاجرة فى اللعب ، فأغلظت لها فى الكلام بعض الغلظة . فاستوى إبراهيم جالسا ، وقال : أراك تستخفين بها ، فوالله لا أحد يخلفكَ[٢] غيرها . وأومأ إلى حلقه بيده[٣] .

إبراهيم لم يدخل بها

قال : وحدثنى الهشامىّ ، قال : حدّثنى عمرو بن بانة ، قال : حضرت يوما ١٥ مجلس المعتصم ، وضُربت الستارة ، وخرجت الجوارى ، وكنت إلى جانب مخارق ، فغنت شارية ، فأحسنت جدا . فقلت لمخارق : هذه الجارية فى حسن الغناء على

---

(١) ف : كيف ما تسمع مما عندك ؟

(٢) كذا فى ف . وفى الأصول : ما أجد أحدا .

(٣) كذا فى ف . وفى الأصول ما عدا م : حلقة بيدها . وفى م : خلقة بيدها ، وهما تحريف .

ماتسمع، ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرّم[1] بها إبراهيم بن المهدىّ؟ فقال لى: أحد الحظوظ التى رفعت لهذا الخليفة مَنْع إبراهيم بن المهدىّ من ذلك .

جوارى المعتصم وجوارى

قال عبد الله بن المعتز : وحدّثنى أبو محمد الحسن بن يحيى أخو على بن يحيى، عن ريق قالت :

آستزار المعتصم من إبراهيم بن المهدىّ جواريه ، وكان فى جفوة من السلطان تلك الأيام ، فنالته ضَيقة . قالت : فتحمل ذهابنا إليه على ضعف ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن فى سراويلات مرقعة ، فجعلنا نَرى جوارىَ المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة ، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا ، فطرب المعتصم على غنائنا ، ورآنا أَمْثَل من جواريه ، فتحوّلت إلينا أنفسنا فى التيه والصلف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

شارية أحسن الناس غناء

قال : وحدّثنى أبو العبيس[2]، عن أبيه قال : كانت شارية أحسن الناس غناء ، منذ توفى المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

١١٣ / ١٤

افتضها المعتصم

قال أبو العبيس : وحدّثتنى ريق أن المعتصم آفتضها ، وأنها كانت معها فى تلك الليلة .

تعلم الغناء والمعتمد يعشق جاريتها

قال أبو العُبَيس : وحدّثتنى طِباع[3] جارية الواثق : أن الواثق كان يسميها سِتّى . وكانت تعلم فريدة ، فلم تبق فى تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شىء[4]

---

(١) فى التاج : وتحرم منه بحرمة : إذا تمنع وتحمى بذمة أو صحبة أو حق . كأنه يريد : لماذا لم يعتقها و يتزوّج بها ، فتكون من حرمه فلا تباع .

(٢) أبو العبيس ، كما فى ف : هو أحد المغنين ، وليس هو أبو العنبس كما ورد اسمه محرفا فى مواضع مختلفة من الأغانى ، جاء فى الجزء الأوّل من طبعة دار الكتب ص ٩٩ ، هذه العبارة : غنى أبو العبيس آبن حمدون ... الخ ، ويستفاد منها أمران : الأوّل : أنه مغن . والثانى أن اسم أبيه حمدون . أما أبو العنبس فهو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمرى الشاعر ، كما قال الخطيب البغدادى فى تاريخه (١ : ٢٣٨) . (٣) م : تباع . (٤) ج : شر .

بحضرة الواثق ، فحلفت أنها لاتنصحها ولا تنصح أحدا بعدها ، فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتا إلا نقصت من نغمه . وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها ، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح ، وعجز عن شرائها . فسأل أمّ المعتز أن تشتريها له ، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار ، وأهدتها إليه . ثم تزوّجت

٥ بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغنى ، وكان يتعشقها . فقال عبد الله بن المعتز ، وكان يتعشقها :

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسى * ألا رب تطليقٍ قريب من العُرسِ

لئن صِرتِ للبقال ياشر زوجة * فلا عجب قدير بُضُ[1] الكلب فى الشمس

ابن وصيف يودع جوهره عندها

وقال يعقوب بن بنان : كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف . فلما بلغه

١٠ رحيل موسى بن بُغا من الجبل يريده ، بسبب قتله المعتز ، أودع شارية جوهره . فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك . فلما أوقع موسى بصالح ، استترت شارية عند هارون ابن شعيب العُكبَرِى[2] ، وكان أنظف خلق الله طعاما ، وأسراه مائدة ، وأوسخه[3] كل شيء بعد ذلك ؛ وكان له بسر من رأى منزل ، فيه بستان كبير ، وكانت شارية تسميه أبى ، وتزوره إلى منزله . فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه ، حتى الحصير

١٥ الذى تقعد عليه .

من أكرم الناس

قال : وكانت شارية من أكرم الناس ، عاشرها[4] أبو الحسن على بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق فى وقت ، فاقترض منها على غير رهن ، عشرة آلاف دينار ، ومكثت عليه أكثر من سنة ، ما أذكرته بها ، ولا طالبته ، حتى ردّها ابتداء[4] .

٢٠ (١) أ ، م : يركض . (٢) كذا فى ف ، مب ، وفى نهاية الأرب . وفى الأصول : العكرى .

(٣) كذا فى ف ، مب ، ونهاية الأرب . وفى الأصول : وأسخاه فى .

(٤ — ٤) العبارة ساقطة من جميع الأصول ، ما عدا ف ، مب ، ونهاية الأرب .

تحزب أهل سر من رأى للمغنين

قال يعقوب بن بنان : وكان أهل[1] سر من رأى متحازبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء ، ولا أصحاب هذه فى هؤلاء . فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل[2] عريبيا ، فدعا علىّ بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وعنده عريب وجواريها . فاتصل الخبر بشارية ، فبعثت بجواريها إلى علىّ بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهن ، وما أدرى من هى : مِهرجانُ ، أو مطربُ ، أو قمرية ، إلا أنها إحدى الثلاثة ، أن تغنى قوله :

لا تعودنّ بعدها * فترى كيف أصنع

فلما سمع علىّ الغناء ضحك ، وقال : لست أعود .

المعتمد لا يأكل إلا طعامها

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية ، فلم يكن يأكل إلا طعامها . فمكثت دهرا من الدهور[3] تعدّ له فى كل يوم جُونتين[4] ، وكان طعامه منهما فى أيام المتوكل .

إبراهيم بن المهدى يدعوها بنتى

قال ابن المعتز : وحدثنى أحمد بن نعيم عن ريق ، قالت : كان مولاى إبراهيم يسمى شارية بنتى ، ويسمينى أختى .

المعتمد يمنحها ألف ثوب

حدثنى جحظة ، قال : كنت عند المعتمد يوما ، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدى ولحنه :

يا طول عِلةِ قلبىَ المعتادِ * إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجادِ

---

(١) أهل : زيادة عن سه يقتضيها السياق . وفى نهاية الأرب : الناس بسر من رأى .

(٢) هو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل أحد وزراء الخليفة المعتمد (٢٦٥ — ٢٧٧) .

(٣) كذا فى ف ، مب ، ج ، سه . وفى بقية الأصول : الدهر . وفى نهاية الأرب : فمكثت دهرا ، وهى أحسن .

(٤) الجونة : سلة صغيرة مستديرة مغشاة أدما ، يوضع فيها الطيب أو الثياب أو نحوهما ، جمعها جون ، وقد تهمز الواو فى المفرد والجمع ، والهمز هو الأصل .

فقال لهـا : أحسنتِ واللهِ . فقالت : هـذا غنائى وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة، فحمل ذلك إليها. فقـال لى على بن يحيى المنجم : اجعل انصرافك معى . ففعلت، فقـال لى : هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها فى دفاتر عظام، فتصفحناها كلها، فما وجدنا أحدا قبله فعل ذلك .

١١٤ / ١٤

نسـبة هذا الصوت

صـوت

يا طـول عِلةِ[1] قلبىَ المعتـادِ * إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجـاد

مازلت آلف كل قَرْم ماجدٍ * متقـدمِ الآباء والأجـداد

الشـعر لإبراهيم بن المهدى، والغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه .

تغنى بشعر لخديجة بنت المأمون

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعيد، قال : حدثنى محمد بن مالك الخزاعى، قال : حدثتنى مُلَح العطارة، وكانت من أحسن الناس غناء، وإنما سميت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب، قالت : غنت شارية يوما بين يدى المتوكل وأنا واقفة مع الجوارى :

بالله قولوا لى لمن ذا الرّشا * المثقلُ الردفِ الهضيمُ الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا * وأملح الناس إذا ما انتشى

وقـد بنى برج حمـام له * أرسل فيـه طائرا مُرعَشا

(١) أ، م : غلة، بالغين المنقوطة .

ياليتنى كنت حماما له * أو باشقا يفعل بى ما يشا

لو لبس القُوهىّ[1] من رقة * أوجعه القُوهىّ أو خدّشا

وهو هزج[2]، فطرب المتوكل، وقال لشارية : لمن هذا الغناء؟ فقالت : أخذته من دار المأمون، ولا أدرى لمن هو. فقلت له أنا : أعلم لمن هو. فقال : لمن هو يا ملح؟ فقلت : أقوله لك سرا. قال : أنا فى دار النساء، وليس يحضرنى إلا حُرَمى، فقوليه. فقلت : الشعر والغناء جميعا لخديجة بنت المأمون، قالته فى خادم لأبيها كانت تهواه، وغنت فيه هذا اللحن. فأطرق طويلا، ثم قال : لا يسمعْ هذا منك أحد.

* * *

صـوت

أحبك يا سَلْمى على غير ريبة * وما خير حب لا تعف سرائرهْ

أحبك حبا لا أعنِّف بعده * محبا، ولكنى إذا ليم عاذرهْ

وقد مات حِبى[3] أوّل الحب فانقضى * ولو مت أضحى الحب قد مات آخرهْ

ولما تناهى الحب فى القلب واردا * أقام وسدّت فيه عنه مصادرهْ

الشعر للحسين بن مُطَير الأسدى، والغناء لإسحق : هزج بالبنصر.

(١) القوهى : ضرب من الثياب البيض، منسوب إلى قوهستان.

(٢) يريد أن لحنه من الهزج. أما الشعر فمن السريع.

(٣) أ، م : قلبى.

أخبار الحسين بن مُطَير ونسبه

نسبه وشعره

هو الحسين بن مُطير بن مكمَّل[١]، مولى لبنى أسد بن خُزيمة، ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد. وكان جده مكمل عبدا، فأعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى فى مكاتبته حتى أدّاها وأُعتق. وهو من مخضرمى الدولتين: الأموية والعباسية، شاعر متقدم فى القصيد والرجز، فصيح، قد مدح بنى أمية وبنى العباس.

١١٥ / ١٤

٥

مسكنه

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحَرون: أنه كان من ساكنى زُبالة[٢]، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. وذلك بَيِّن فى شعره.

إدراكه بنى أمية

١٠

ومما يدل على إدراكه دولة بنى أمية، ومدحه إياهم، ما أخبرنا به يحيى بن علىّ ابن يحيى إجازة، قال: أخبرنى أبى، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ، عن مروان ابن أبى حفصة، قال: دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفىّ، والحسين بن مطير الأسدى، فى عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش[٣] قد غاب فيها، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعرا، وقف الوليدَ على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء. فقلت: مَن هذا؟ قالوا: هذا حماد الراوية. فلما وقفت بين يدى الوليد

١٥

(١) كذا فى ف، ج، س، ب، ونهاية الأرب، وتاج العروس. وفى أ، م: شعبة. تحريف.

(٢) زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة. وهى قرية عامرة، بها أسواق، فيها حصن وجامع لبنى غاضرة، من بنى أسد. (عن معجم البلدان لياقوت).

٢٠

(٣) كذا فى ف. وفى الأصول: عريش قد غاب عنا.

لأنشده، قلت : ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة . فتهانف[1] الشيخ ، ثم قال : يا بن أخى، أنا رجل أكلم العامة، وأتكلم بكلامها، فهل تروى من أشعار العرب شيئا ؟ فذهب عنى الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل ، فقلت : نعم ، لابن مقبل . فأنشدته :

سلِ الدار من جنبي حِبرٍّ فواهبٍ * إلى مارأى هضبَ القليب المُضيَّح[2]

ثم جزت . فقال : قف . ماذا يقول ؟ فلم أدرما يقول . فقال : يا بن أخى ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان : إذا تقابلا .

يفد على معن ابن زائدة فينقد شعره

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن على، ويحيى بن على ، قالوا : حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِى قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن على ، قال : حدثنى أبى :

أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولى اليمن وقد مدحه ، فلما دخل عليه أنشده :

أتيتك إذ لم يبق غيرَك جابر[3] * ولا واهب يعطى اللُّها والرغائبا

(١) التهانف كما فى ف : الضحك بالسخرية . نقله صاحب تاج العروس عن نسخة من الكامل للبرد . وقيل إنه خاص بالنساء . وفى الأصول : فتهافت ، أى تساقط قطعة قطعة ، من الهفت ، وهو السقوط . وأكثر ما يستعمل فى الشر .

(٢) ورد هذا البيت محرفا فى نسخ الأغانى . وأثبتناه مصححا عن معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكرى ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون . وحبر وواهب : جبلان لبنى سليم . وهضب القليب : ماء لبنى قنفذ ، من بنى سليم . والمضيح (بصيغة اسم المفعول) : ماء لبنى البكاء . وفى بعض ألفاظ البيت روايات أخر : يروى « واصف » فى موضع « واهب » ، وهو اسم ماء . ويروى « إذا » فى موضع « إلى » ، ويروى « يرى » فى موضع « رأى » .

(٣) كذا فى ف ، ومعجم الأدباء لياقوت (١٠ : ١٦٧) والخزانة (٢ : ٤٨٥) . وفى ج : «أتيتك لما لم يبق» . وفى بقية النسخ : « أتيتك لما يبق » . واللها : جمع لهوة ، بضم اللام وفتحها : العطية ، دراهم أو غيرها .

فقال له معن : يا أخا بنى أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن تَوْسعة أخى بنى تيم الله بن ثعلبة، فى مِسمع بن مالك :

قلدتْه عُرا الأمورِ نزارٌ (١) * قبل أن تهلك السراة البحور

قال : وأوّل هذا الشعر :

٥ اظعنى من هَراة (٢) قد مرّ فيها * حِجَجٌ مذ سكنتِها وشهور

اظعنى نحو مِسمع تجتديه * نعم ذو المُنْثَنى (٣) ونعم المَزور

سوف يكفيك إن نبتْ بك أرض (٤) * بخراسان أو جفاك أمير

من بنى الجِحصن عامل بن بريح (٥) * لا قليل الندى ولا منزور

والذى يفزع الكماة إليه * حين تدمى من الطعان النحور

١٠ فاصطنع يا بن مالك آل بكرٍ * واجبرِ العظم إنه مكسور

فغدا إليه بأرجوزته التى مدحه بها، وأوّلها :

١١٦/١٤

* حديث رِيا حبّذا إدلالُها *

* تسأل عن حالى وما سؤالها *

* عن امرئ قد شفّه خيالها *

١٥ * وهى شفاء النفس لو تنالها *

(١) السراة : أعالى الناس وأشرافهم ، واحدهم سرى . ونهار بن توسعة بن أبى عتبان من بنى حنتم ، من بكر بن وائل . وكان أشعر بكر بخراسان ، فى أيام الدولة الأموية ، هجا قتيبة ابن مسلم ، ثم مدحه . (٢) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان .

(٣) فى جميع النسخ : « ذا المنثنى » . وفى الخزانة : « ذى المنتأى » . والصحيح : « ذو » لأنه فاعل بنعم . والمنتأى : المكان البعيد ، أو مصدر ميمى ، ومعناه : أن مسمعا نعم الرجل النائى المحل، ٢٠ الذى يجزل العطاء لقاصده . ومعنى « نعم ذو المنثنى » : نعم الرجل ينثنى عنه قاصده بخير كثير .

(٤) فى الخزانة : « إذ » . ورواية الأصول أجود .

(٥) كذا فى ف ، وخزانة الأدب (٢ : ٤٨٦) . وفى الأصول : «من بنى الحضر عامر بن سريج» .

يقول فيها يمدحه :

* سَلَّ سيوفا محدثا صِقالُها *

* صاب[1] على أعدائه وبالُها *

* وعند معن ذى الندى أمثالُها *

فاستحسنها، وأجزل صِلته .

٥

أخبرنى ابن عمار ويحيى بن علىّ، قالا : حدّثنا محمد بن القاسم بن مِهرويه، قال : حدّثنى أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبى بكرٍ الأصم قال :

دعبل يأخذ من شعره

كنّا فى مجلس الأصمعىّ، فأنشده رجل لدِعبِل بن علىّ :

* أين الشبابُ وأيّةً سلكا *

فاستحسنا قولَه[2] :

١٠

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجلٍ * ضحِك المشيب برأسه فبكى

فقال الأصمعىّ : هذا أخذه من قول الحسين بن مطير :

أين أهل القِباب بالدهناءِ * أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرضُ مُلبَسة نو * ر الأقاحى يُجاد[3] بالأنواء

كلَّ يوم بأقحوان جديد * تضحك الأرض من بكاء السماء[4]

١٥

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى، قال : حدّثنى محمد بن القاسم الدينورِىّ، قال : حدّثنى محمد بن عمران الضبىّ، قال :

أبياته تسهر المهدى

قال المهدى للفضل الضبىّ : أسهرتنى البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدىّ . قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله :

(١) صاب : انصب فى غزارة . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : فاستحسنها . وفى الخزانة : « فاستحسنها كل من كان حاضرا فى المجلس ، وأكثروا التعجب من قوله » .

٢٠

(٣) فى الخزانة : «جاورونا» فى موضع : « فارقونا » . و « تجاد » : فى موضع «يجاد» .

(٤) كذا فى ف والخزانة . وفى الأصول : « عن مهل السماء » .

وقد تغــدر الدنيا فيضحِى فقيرها * غنيا ويغنى بعـــد بؤسٍ فقيرُها

فلا تقرب الأمر الحــرام فإنه * حلاوته تفـــنى ويبــقى مَرِيرها

وكم قد رأينـا من تغــير عيشة * وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين .

٥ وقد أخبرنى بهذا الخبر عمى رحمـه الله أتم من هذا ، قال : نسخت من كتاب المفضل بن سلمة : قال أبو عِكرمة الضبى : قال المفضل الضبى :

كنت يوما جالسا على بابى وأنا محتاج إلى درهم، وعلىّ عشرة آلاف درهم[1]، إذ جاءنى رســول المهدىّ، فقال : أجب أمير المؤمنين . فقلت : ما بعث إلىّ فى هذا الوقت إلا لسعاية ساع، وتخوّفته، لخروجى — كان — مع إبراهيم بن عبد الله

١٠ ابن حسن[2]، فدخلت منزلى، فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين، وصرت إليــه . فلما مثلت بين يديه ســلمت، فردّ علىّ، وأمرنى بالجلوس . فلمــا سكن جأشى، قال لى : يامفضل، أىّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقيا فاستوى جالسا، ثم قال : وأى بيت هو؟ قلت قولها :

وإنّ صخـرا لتأتمّ الهــداة به * كأنه عَـــلَم فى رأســـه نار

١٥ فأومأ إلى إسحــاق بن بزِيع[3]، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه . فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : حدّثنى يا مفضل . قلت : أى الحــديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال : حديث النساء . فحدّثته حتى انتصف النهار، ثم قال لى :

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : وعلى يومئذ عشرة آلاف درهم دين .

(٢) خرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن العلوىّ على أبى جعفر المنصور العباسىّ فى البصرة سنة ١٤٥ هـ

٢٠ (عن الفخرى لابن الطقطقى) . (٣) أ، ج : بزيغ .

١١٧
١٤

يا مفضل ، أسهرنى البارحة بيتا ابن مطير ، وأنشد البيتين المذكورين فى الخبر الأوّل . ثم قال : ألهذين ثالث يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

وكم قد رأينا من تغير عيشةٍ * وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

وكان المهدىّ رقيقا فاستعبر، ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لى بثلاثين ألف درهم، وقال : اقض دينك، وأصلح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

يمدح المهدى فيمنحه سبعين ألف درهم

أخبرنى يحيى بن علىّ، عن علىّ بن يحيى إجازة، وحدّثنا الحسن[1] بن علىّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبى سعد[2]، قال : حدّثنى إسحاق بن عيسى ابن موسى بن مجمع ، أحد بنى سوار بن الحارث الأسدىّ، قال : أخبرنى جدّى موسى بن مجمع، قال :

قال الحسين بن مطير فى المهدى قصيدته التى يقول فيها :

إليك أمير المؤمنين تعسفتْ * بنا البيدَ هَوجاءُ النَّجاء خَبوب[3]

ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت * جبال بها مغبرة وسُهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد * ومن غير تأديب الرجال أديب

علا خُلُقُه خَلق الرجال وخَلْقه * إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب

(١) ج : الحسين .

(٢) فى بعض النسخ : ابن أبى سعيد . والصحيح : سعد، و يلقب بالوراق . ذكر فى أسانيد الموشح للمرزبانى فى عدّة مواضع .

(٣) تعسفت : من العسف، وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم (بتحريك اللام). والهوجاء من الإبل : الناقة المسرعة ، كأن بها هوجاء، وهو الطيش والتسرع . والنجاء : الإسراع . وخبوب : صيغة مبالغة من الخبب ، وهو ضرب من عدو الإبل . وفى الأصول : جنوب . تحريف .

إذا شاهد القواد سار أمامهم * جرىء على ما يتقون وثوب
وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة * بها يقهر الأعداء حين يغيب
يعف ويستحيي إذا كان خاليا * كما عف واستحيا بحيث رقيب

فلما أنشدها المهدىّ أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد .

مسكنه

وكان الحسين من الثعلبية[1]، وتلك داره بها . قال ابن أبى سعد : وأرانيها الشيخ .

يمدح المهدى بأبيات فيعطيه لكل بيت ألف درهم

أخبرنى محمد بن خلف وكيع، قال : حدّثنى محمد بن القاسم بن مهرويه، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى سعد، عن إسحق بن عيسى، قال :

دخل الحسين بن مُطَير على المهدى، فأنشده قوله :

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم * ما كان فى الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك مِن جودٍ مصوّرة * لا بل يمينك منها صُوِّر الجود ١٠
لو أن من نوره مثقال خردلة * فى السود طرا إذن لابيضت السود

فأمر له لكل بيت بألف درهم .

المهدى يطرده لمدحه معن ابن زائدة

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدّثنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ، قال : حدّثنى أبى، قال :

خرج المهدىّ يوما، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشدهُ قوله : ١٥

أضحت يمينك من جود مصوّرة * لا بل يمينك منها صوّر الجود

فقال : كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعا لأحد، بعد قولك فى معْن ابن زائدة حيث تقول :

أَلِمَّا بمعن ثم قولا لقبره * سُقيت الغوادى مَرْبَعا ثم مربعا

أخرجوه عنى، فأخرجوه . ٢٠

(١) الثعلبية : موضع بجوار زبالة التى كان يسكنها الحسين .

١١٨
١٤

وتمـام الأبيات :

أيا قبر معن كنت أوّل حفـرةٍ * من الأرض خُطت للمكارم مضجعا[1]

أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده * وقد كان منـه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عِيش فى معروفه بعـد موته * كما كان بعـد السيل مجراه مرتعا[2]

أبَى ذكر معن أن تموت فِعـاله * وإن كان قد لاقى حماما ومصرعا

أشعر العباسيين

أخبرنى أحمد بن يحيى بن على بن يحيى إجازة[3] قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنى علىّ بن عبيد الكوفىّ[4] قال : حدّثنى الحسين بن أبى الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال :

كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس ، من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلم بهـذا وأعلى عينا . فقال له : على ذاك فقل، وتكلم أنت أيضا يا أحمد بن يوسف . فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذى يقول :

أيا قبر معن كنت أوّل خِطة * من الأرض خطت للمكارم مضجعا[5]

فقال أحمد بن يوسف : بل أشعرهم الذى يقول :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى * متأخَّـر عنـه ولا متقـدم[6]

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : للسماحة . (٢) فى شرح التبريزى على الحماسة (٢ : ٣ بولاق) : مرتعا . (٣) كذا فى ف . وفى الأصول : أحمد بن عبيد الله بن عمار .

(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : على بن عبيد الله الكوفى .

(٥) كذا فى ف . وفى الأصول : ... حفرة ... للمكارم مضجعا .

(٦) البيت مع أبيات أخرى لأبى الشيص . (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٣٥ والأغانى آخر هذا الجزء) .

فقال : أبيت يا أحمد إلا غزلا ! أين أنتم عن الذى يقول :

يا شقيق النفس من حكمٍ * نمتَ عن ليلى ولم أنم [(١)]

أبو عبيدة يعجب بشعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أبو خليفة عن التّوَّزى ، قال : قلت لأبى عبيدة : ما تقول فى شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لوددت أن الشعراء قاربته فى قوله :

٥

مخصرة الأوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودُها

فصفر تراقيها ، وحمر أكفها * وسود نواصيها ، وبيض خدودها

وصفه للسحاب والمطر

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدنا محمد بن يزيد للحسين ابن مطير ، قال :

١٠ كان سبب قوله هذه الأبيات أن واليا ولى المدينة ، فدخل عليه الحسين ابن مطير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره ، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت ، وتتابع منها الرعد والبرق ، وجاءت بمطر جَوْد . فقال له : صف هذه السحابة . فقال :

مستضحك بلوامعٍ مستعبر * بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاء [(٢)]

١٥ فله بلا حزن ولا بمسرة * ضحِك يراوح بينه وبكاء [(٣)]

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه * فإذا تحلَّبَ فاضتِ الأطباء [(٤)]

---

(١) البيت مطلع قصيدة لأبى نواس .

(٢) لم تمرها الأقذاء : لم يسل دمعها وقوع القذى فيها . وأصل المرى : الحلب .

(٣) يراوح : كذا فى الأصول . وفى معجم الأدباء لياقوت (١٠ : ١٧٢) : يؤلف .

٢٠ (٤) الودق : المطر . والأطباء : جمع طبى بوزن قفل ، وهو ثدى الحيوان . والبيت ساقط من الأصول ما عدا ف ، مب .

وكأن بارقه حريق تلتقى * ريح عليه وعرفج وألاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه * لم يبق فى لجج السواحل ماء

* * *

صوت

إذا ما أم عبد الله * ه لم تحلل بواديه

ولم تمس قريبا هيـ * ـج الحزن دواعيه[1]

غزال راعه القنا * ص تحميه صياصيه[2]

وما ذكرى حبيبا و * قليل ما أواتيه[3]

كذى الخمر تمناها * وقد أُنزف ساقيه[4]

عرفت الربع بالإكليـ * ـل عفته سوافيه[5]

بجو ناعم الحوذا * ن ملتف روابيه[6]

الشعر مختلط ، بعضه للنعمان بن بشير الأنصارى ، وبعضه ليزيد بن معاوية ، فالذى للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الأخير، وباقيها ليزيد بن معاوية[7] . ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى . فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيبانى ؛ وجدت ذلك عنه فى كتابه ،

(١) فى معجم البلدان لياقوت (إكليل) : ولم تشف سقيا . (٢) الصياصى : أعالى الجبال .

(٣) فى معجم البلدان : قليلا . (٤) أنزف : ذهب عقله كله .

(٥) الإكليل : موضع . والسوافى : جمع سافية ، وهى الريح تسفى أى تحمل التراب والرمال .

(٦) الجو : الوادى المتسع . والحوذان : نبت ، أو بقلة من بقول الرياض ، لها نور أصفر طيب الرائحة (اللسان عن الأزهرى) . (٧) مب : وسائرها ليزيد بن معاوية . والعبارة ساقطة من بقية الأصول .

وخالد بن كلثوم، نسختـه من كتاب[١] أبي سعيد السكرى فى مجموع[٢] شعر النعمان . وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التى نسبتها إليه، فإنها متوالية[٣]، قال :

فبحت اليوم بالأمر الْ * ـلَّذى قد كنت تخفيه[٤]

فإن أكتمه يوما * فإنى سوف أبديه

وما زلت أفـدّيه * وأدنيـه وأرقيـه ٥

وأسـعى فى هـواه أ * بـدا حـتى ألاقيـه

فبـات الريم مـنى حـ * ـذرا زلت مراقيـه[٥]

والغناء لمعبـد : خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وذكره إسحاق فى خفيف الرمل بالسبابة فى مجرى البنصر، ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى، عن الهشامى وحنين . ١٠

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : خط . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : جامع .
(٣) ف : تعزى إليه . (٤) س : أخفيه . يخاطب نفسه .
(٥) كذا فى ف . وفى الأصول : دلت مراقيه . والمراقى : لعـله يريد بها أرجله التى يرقى بها .

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

نسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة[(١)] بن خَلّاس[(٢)] بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج . وأمه عَمْرة بنت رَواحة، أخت عبد الله بن رواحة، التى يقول فيها قيس بن الخطيم :

أجَدَّ بعمرة غُنيانُها[(٣)] * فتهجرَ أم شانُنا شانُها
وعمرة من سَرَوات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

وله صحبة بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرهما[(٤)] فردّهما .

أبوه

وأبوه بشير بن سعد أوّل من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبى بكر رضى الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير بيعة العقبة و بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها ، واستشهد يوم عين التمر[(٥)] مع خالد بن الوليد .

هواه مع عثمان ابن عفان

وكان النعمان عثمانيا ، وشهد مع معاوية صِفين ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ، وكان كريما عليه ، رفيعا عنده وعند يزيد ابنه بعده ، وعمر إلى خلافة

---

(١) ف ، مب : سعد بن حصين بن ثعلبة . وبقية الأصول : سعد بن نصر بن ثعلبة . والظاهر أن كلا من لفظى حصين ونصر من حشو الناسخين ، فليس لهما وجود فى نسب النعمان الذى أورده ابن دريد فى الاشتقاق ص ٢٧١ والخزرجى فى الخلاصة ص ٥٠ ومقدّمة ديوان النعمان طبع دهلى بالهند ص أ .

(٢) خلاس ، بفتح الخاء وتشديد اللام : كذا فى الأصول ، وتاج العروس (خلس) وجامع الأصول . وفى الاشتقاق وخلاصة الخزرجى : جلاس ، بضم الجيم وتخفيف اللام .

(٣) غنيانها : مصدر غنيت المرأة بزوجها ، أى استغنت .

(٤) ف : فاستصغره .

(٥) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، غربى الكوفة ، فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة ١٢ للهجرة فى عهد أبى بكر .

مروان بن الحكم ، وكان يتولى حِمص . فلما بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط . فلم يجبه أهل حِمص إلى ذلك . فهرب منهم ، وتبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك فى سنة خمس وستين .

١٢٠ / ١٤

أوّل مولود للأنصار بعد الهجرة

ويقال إن النعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها . وقد قيل ذلك فى عبد الله بن الزبير ، إلا أن النعمان أوّل مولود ولد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم .

يروى الحديث العدل بين الأولاد

وروى النعمان بن بشير عن النبىّ صلى الله عليه وسلم كثيرا .

حدّثنى أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء . قال : حدّثنى أبو بكر بن أبى شَيْبة ، قال : حدّثنا عباد بن العوّام ، عن الحصين ، عن الشعبىّ ، قال :

سمعت النعمان بن بشير يقول : أعطانِى أبى عطية ، فقالت أمى عمرة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسولَ الله فقال : ابنى من عمرة أعطيته عطية فأمرتْنى أن أشهدك . فقال : أعطيتَ كل ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . فقال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

يرفض أن يعطى الكوفيين زيادتهم فى العطاء لهواهم مع على

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا العمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال :

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير فى أعطيتهم ، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان ابن بشير ، وكان عثمانيا ، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم فى علىّ عليه السلام . فأبى النعمان أن ينفذها لهم . فكلموه وسألوه بالله ، فأبى أن

يفعل . وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن . وكان يقول : لا ترون على منبركم هذا أحدا بعدى يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فصعد المنبر يوما فقال : يأهل الكوفة . فصاحوا[1] : ننشدك الله والزيادة . فقال : اسكتوا . فلما أكثروا قال : أتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ قالوا : لا . قال : مثل الضبع والضب والثعلب : فإن الضبع والثعلب أتيا الضب فى وِجاره ، فنادياه : أبا الحِسْل . فقال : سميعا دعوتما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : فى بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : إنى حللت عَيْبَتى . قال : فِعلَ الحرّة فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : طيبا لقطتِ . قالت : فأكلها الثعلب . قال : لنفسه نظر . قالت : فلطمته . قال : بجُرْمه . قالت : فلطمنى . قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : حدّث امرأة حديثين ، فإن أبت فعشرة[2] .

(١) فى الأصول غير (ف) : فقام إليه أهل الكوفة فقالوا ...

(٢) روى هذا المثل الميدانى فى « مجمع الأمثال ٢ : ١٣ » على لسان الأرنب والثعلب والضب . ورواه أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ، فى باب الحاء . وروايته أقرب إلى رواية المؤلف هنا . وقوله : « حدّث امرأة حديثين ... الخ » روايته فى الجمهرة ومجمع الأمثال هكذا : « حدّث حديثين امرأة ، فإن لم تفهم فأربعة » . قال الميدانى : أى زد . ويروى : فاربع ، أى كف . وأراد بالحديثين : حديثا واحدا تكرره مرتين ، فكأنك حدّثتها بحديثين . والمعنى : كرر لها الحديث ، لأنها أضعف فهما ، فإن لم تفهم فاجعلهما أربعة . وقال أبو هلال : يضرب مثلا لسوء الفهم ، وظاهره خلاف باطنه . وحقيقته أنها إذا كانت لا تفهم حديثين ، كانت بألا تفهم أربعة أقرب . وقال بعض العلماء : إنما هو : إن لم تفهم فاربع ، أى أمسك ، وذلك غلط . ولم نجد فى روايات كتب الأمثال : فعشرة . والمراد : تكرار الحديث ، لا حقيقة العدد . وكأن الضب وقد تمثل بهذا المثل يوبخ الضبع لأنها أنثى لم تفهم كلامه من أول مرة .

فقال عبدُ الله بن همّام السّلولى :

زيادتنا نعمانُ لا تحرِمنها (١) * خفِ اللهَ فينا والكتابَ الذى نتلو

فإنك قد حُمِّلت منا أمانة * بما عجزت عنه الصّلاخمة البُزْل (٢)

فلا يك باب الشر تحسن فتحه (٣) * و باب الندى والخيرات له قفل

وقد نلت سلطانا عظيما فلا يكن * لغيرك جمّات الندى ولك البخل ٥

وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه * فما باله عند الزيادة لا يحلو

وقبلك قد كانوا علينا أئمة * يهمهمُ تقويمنا وهمُ عُصْل (٤)

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكنّ حسن القول خالفه الفعل (٥)

يذمون دنياهم وهم يرضعونها * أفاويقَ حتى ما يدرّ لهم ثعل (٦)

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : لا تحرمننا . ورواه أبو زيد الأنصارى فى نوادره ص ٤ : تق الله فينا . وانظر شرح الرضى على شواهد الشافية ص ٤٩٦ . ١٠

(٢) الصلاخمة : جمع صلخم بجعفر : يريد الجمال الصلبة الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذي انشق نابه ، وذلك فى العام التاسع من عمره .

(٣) كذا روى البيت فى ف وفى مب :

فلا تك باب الشر تحسن فتحه * لدينا ، و باب الخير أنت له قفل ١٥

وفى بقية الأصول المخطوطة :

و إن يك باب الشر تحسن فتحه * فلا يك باب الخير ليس له قفل

وفى س : « باب الشر » . وفى رغبة الآمل للمرصفى (١ : ١٨٦) : « باب الخير منك » .

(٤) أ ، م : كرام بهم تقويمنا . والعصل : جمع أعصل : وهو المعوج فيه صلابة وشدة .

(٥) نصبوا للقول : تهيئوا له . وأصل النصب : أن يقوم المرء رافعا رأسه . وفى الأصول : « أنصتوا للقول » . ٢٠

(٦) كذا فى ف ، مب ، وفى بقية الأصول : « يذمون دنيانا ... يدر لها » . وأفاويق : جمع أفواق ، وهو جمع فيقة ، بكسر الفاء ، اسم اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . يريد أنهم يرضعونها ، ثم يتركونها مقدار ما يجتمع اللبن ، فيرضعونها ثانية وهكذا . والثعل : خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة وضرع الشاة ، لا يدرّ من اللبن شيئا ، و إنما ذكره للمبالغة فى الارتضاع . ٢٥

فيا معشر الأنصار إنى أخوكمُ * وإنى لمعروفٍ أتى[1] منكمُ أهلُ

ومن أجل إيواء النبىّ ونصره * يحبكمُ قلبى وغيركمُ الأصلُ[2]

١٢١ / ١٤

فقال النعمان بن بشير : لا عليه ألا يتقرّب[3] ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنفذها أبدا .

يسمع غناء عزة الميلاء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا الأصمعىّ[4] ، قال : حدّثنى شيخ قديم[5] من أهل المدينة . وأخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة[4] قال : حدّثنا أبو غسان ، عن أبى السائب المخزومىّ . وأخبرنى الحسين بن يحيى المرداسىّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ذكر لى عن جعفر بن محرز الدوسىّ[6] قال :

دخل النعمان بن بشير المدينة فى أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال : والله لقد أخفقتْ أذناى من الغناء ، فأسمعونى . فقيل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء ، فإنها من قد عرفت . فقال : إى ورب الكعبة ، إنها لمن تزيد النفس طيبا ، والعقل شحذا . ابعثوا إليها عن رسالتى ، فإن أبتْ صرت إليها . فقال له بعض القوم : إن النقلة تشتدّ عليها ، لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النعمان بن بشير : وأين النجائب عليها الهوادج ؟ فوجه إليها بنجب ، فذكرت علة . فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان عذرها ، وقال لها : غنى ، فغنت :

---

(١) أنى : حان . وفى مب : أبى ، وفى بقية الأصول : أتى ، بالتاء . (٢) «وغيركم الأصل» : يريد إنى أحبكم وإن كان غيركم أهل . (٣) يتقرّب : وهى رواية ف ، مب ج . وفى بقية الأصول : يقترب . يريد لا بأس عليه فى ألا يكون قريبا من الأنصار . (٤) هذه العبارة عن ف ، مب ، والأغانى ٩ : ١٣ (٥) فى الأغانى (٩ : ١٣) : قدم من المدينة . (٦) الأغانى (٩ : ١٣) : السدوس .

صـــوت[1]

أجـــدّ بعَمرة غُنيانهـا * فتهجرَ أم شأنُنا شأنُهـا
وعمرة من سَروات النسا * ء تنفَح بالمسك أردانهـا

قال : فأشير إليها أنهـا أمه ، فأمسكت . فقال : غنى، فوالله ما ذكرتِ إلا كرما
وطيبا ، ولا تغنّى سائر اليوم غيره . فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدىّ، فقال : ألا أزيدكم
فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى ، يا أبا عبد الرحمن . فقال : قال لقيط ونحن عنـد سعيد
الزبيرىّ[2] ، قال عامر الشعبىّ :

اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزل عزة المَيْلاء ، فلما انصرف
إذا آمرأة بالباب منتظرة له . فلمـا خرج شكت إليه كثرة غِشيان زوجها إياها ،
فقال النعمان : لأقضين بينكما بقضية لاتُرَدّ علىّ، قد أحل الله له من النساء أربعا :
مثنى، وثلاث، ورباع، له مرتّان[3] بالنهار، ومرتّان[3] بالليل .

أخبرنى محمـد بن الحسن بن دريد ، قال حدّثنى عمى ، عن العبـاس بن
هشام[4] ، عن أبيه ؛ وأخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبى[5].
وأخبرنى عمى قال : حدّثنا الكِرانىّ قال : حدّثنى العُمَرىّ عن الهيثم بن عدى، قالوا :

(١) صوت : ساقطة من الأصول غير ف ، مب . (٢) ف ، مب : سعيد الزبيرىّ .
(٣) مرتان : كذا فى الموضعين بدون همز بين الراء والتاء فى جميع الأصـول المخطوطة ، وهى لغة الحجاز بين الذين يفرّون من الهمز . وفى المطبوعتين ب ، س : مرأتان . وفى الأغانى (٩ : ١٤) : امرأتان . أو لعله تثنية مرة أى يأتيها مرتين نهارا ، ومرتين ليلا ، فكأنه يأتى أربع نساء ، اثنتين ليلا ، واثنتين نهـارا . (٤) ف : العباس عن هشام . تحريف . (٥) كذا فى ف .
وفى الأصول : ابن الكلبى .

أعشى همدان يمدحه

خرج أعشى همدان إلى الشام فى ولاية مروان بن الحكم ، فلم ينل فيها حظا ؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص ، فشكا إليه حاله . فكلم له النعمان اليمانية ، وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه . فقال : أعطوه دينارا ، واجعلوا ذلك معجلا . فقالوا له : أعطه إياه من بيت المال ، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه . ففعل النعمان ذلك ، وكانوا عشرين ألفا ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها * كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن * كمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور
متى أكفر النعمان لا ألف شاكرا * وما خير من لا يقتدى بشكور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل * ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير

الأخطل يهجو الأنصار

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، وحبيب بن نصر المهلّبى قالا : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا يحيى الزبيرى[1] قال حدّثنى ابن أبى زريق ، قال : شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية ، فقال :

رملَ هل تذكرين يوم غزال * إذ قطعنا مسيرنا بالتمنى
إذ تقولين عمرك الله هل شيء وإنْ جلّ سوف يُسليك عنى
أم هل اطمعت منكم يابن حسا[2] * ن كما قد أراك أطمعت منى

(١) ف : أبو يحيى الزهرى .
(٢) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : اطمعت يا بن حسان فى ذاك .

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج[1] من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يا يزيد، ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوى القدرة، ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرنى به. فلما قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغنى أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحدا أشرف لشعرى منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا، فيكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية فى ذلك، فأرسل إلى كعب بن جعيل، فقال: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين. قال: لا تخف شيئا، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته[2] * كالجحش بين حمارة وحمار

لعن الإله من اليهود عصابة * بالجزع بين صليصل وصدار[3]

---

(١) للعلج فى لسان العرب معان، منها الرجل الغليظ، والرجل من كفار العجم، وهو لفظ شائع عندهم فى السب. وفى ج: العجل، تحريف.

(٢) ابن الفريعة: كنية حسان بن ثابت الأنصارى، والفريعة: أمه، وهى فريعة بنت خالد ابن خنيس بن لوذان. وأصل معنى الفريعة: القملة. أو لعله الفارعة ثم صغره تصغير الترخيم.

(٣) اليهود: كذا فى ف، (ب ١٣: ١٤٨). وفى بقية الأصول: المهور، ولعله تحريف. وصليصل: تصغير صلصل، موضع بناحية المدينة، على سبعة أميال منها. وصدار، كغراب: موضع قرب المدينة، وفى ف: وصفار.

قــوم إذا هــدر العصيرُ رأيتهــم * حمــرا عيونُهمُ من المُسْطار (١)

خَلُّوا المكارم لستمُ من أهلها * وخـــذوا مساحيكم بنى النجار (٢)

إن الفــوارس يعرفون ظهوركم * أولادَ كل مقبَّـــح أكار (٣)

ذهبت قريش بالمكارم والعـــلا * واللــؤم تحت عمــائم الأنصار (٤)

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال : يا أمير المؤمنين، أترى لؤما ؟ قال : بل أرى كرما وخيرا . فما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار . قال : أَوَفعل ذلك ؟ قال : نعم . قال لك لسانه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولا، فأدخله عليه . فقال له : هذا الذى كنت أخاف . قال : لا تخف شيئا . ودخل إلى معاوية، فقال : علام أُرسل إلى هذا الرجل الذى يمدحنا، ويرمى من وراء جَمْرتنا (٥) ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا تقبل قوله عليــه، وهو المدعى لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئا أخذت به له . فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل :

وإنى غداة اســتعبرتْ أم مالك * لَرَاضٍ من السلطان أن يتهــددا (٦)

(١) المسطار : كذا فى ف . وفى (ب ١٣ : ١٤٨)، وفى بقية الأصول : المصطار . وهما لغتان فى الخمر التى اعتصرت حديثا من أبكار العنب، أو الخمر الحامضة .

(٢) المساحى : جمع مسحاة، وهى المجرفة من الحديد، يجرف بها الطين من على وجه الأرض . يهجوهم بأنهم حراثون، يقلبون الأرض بمساحيهم . وبنو النجار : فريق من أهل المدينة .

(٣) الأكار : الحراث الزارع . (٤) كذا فى ف . وفى أكثر الأصول : « بالمكارم كلها » .

(٥) أصل الجمــرة : القبيــلة التى لا تنضم إلى غيرها بحلف أو نحــوه فى القتال؛ والمــراد هنا : الجماعة مطلقا . (٦) « غداة اســتعبرت » : كذا فى ف والأغانى (ب ١٣ : ١٤٨) . وفى جميع الأصول هنا : « وإن استعبرت » . ويلزم على هذه الرواية قطع همزة الوصل للضرورة .

ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه * تجللتُ حِدْبارا من الشر أنكدا (١)

فكم أنقذتْنى من خطوب حبالُه * وخَرْساء لو يُرْمَى بها الفيل بلّدا (٢)

ودافع عنى يوم جِلّقَ غمرة * وهمّا ينسّينى الشراب المبرّدا (٣)

وبات نجيّا فى دمشقَ لحيةٍ * إذا همّ لم يَنَم السليمُ وأقصدا (٤)

٥ يُخافته طورا، وطورا إذا رأى * من الوجه إقبالا ألحّ وأجهدا (٥)

أبا خالد دافعت عنى عظيمة * وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

وأطفأت عنى نار نعمان بعدما * أغذ لأمر فاجر وتجردا (٦)

ولما رأى النعمان دونى ابن حرّة * طوى الكشح إذ لم يستطعنى وعرّدا (٧)

حدثنى عمى، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنى، عن أبى بكر

١٠ الهذلى، قال:

لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادّى أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوما آوَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تجللت: علوت. والحدبار من النوق: الضامرة التى قد يبس لحمها من الهزال، وبدا عظم ظهرها. وجعل ذلك مثلا للأمر الصعب. وهذه رواية (ب ١٣: ١٤٩). وفى سائر الأصول هنا:

١٥ «تحللت جرباذاى» تحريف. (٢) الخرساء: كذا فى الأغانى (ب ١٣: ١٤٩). وفى سائر الأصول: كرساء. تحريف. والخرساء: الداهية. وبلد: ضعف واستكان، أو سقط إلى الأرض. وفى ف: «عردا». (٣) الغمرة: الشدة. والشراب: كذا فى ف. وفى الأصول: السلاف. وهو خالص الخمر، أو ما سال من العنب قبل أن يعصر.

(٤) نجيا: مسارا. والحية هنا: الرجل الداهى الشديد. والسليم: الملدوغ. وأقصدت الحية

٢٠ الرجل: إذا عضته فمات فى مكانه. (٥) البيت عن ف، مب.

(٦) أغذ: أسرع، وهذه رواية ف، مب. وفى بقية الأصول: أعد.

(٧) البيت عن ف، مب. وعرد عنه: انحرف وبعد.

ونصره ؟ ! قال : أما إذ كنت غير فاعل فأرشدنى إلى من يفعل ذلك . قال : غلامٌ منا خبيث الدين نصرانى ، فدله على الأخطل .

تهاجى عبد الرحمن ابن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن أبى الخطاب ، قال :

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم ابن أبى العاصى ، وتفاحشا ، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصى وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط ، وكان ابن حسان صديقا لسعيد ، وما مدح أحدا غيره قط ، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه ، فأمسك عنهما . ثم ولى مروان . فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مئة سوط ، ولم يضرب أخاه . فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشأم ، وكان كبيرا أثيرا مكينا عند معاوية : ١٠

ليت شعرى أغائبٌ ليس بالشا * م خليلى أم راقدٌ[1] نعمان

أيةٌ ما يكن فقد يرجع الغا * ئب يوما ويوقظ الوسنان

إن عمرا وعامرا أبوينا * وحراما قِدْما على العهد كانوا

أفهم مانعوك أم قلة الكـ * ـتّاب أم أنت عاتب غضبان

أم جفاء أم أعوزتك القراطيـ * ـس أم أمرى به عليك هوانُ ١٥

يوم أُنبئتَ أن ساقِىَ رُضَّت * وأتتكم بذلك الركبان

ثم قالوا إن ابن عمك فى بلـ * ـوى أمور أتى بها الحِدْثانُ

---

(١) ليس بالشام كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أنت بالشام . وراقد : كذا فى (ب ١٣ : ١٥٢) . وفى مب : شاهد . وفى بقية الأصول : عاتب ، ويؤيد الرواية الأولى قوله فى البيت بعده : « ويوقظ الوسنان » . ٢٠

فنسيت[1] الأرحام والــودّ والصحــ * ــبة فيما أتت به الأزمانــ

إنمــا الرمح فاعلمنّ قنــاة * أو كبعض العيدان لولا السنان

وهي قصيدة طويلة . فدخل النعمان بن بشير على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك أمرت سـعيدا بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة ، فلم يفعــل ،
٥ ثم وليت أخاه ، فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه : قال ، فتريد ماذا[2] ؟ قال :
أن تكتب إليــه بمثل ما كتبت به إلى سـعيد . فكتب معاوية إليــه يعزم عليه
أن يضرب أخاه مئة . فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسان بحُلة ، وسأله أن
يعفو عن خمسين . ففعل ، وقال لأهل المدينة : إنما ضربني حد الحر مئة ، وضربه
حد العبد خمسين . فشاعت هـذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم . فجــاء إلى أخيه
١٠ فأخبره ، وقال : لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان . فبعث إليه مروان : لا حاجة
لنا فيما تركت ، فهلم فاقتص من صاحبك . فحضر فضربه مروان خمسين أخرى .

امرأته الكلبية

أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرنا أحمد بن الحــارث ، قال : حدثنــا
المدائني ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب[3] :

أن معاوية تزوج امرأة من كَلْب ، فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن معاوية :
١٥ ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هــذه[4] . فأتتها فنظرت إليهــا ، ثم رجعت فقالت :
ما رأيت مثلها ، ولقــد رأيت خالا تحت سرتها ليوضَعنّ تحت مكانه في حجــرها

(١) كذا في ب ، وفي سائر الأصول المخطوطة : فنبط . (٢) أخر ماذا عن صدر الجملة
مع أنها من ألفاظ الاستفهام التي لها صدر الكلام ، وهو أسلوب عربي مخصوص بما إذا ركبت
مع ذا (انظر حاشية يس على التصريح : باب الاسم الموصول) . (٣) كذا في ف ، مب وفي بقية
٢٠ الأصول : مسلمة بن محارب . (٤) كانت ميسون بنت بحدل أم يزيد كلبية أيضا ، وكلب
من قضاعة .

١٢٤ / ١٤

رأس زوجها . فتطير من ذلك، فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها، فتزوجها النعمان بن بشير، فلما قتل وضعوا رأسه فى حجرها .

مقتله

قالوا : وكان النعمان بن بشير لما قُتل الضحاك بن قيس بمرْج راهط، فى خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، وكان عاملا عليها، فخالف ودعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص، فقتلوه واحتزوا رأسه . فقالت امرأته هذه الكلبية : أَلقوا رأسه فى حجرى، فأنا أحق به . فألقوه فى حجرها، فضمته إلى جسده، وكفنته ودفنته .

يغضب من معاوية فيرضيه

أخبرنى هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخزاعى، قال : حدثنا أبو غسان دماذ، قال : حدثنا أبو عبيدة، قال :

نظر معاوية إلى رجل فى مجلسه، فراقه حسنا وشارة وجسما، فاستنطقه فوجده سديدا . فقال له : ممن أنت ؟ قال : ممن أنعم الله عليه بالإسلام، فاجعلنى حيث شئت يا أمير المؤمنين . قال : عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة، الكثير عددها، التى لا تمنع من دخل فيهم، ولا تبالى من خرج منهم . فغضب النعمان بن بشير، ووثب من بين يديه، وقال : أما والله أنك ماعلمتُ لسيىء المجالسة لجليسك، عاقّ بزَوْرك[1]، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك . فأقسم عليه إلا جلس فجلس . فضاحكه معاوية طويلا، ثم قال له : إن قوما أولهم غسان وآخرهم الأنصار، لكرام . وسأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضى .

أول شعر قاله

نسخت من كتاب أبى سعيد السكرى بخطه : أخبرنا ابن حبيب، قال : قال خالد بن كلثوم .

---

(١) الزور : مصدر مراد به الزائر أو الزائرون .

خرج النعمان بن بشير فى ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حَفير[1] ، وحاضرتها بنو القَين . فأهدت لهم امرأة من بنى القين يقال لها ليلى، هدية[2] . فبينا القوم يتحدثون و يذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعرا ؟ قال : لا والله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج[3] يقال له ثابت بن سِماك : لم تقل شعرا قط ؟ قال : لا . قال : فأقسم عليك لتُرْبَطن إلى هذه السرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم ، أو تقول شعرا . فقال عند ذلك، وهو أول شعر قاله :

يا خليلىّ ودعا دار ليلى * ليس مثلى يحل دار الهوان
إن قَيْنية تحل مُحِبا * وحفيرا بجنبتى تَرْفُلان[4]
لا تؤاتيك فى المغيب إذا ما * حال من دونها فروع قَنان[5]
إن ليلى ولو كلفت بليلى * عاقها عنك عائق غيرُوان[6]

قال : وضرب الدهر على ذلك، وأتى عليه زمن طويل . ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك، وهو أمير على حمص . فلما رآها عرفها، فأنشأ يقول :

ألا استأذنت ليلى فقلنا لها لِجِى * ومالكِ ألا تدخلى بسلام
فإن أناسا زرتهم ثم حرَّموا * عليك دخول البيت غير كرام

وأحسن صلتها، ورفدها[7] طول مقامها، إلى أن رحلت عنه .

---

(١) كذا فى ف ، مب ومعجم البلدان لياقوت وفى البيت الثانى من الأبيات الآتية . وقد اشتبه أمره على ياقوت ، فذكر الشعر الآتى مرة ثانية فى رسم ضفير . والصواب : حفير ، بالحاء المهملة .

(٢) ج : هبة . (٣) كذا فى ف، مب ، ح . وفى الأصول : الحارث بن الحارث . وفى ج بعدها خرم بمقدار اثنتى عشرة صفحة من مطبوعة بولاق . (٤) محب وحفير وترفلان : مواضع بالشام . وفى معجم البلدان لياقوت : «لحفيرا بجنتى ترفلان» . (٥) قنان : جبل بأعلى نجد .

(٦) فى معجم البلدان : وإن، فى موضع : ولو . وهى أجود . وغيروان : كذا فى ف ، مب، ومعجم ياقوت . وفى الأصول : « وأوان » . تحريف . (٧) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : فاستحسن صلتها وزودها . وفى س والديوان : فأحسن صلتها وزودها .

الأنصار خير ألقاب أهل المدينة

أخبرنى عمى، قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد، قال: حدثنى محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من الأنصار، قال:

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبى سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة[1] — وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان — فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال له عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ اردُد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إنى أخاف من ذلك الشُّنعة. فقال: هى كلمة تقولها، إن مضت عضتهم[2] ونقصتهم، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظرا منكرا، فقال له: باعدتَ جدا. فقال: اخرج فقل: من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل أحد. فقال له معاوية: أُخرج فقل[3]: من كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدُمهم النعمان بن بشير وهو يقول:

يا سعد لا تُعِد الدعاء فما لنا * نسب نجيب به سوى الأنصار[4]

نسب تخيّره الإله لقومنا * أثْقِل به نسبا على الكفار[5]

إن الذين ثوَوْا ببدر منكمُ * يوم القَليب همُ وقود النار

(١) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: أبو درة. (٢) كذا فى ف. وفى مب، والديوان: عضضتهم. وفى الأصول: عرتهم. (٣) عن ف و مب.

(٤) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: لا تجب الدعاء. وفى الديوان: لا تعد النداء... نجيب له.

(٥) كذا فى ف، مب والديوان. وفى الأصول: إلى الكفار.

فقال معاوية لعمرو : قد كنا أغنياء عن هذا (١) .

الشعراء من آل النعمان

والنعمان بن بشير : هو من المعروفين فى الشعر سلفا وخلفا ، جده شاعر ، وأبوه شاعر ، وعمه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء .

فأما جده سعد بن الحصين (٢) فهو القائل .

٥ إن كنت سائلة والحق مَعْتَبة * فالأزد نسبتُنا والماء غسان (٣)

شم الأنوف لهم عز ومكرمة * كانت لهم من جبال الطَّوْد أركان (٤)

وعمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد ، القائل :

إذا لم أزر إلا لآكل أكلة * فلا رفعت كفى إلى طعامى

فما أكلة إن نلتها بغنيمة * ولا جَوْعة إن جعتها بغرام

١٠ وأبوه بشير بن سعد الذى يقول (٥) :

---

(١) زاد الديوان فى هذا الخبر هنا : « فقام مغضبا فانصرف ، فبعث فيه معاوية ، فرده وترضاه ، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار ، وقال لعمرو : قد كنا عن هذا أغنياء » .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وهو غلط من المؤلف نبه عليه ناشر الديوان . ولعل صوابه : سعد أبو الحسين . والحسين : عم النعمان بن بشير . والبيتان المنسوبان إليه ينسبان أيضا إلى حسان ١٥ ابن ثابت ، وهما فى ديوانه مع بعض اختلاف فى الرواية .

(٣) معتبة : موجدة . يريد أن الحق يثقل على النفوس سماعه ، فيورث العتاب والغضب . وفى ديوان حسان : مغضبة . ويروى الشطر الأول فى ديوان النعمان (ص ٣١) وسيرة ابن هشام (١ : ١٠) « إما سألت فإنا معشر نجب » ، وفى ديوان حسان وسيرة ابن هشام : « الأسد نسبتنا » . والأسد : لغة فى الأزد ، وهو الأسد بن الغوث ، من أجود الأنصار . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن ، كان شربا ٢٠ لبنى مازن بن الأزد بن الغوث ، وهم الأنصار و بنو جفنة وخزاعة . ويقال : غسان : ماء بالمشلل ، قريب من الجحفة : (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) جبال الطود : هى جبال السراة . وفى ديوان حسان : « كجبال الطود » ، وفيه أيضا : « لهم مجد » . (٥) ذكر ياقوت الأبيات : ١ ، ٢ ، ٥ و بيتا آخر من القصيدة ، ونسبها لبشير بن سعد أبى النعمان ، ونسبها السكرى إلى حسان بن ثابت ، وهى فى ديوانه (ص ٤٢) . وتنسب أيضا لسعد ٢٥ ابن الحصين من بنى الحارث بن الخزرج . ويبدو أن الأبيات المذكورة هنا ملفقة من أقوال هؤلاء الشعراء لأن المعنى غير متسق فيها جميعها .

لعمـــرةَ بالبطحاء بين معـــرِّفٍ * وبين المطـافِ مسكن ومحاضر (١)

لعمـرى لَحَىٌّ بين دار مزاحم * وبين الجُثَا لا يجشم السير حاضر (٢)

وحى حِـــلالٌ لا يروَّع سَرْبهـم * لهم من وراء القاصيات زوافـــر (٣)

أحق بهــا من فتيــة وركائب * يقطع عنها الليــلَ عوجٌ ضــوامر (٤)

تقول وتذرى الدمع عن حُروجهها * لعلك نفسى قبل نفسك باكــر (٥)

أباح لهــا بِطــريق فارس غائطا * لها من ذرا الجَوْلان بقل وزاهر (٦)

١٢٦ / ١٤

(١) الظاهر من رواية (ف) أن البطحاء، هى بطحاء مكة . ومعرف : موضع الوقوف بعرفات ، والمطاف : حيث يطوف الناس بالبيت . وفى الأصول : بيت ، فى مكان : « بين » الأولى . والبطاح ، فى مكان : « المطاف » . والمعنى على هذه قريب من معنى الرواية الأولى . فهما تحددان مواضع قرب مكة . وفى ديوان حسان ومعجم البلدان لياقوت : « لعمرك » فى مكان « لعمرة » . وفى ديوان حسان أيضا : « نطاة » فى مكان « البطاح » . وفى معجم ياقوت : «النطاق» ، وعلى هذه الروايات الأخيرة يختلف معنى البيت ، إذ يكون قصد الشاعر تحديد مكان قريب من المدينة ، وهو الأشبه بالشاعر ، لقرب موطنه (المدينة) من هذه الأماكن . (٢) الجثا : الحجارة التى توضع على حدود الحرم ، أوهى الأنصاب التى كانت تذبح عليها الذبائح ، واحدتها جثوة . وجثا أيضا كربا : جبل من جبال أجأ ، مشرف على رمل طيىء . والجثوة أيضا : حجارة من تراب متجمع كالقبر .

(٣) الحى الحلال : القوم المقيمون بأرضهم . والسرب : المـال الراعى من الإبل ، أو من جميع الماشية . والقاصيات : جمع قاصيـة : موضع ، ولعله جمعه بمـا حوله . والزوافر : جمـع زافرة ، وهم الرهط والعشــيرة والأنصار . وفى الأصــول : « وحى حلال لا يكثر » ، تحريف . وفى ديوان حسان : لا يكمش ، أى لا يساق بإعجال .

(٤) قبل هذا البيت فى ديوان حسان بيت آخر ، وهو :

إذا قيل يوما اظعنوا قد أتيتم * أقاموا ولم تجلب إليهم أباعر

ويظهر لنـا أن الأبيات غير متلاحقة ، أو ليست من قصيدة واحدة ، لغموض الصلة بينها . والعوج : جمع أعوج وعوجاء ، وهو من الخيل والإبل ما كان فى يديه عوج ، وهو من الصفات المستحسنة فيها . والضوامر : جمع ضامر وضامرة ، وهى القليلة اللحم والشحم .

(٥) لعــل الضمير فى تقول يرجع إلى « عمرة » . وتذرى : تســقط . وباكر : وصف من بكر إذا تقدّم ، تريد أنك مقدم على إهلاكى قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة .

(٦) الغائط : المكان المنخفض يزرع .

فقــرّبتها للرحلِ وهى كأنهــا * ظليمُ نعــامٍ بالسماوة نافــر
فأوردتهــا ماء فما شربت به * ســوى أنه قــد بُلّ منهــا المشافر
فباتت سُراها ليــلة ثم عرست * بيــثربَ والأعراب بادٍ وحاضر

قال خالد بن كلثوم :

٥ ودخل النعمان بن بشير على معاوية لمــا هجا الأخطل الأنصار، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقول :

غضبه من هجاء الأخطل للأنصار

معاويَ إلّا تعطنا الحــق تعترفْ * لِحَى الأزد مشــدودا عليها العمائم
أيشتمنا عبــد الأراقم ضَــلّة (١) * وماذا الذى تجدى عليــك الأراقم
فمــالِىَ ثأر غيرَ (٢) قطــع لسانه * فدونك من يرضيه عنك الدراهم
١٠ وأَرْعِ (٣) رويدا لا تَسُــمنا دَنيــة * لعلك فى غِب الحــوادث نادم
متى تلق منا عصــبة خزرجيــة * أو الأوس يوما تخترمك (٤) المخــارم
وتلقك خيــل كالقطا مسبطرّة (٥) * شماطيطُ أرسال عليهــا الشكائم
يسوّمها العَمْرانِ عمــرو بن عامر * وعمــران حتى تســتباح المحــارم
ويبدو من الخَودِ الغريرة حِجلها * وتبيض من هول السيوف المَقادم
١٥ فتطلب شَعْب الصدع بعد انفتاقِهِ * فتعيا به فالآن والأمر سالم

(١) الأراقم : أحياء من تغلب ، وهم ســتة : جشم ، ومالك ، وعمرو ، وثعلبة ، ومعــاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب . ويريد بعبد الأراقم : الأخطل ، أى عبد من الأراقم .

(٢) « غير » كذا فى ف . وفى الأصول : « دون » .

(٣) « وأرع رويدا » أى كن برعيتك شفيقا . وفى الأصول عدا ف : « وزاع » .

٢٠ (٤) تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق فى الجبال . يريد : نغزوك فتصبح طريدا تتجاذبك مخارم الجبال، فتهلك .

(٥) مسبطرة : طويلة سريعة . والشماطيط : المتفرقة المتتابعة . والأرسال : جمع رسل ، بمعنى الشماطيط .

وإلا فــبَزِّى لَأْمــة تُبَّعِيــة * مواريث آبائى وأبيض صـارم

وأجرد خــوّار العِنـان كأنه * بدُومة موشىّ الذراعين صـائم (١)

وأسمــر خَطِّى كأنّ كعوبه * نوى القَسْب فيها لَهْذَمىّ ضُبارِم (٢)

فإن كنت لم تشهد ببـدر وقيعة * أذلت قـريشا والأنوف رواغم

فسائل بنـا حيّ لؤىّ بن غالب * وأنت بمـا تخفى من الأمر عالم

ألم تبتدركم يوم بدر سـيوفنا * وليلك عمـا ناب قومـك نائم (٣)

ضربنـاكمُ حتى تفرق جمعـكم * وطارت أكف منـكمُ وجماجم

وعاذت على البيت الحرام عوانس * وأنت على خوفٍ عليـك تمـائم (٤)

وعضت قريش بالأنامل بِغضة * ومن قبلُ ما عُضت علينا الأباهم (٥)

فكنّا لهـا فى كل أمر تكيده * مكان الشَّـجا والأمر فيـه تفاقم

فمـا إن رمى رام فأوهى صَـفاتَنا * ولا ضامنا يوما من الدهر ضائم

وإنى لأغضى عن أمور كثيرة * ستُرقَى بهـا يوما إليك السـلالم

أصانع فيهـا عبد شمس وإننى * لتلك التى فى النفس منى أكاتم

فلا تشـتُمنّا يابن حرب فإنمـا * ترقَّى إلى تلك الأمورِ الأشـائم (٦)

فما أنت والأمرَ الذى لستَ أهله * ولكن ولى الحـق والأمر هاشم

(١) البيت عن ف وحدها ، مب ، ورواية الأخيرة : صارم .

(٢) القسب : التمر اليابس يتفتت فى الفم ، صلب النوى ، تشبه بنواه الرماح فى الصلابة . واللهذم واللهذمى : القاطع من الأسنة . والضبارم : الشديد الخلق من الأسد ، استعاره وصفا للرمح . وفى ف ، مب : خثارم . وفى بقية الأصول : حيازم ، ولعلها تحريف عما أثبتناه .

(٣) «ليلك نائم» : كذا فى ف . يريد وأنت نائم غافل فى ليلك . وفى الأصول : قائم . وهى صحيحة .

(٤) عاذت على البيت : كذا فى الأصول . والذى فى المعاجم : عاذ بكذا ، إذا التجأ إليه . فلعل الأصل : عاذت إلى البيت .

(٥) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : الأداهم .

(٦) البيت : عن ف ، مب . والأشائم بالرفع نعت مقطوع عما قبله .

إليهم يصير الأمر بعد شتاته * فمن لك بالأمر الذى هو لازم

بهم شَرَع الله الهدى واهتدى بهم * ومنهم له هادٍ إمامٌ وخاتم

١٢٧/١٤ قال : فلما بلغت هذه الأبيات معاوية ، أمر بدفع الأخطل إليه ، ليقطع لسانه . فاستجار بيزيد بن معاوية ، فمنع منه ، وأرضَوُا النعمان ، حتى رضى وكفّ عنه .

ينصر عبد الرحمن بن حسان

٥ وقال عمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه : لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد ، ولم يضرب أخاه ، حين تهاجيا وتقاذفا ، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكى ذلك إليه ، فدخل إلى معاوية ، وأنشأ يقول

يابن أبى سفيانَ ما مثلُنا * جار عليه ملك أو أمير

اذكر بنا مَقْدَمَ أفراسنا * بالحِنْو إذ أنت إلينا فقير

١٠ واذكر غداة الساعدىّ الذى[(١)] * آثركم بالأمر فيها بشير

واحذر عليهم مثل بدر فقد * مر بكم يومٌ ببدر عسير

إن ابن حسان له ثائر[(٢)] * فأعطه الحق تَصِحّ الصدور

ومثلُ أيام لنا شتتت * ملكا لكم أمرك فيها صغير

أما ترى الأزد وأشياعها * تحوك[(٣)] خُزْرا كاظمات تزير

١٥ يطوف[(٤)] حولى منهمُ معشر * إن صُلْتُ صالوا وهم لى نصير

---

(١) الساعدىّ : يريد اليوم الساعدى ، نسبة إلى بنى ساعدة من الأنصار أصحاب السقيفة ، وقد كان بشير بن سعد أبو النعمان أول أنصارى بايع أبا بكر بالخلافة ، مؤثرا بها قريشا على قومه .

(٢) ثائر : ناصر ، يثور له ويطالب بحقه .

(٣) تحوك : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : تجول . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه غضبا ، وتزير : تصيح غضبا كالأسد ، وأصله تزئر ، بوزن تضرب ، فسهل الهمزة ياء .

٢٠ (٤) يطوف : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : يصول .

يأبى لنا الضيم فلا يعتلى * عز منيع وعديد كثير
وعنصر فى حُرٍّ جرثومة[1] * عاديّة تنقل عنها الصخور

لقب الأنصار

أخبرنى محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنى أحمد بن الهيثم الفِراسى، قال: حدّثنى العمرى، عن الهيثم بن عدى، قال:

٥ حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد أبو دُرّة، وكان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال: استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية: الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسبا؟ اردُدهم إلى نسبهم. فقال معاوية: إن علينا فى ذلك شناعة. قال: وما فى ذلك؟ إنما هى كلمة مكان كلمة، ولا مردّ لها. فقال له معاوية: ١٠ اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له: اخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فنادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول:

يا سعد لا تُعِد الدعاء فما لنا * نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيّره الإله لقومنا * أثقل به نسبا على الكفار
١٥ إن الذين ثَوَوا ببدر منكم * يوم القَليب هُمُ وقود النار

وقام مغضبا وانصرف. فبعث معاوية فردّه، فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار.

مختار شعره

ومن مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها:

إذا ذُكرت أم الحويرث أخضلت[2] * دموعى على السربال أربعة سكبا

٢٠ (١) حر جرثومة: كذا فى ف. وفى الأصول: عز جرثومة. والجرثومة: الأصل.

(٢) أخضل الدمع الثوب: بله. وقد ضمنه الشاعر معنى سقط، فعداه بعلى.

كأنى لما فرّقتْ بيننا النّوَى * أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا

١٢٨ / ١٤

وكنا كماء العين والجفن لا ترى * لواش بغى نقض الهوى بيننا إربا (١)

فأمسى الوشاة غيّروا وُدَّ بيننا * فلا صلةٌ ترعَى لدىّ ولا قُربَى

جرى بيننا سعى الوشاة فأصبحت * كأنّى ـ ولم أذنب ـ جَنيتُ لها ذنبا

٥ فإن تصرمينى تصرمى بىَ واصلا * لَدَى الود معْراضا إذا ما النوى صعبا

عَزوفا إذا خاف الهوان عن الهوى * ويأبى فلا يعطى مودته غصبا

فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى * فمثل الذى لاقيت كلفنى نُصْبا (٢)

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، وأولها :

أهيَّجَ دمعَك رسمُ الطلَلْ * عفا غيرَ مطّردٍ كالخِلَلْ (٣)

١٠ نعم فاستهلّ لعرفانه * يَسح ويَهمى بفَيْض سَبِل (٤)

ديار الألوف وأترابها * وأنت من الحب كالمختبِل (٥)

ليالىَ تَسْبِى قلوب الرجا * ل تحت الخدور بحسن الغزل

من الناهضات بأعجازهن * حين يقوم جزيلُ الكفل

كأن الرُّضاب وصَوْب السحا * ب بات يُشاب بذَوْب العسل

١٥ من الليل خالط أنيابها * بُعيد الكرى واختلاف العلل (٦)

(١) الجفن : كذا فى ف، مب . وفى الأصول : الحسير . تحريف والإرب : الحاجة .

(٢) النصب : الداء والبلاء والشر .

(٣) الخلل : جمع خلة ، وهى بطانة تنقش بالذهب ، يغشى بها جفن السيف .

(٤) استهل : جرى وسال . والسبل : المطر الجود الهاطل . ورواية الشطر الثانى فى الديوان

٢٠ ص ١٠ : « سراعا وجادت بفيض سبل » .

(٥) رواية الشطر الثانى فى الديوان : « إذا أنت ملحب كالمختبل » .

(٦) اختلاف العلل : حدوث النوم بعد النوم . ورواية الديوان :

من الليل شارك أنيابها * بعيد الرقاد وبعد الكسل

أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال :

وكأن طارقها على عَلَل الكرى * والنجمُ وَهْنا قد دنا لتَغَوُّر (١)

يشتمّ ريح مدامةٍ معلولة * بِسحيقِ مسك فى ذكى العنبر (٢)

وفى هذه القصيدة يقول النعمان :

وأروعَ ذى شرف حازم * صروم وصولٍ حبال الخُلل (٣)

كريم البلاء صبور اللقا * ءِ صافى الثناء قليل العذَل (٤)

عظيم الرماد طويل العما * دِ وارى الزناد بعيد القَفَل (٥)

أقمت له ولأصحابه * عمود السُّرَى بذمولٍ رمل (٦)

مداخَلةٍ سَرْحة جسرةٍ * على الأين دَوْسَرة كالجمل (٧)

(١) وهنا : ساعة فى وسط الليل .

(٢) يشتم : كذا فى ف، مب . وفى الأصول : كنسيم . وفى الأغانى (٨ : ١٠١) : يستاف . وهى بمعنى يشتم . ورواية البيت فى هذا الموضع من الأغانى :

يستاف ريح مدامة معجونة * بذكى مسك أو سحيق العنبر

(٣) الأروع من الرجال : الذى يعجبك حسنه . والخلل : جمع خلة ، وهى الحبيبة . ورواية الشطر الأول فى الديوان :

* وأفيح ذى سرب حازم *

(٤) فى الديوان : « قليل العلل » .

(٥) القفل : كذا فى مب ، والديوان ، وهو الرجوع من أماكن الغزو البعيدة . وفى بقية الأصول : العقل . تحريف .

(٦) العمود : طريق السير الذى تستقيم عليه السيارة . والذمول : الناقة تسير الذميل ، وهو ضرب من سير الإبل فوق العنق . ورمل : أى ذات رمل ، وهو ضرب من السير سريع ، وهو الهرولة . وفى الديوان : « ولأشباهه » فى مكان « ولأصحابه » .

(٧) مداخلة : كذا فى ف ، مب ، أ ، الديوان . وهى المكتنزة المدمجة الخلق . وفى س : بذعلبة ، وهى الناقة السريعة ، شبهت بالذعلبة ، وهى النعامة . والسرحة : الطويلة الجسم ، وأصلها الشجرة العظيمة . والجسرة : الماضية ، أو الطويلة الضخمة . والأين : التعب والكلال . والدوسرة : الضخمة الشديدة .

عبد الله بن النعمان

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، وهو القائل :

ماذا رجاؤك غائبا * من لا يَسُرُّك شاهدا
وإذا دنوت يزيده * منك الدنو تباعدا

عبد الخالق بن أبان

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير ، شاعر مكثر ، وهو القائل

٥ في قصيدة طويلة :

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر * بأعلى ذُرا العلياء ركنا تأثلا
وخَطَّ حياض المجد مترعة لنا * مِلاءً فعَلَّ الصفوَ منها وأنهلا
وأشرع فيها الناس بعدُ، فما لهم * من المجد إلا سُؤْرُه حين أفضلا (١)
وفي غيرنا مجد من الناس كلهم * فأما كمثل العُشْر من مجدنا فلا

١٠ وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها .

١٢٩ / ١٤

شبيب بن يزيد

ومنهم شبيب بن يزيد (٢) بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر مُجيد، وهو القائل من قصيدة طويلة ، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده، أولها :

يا قلب صبرا جميلا لا تمتْ حَزَنا * قد كنتَ من أن تُرى جَلْدالقُوَى قَمِنا (٣)

١٥ يقول فيها :

يا أيها (٤) الراكبُ المُزْجِي مطيته * لُقِّيتَ حيث توجهتَ الثَّنا الحسنا

(١) أشرع فيها الناس : أي وردوا حياض المجد بعده . والسؤر : البقية تبقى في الحوض ونحوه بعد الشرب . وكذا ورد البيت في مب . وفي ف : ما لهم من الجد . وفي بقية الأصول والديوان : فما لهم من المجد . (٢) كذا في ف ، مب . وفي الأصول : زيد .

٢٠ (٣) يقال : قمن بكذا ، وقمن منه : جدير به

(٤) كذا في ف، مب . وفي الأصول والديوان : يأيها .

أبلغ أميــة أعلاها وأســفلها * قــولا ينفّر عن نُوّامها الوسَــنا
إن الخــلافة أمر كان يُعظمه * خيــارُ أوّلكم قِــدْما وأوّلنا
فقــد بقرتم بأيديكم بطــونكمُ * وقــد وُعظتم فما أحسنتمُ الأَذَنا (١)
أغريتمُ بكمُ جهــلا عــدوكمُ * فى غـير فائدة فاســتوسقوا سَننا (٢)
لما ســفكتم بأيديكم دماءكمُ * بغيــا وغشّــيتمُ أبوابكم درنا ٥

إبراهيم بن بشير

ومنهــم إبراهيم بن بشير بن سعد ، أخو النعمان ، شاعر مكثر ، وهــو القائل فى قصيدة طويلة :

أشاقتك أظعانُ الحُدوج البواكرِ * كنخل النُّجَير الشامخات المَــواقر (٣)
عــلى كل فَتْــلاء الذراعين جَسْرةٍ * وأَعْيَس نَضّاخ المَهَــدّ عُذافِــر (٤)
نعم فاستدرت عبرة العــين لوعة * وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر ١٠
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جِــيرةٌ * من الدهر إلا وقفــةً بالمَشاعر
ألا رُبَّ ليل قد سريتُ سواده * إلى رُدُح الأعجــاز غُرّ المحــاجر (٥)

(١) أذن له أذنا (بتحريك الذال) : استمع .

(٢) البيت من ف ، مب . وفى مب : أغرتم ، فى موضع : أغريتم . واستوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح . يريد : اجتمعوا واتفقوا على عداوتكم . ١٥

(٣) النجير : مكان . والمواقر : جمع موقرة ، وهى ذوات الأحمال . وفى الديوان : الكارعات ، فى موضع : الشامخات .

(٤) فتلاء الذراعين : فى ذراعيها فتل وبعد عن الجنبين ، وهو صفة مستحسنة فى الناقة . والجسرة : الماضية أو الطويلة الضخمة . وفى الأصول عدا ف : مهجر ، وهى الناقة الفائقة فى الشحم والسمن . وجمل أعيس : فيه أدمة . والنضاخ : من النضخ وهو شدة فور الماء فى جيشانه وانفجاره من ينبوعه . ٢٠ والمهد : مصدر ميمى بمعنى الهدّ ، وهو هدير الفحل ، شبه صوته عند هديره بجيشان الماء إذا فار عن الينبوع . وجمل عذافر : صلب عظيم شديد .

(٥) ردح : جمع رداح ، وهى الضخمة . وفى مب : رجح . والأعجاز : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : الأكفال .

ليالىَ يدعونى الصِّبا فأجيبه * أجر إزارى عاصيا أمر زاجرى

وإذ لِمتى مثل الجناح أثيثةٌ * أمشّى الهُوَيْنَى لا يروِّع طائرى

فأصبحت قد ودعت كُمْ بغيره * مخافة ربى يوم تُبلَى سرائرى (١)

حميدة بنت بشير

وبنت النعمان بن بشير، واسمها حُميدة، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر، فكانت تهجو أزواجها. وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومى، وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه :

كهولُ دمشقَ وشبانُها * أحب إلىّ من الجاليه (٢)

صُماحهمُ كصماح التيو * س أعيا على المسك والغاليه (٣)

وقملٌ يدب دبيب الجرادِ * أكاريسَ أعيا على الفاليه (٤)

فطلقها . فتزوّجها رَوْح بن زِنْباع، فهجته، وقالت تخاطب أخاها الذى زوّجها من رَوح، وتقول :

أضل الله حلمك من غلام * متى كانت مَنا كحُنا جذامُ

أترضى بالأكارع والذُّنابَى * وقد كنا يقر لنا السنام

وقالت تهجو رَوحا :

بكى الخزُّ من روح وأنكر جلدَه * وعجّت عجيجا من جُذامَ المطارفُ

وقال العَباء نحن كنا ثيابهم * وأكسيةٌ كدْريّةٌ وقطائف (٥)

---

(١) تبلى : تختبر . (٢) الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم .

(٣) الصماح : العرق المنتن، وهو الصنان . وصماحهم كصماح : كذا فى ف، مب . وفى الأصول : صنانهم كصنان . وفى ديوان النعمان (ص ٤١) : له دفر كصنان . والدفر : هو الصنان .

(٤) أكاريس : جمع أكراس، وهذا جمع كراس بالكسر، وهو الجماعة من كل شىء . كذا رواية الشطر فى ف . وفى الأصول والديوان : (د أعيا على الغالى والعالية) . وفى مب : (د أعيا الغداة على الغالية)

(٥) العباء : نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « وقال العبا قد كنت حينا ثيابهم » .

١٣٠/١٤

فطلقها رَوح، وقال: سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقيئها فى حجرك . فتزوّجت بعده الفيض بن أبى عَقيل الثقفى، وكان يسكر ويقىء فى حجرها . فكانت تقول: أجيبت فىّ دعوة روح . وقالت فى الفيض:

سُمِّيت فَيْضا وما شىءٌ تفيض به * إلا بسَلْحك بين البـاب والدار (١)

فتلك دعوة رَوْح الخـير أعرفها * سقى الإله صَداه الأَوْطَفَ السارى (٢)

وقالت فيه:

وهَـــل أنا إلا مُهْرة عربيــة * ســليلة أفراس تجلّلها بغـــل (٣)

فإن نُتِجت مهرا كريمـا فبالحَرَى * وإن كان إقرافٌ فما أنجب الفحل (٤)

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لهـا، وغيره يرويهما لمـالك بن أسماء لمـا تزوّج الحجاج أخته هندا . وهى القائلة لمـا تزوّج الحجاج أختها أم أبان:

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراجْ * أن تنكحيه ملكا أو ذا تاجْ

إذا تذكرت نكـاح الحجـاجْ * تضرّم القلب بحزن وهّاج

وفاضت العين بمـاء ثجّاج * لو كان نعمان قتيلُ الأعلاج

مستوىَ الشخص صحيحَ الأوداج * ما نلتَ ما نلتَ بخَتْـل الدُّرَّاج (٥)

فأخرجها الحجاج من العراق، وردها إلى الشأم .

(١) بسلحك: كذا فى الأصول . وفى الديوان (ص ٣٩): بجعرك .

(٢) البيت عن ف والديوان . والصدى: عظام الموتى تصير هامة فتطير كزعم الجاهليــة (عن تاج العروس) . والأوطف: السحاب المسترخى الجوانب لكثرة مائه .

(٣) روى ابن قتيبة فى أدب الكاتب الشطر الأول: «وهل هند إلا مهرة عربية» ونسب الشعر إلى هند بنت النعمان بن بشير، أخت حميدة . وأنكر بعضهم لفظ «بغل» بالباء، وقالوا: هى تصحيف، والصواب نغــل بالنون، بوزن سهم وكتف، وهو الخسيس من الناس والدواب، أو الفاســد النسب (انظر التاج فى نغل) . (٤) إقراف: كذا فى ف . وفى الأصول: إقرافا . وفى الديوان: وإن يك إقراف فما أنجب: وكذا فى مب . وفى بقية الأصول والديوان: فمن قبل الفحل . (٥) ختــل: خداع . والدراج: طائر شبيه بالحجل وأكبر منه، أرقط بسواد وبياض، قصير المنقار، شبهت به أختها .

٥

١٠

١٥

٢٠

* * *

صــــوت

نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرّةٍ * بُنيتْ على طَلْقِ اليدين وَهوبِ

لا تنفرى يا ناقَ منــه فإنه * شِرِّيب خمــر مِسْعر لحروب

لا يَبْعَدنْ ربيعـــةُ بن مكدَّم * وسقى الغوادى قــبره بذَنوب

لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ * لتركْتُها تحبــو على العُرْقوب (١)

يقال إن الشــعر لحسان بن ثابت الأنصــارى، ويقال : إنه لضرار بن الخطاب الفهــرى .

أخبرنى أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال : الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بنى فهر بن مالك . ومن الناس من يرويها لمُكَرِّز بن حفص ابن الأحنف الفهرى (٢)، وعمرو بن شقيق أولى بها .

والغناء (٣) لمــالك : خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر (٣) .

---

(١) يريد لولا طول رحلته فى الفلوات المترامية لعقر ناقته على قبر ربيعة بن مكدم . قال صاحب العقد الفريد (يوم الكديد) : وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد غيره .

(٢) الفهــرى : كذا فى ف . وفى بقية الأصــول : العامرى . ونسب أبو تمــام فى الحماســة (٢ : ١٨٧) الأبيات إلى حفص بن الأحنف الكنانى . ونسبهــا التبريزى عن أبى رياش إلى حفص ابن الأحنف العامرى ، وإلى كرز بن خالد الفهرى . وفى الاسم الذى ذكره المؤلف تلفيق من هــذه الأسماء . ويوم الكديد مذكور فى شرح الحماسة ، مع بعض الاختلاف فى التفاصيل والأقوال والأشعار .

(٣ — ٣) العبارة عن ف ، مب .

أخبار مقتل ربيعة ونسبه

نسبه ومقتله

وهذا الشعر قيل فى قتل ربيعة بن مُكَدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فُرسان مُضَر المعدودين، وشجعانهم المشهورين، قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَمى فى يوم الكَديد.

وكان السبب فى ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة عن أبى حاتم، عن أبى عبيدة، ونسخْته أيضا من رواية الأصمعى وحماد صاحب أبى غسان دماذ والأثرم، فجمعتها ههنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تدارُؤ[1] بين نفر من بنى سليم ابن منصور وبين نفر من بنى فِراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بنى سُلَيم بن منصور، ثم إنهم وَدَوْهما. ثم ضرب الدهر ضَرَبانَه، فخرج نبيشة بن حبيب السلمى غازيا، فلقى ظُعُنا من بنى كنانة بالكديد، فى نفر من قومه، وبَصُر بهم[2] نفر من بنى فراس بن مالك، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس، والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم أبو الفَرْعة، أخو ربيعة بن مكدم، قال: وهو مجدور يومئذ يُحمَل فى محفة، فلما رآهم أبو الفارعة، قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال أخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى أعلم علم القوم، فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم، فلما ولّى، قال بعض الظعن: هرب

(١) تدارؤ: تدافع فى خصومة واختلاف.

(٢) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: فى ركب من قومه وظفر بهم.

ربيعة . فقالت أخته أم عزة بنت مكدم : أين تنتهى نَفْرة الفتى ؟ فعطف وقد سمع قول النساء ، فقال :

لقــد علمنَ أنّنى غير فَرِقْ * لأطعُنن طعنــة وأعتنقْ
أُعْمِل فيهم حين تحمر الحَدَق[1] * عَضْبا حساما وسنانا يأتلق

٥ قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليــه بعض القوم ، فاستطرد له فى طريق الظعن . وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعة . ثم رماه نبيشة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمى ، حتى أتى إلى أمه أم ســيار ، فقال : اجعلى على يدى عصابة ، وهو يرتجز ويقول :

* شدى علىّ العَصْب أم سيارْ *
١٠ * لقــد رُزِيتِ فارسا كالدينار *
* يطعُن بالرمح أمام الأدبار *

فقالت أمه :

إنا بنــو ثعلبة بن مالكِ * مُرَزَّأ أخيارنا كذلكِ
من بين مقتول وبين هالك * ولا يكون الرزء إلا ذلك

١٥ قال أبو عبيدة : وشدّت أمه عليه عصابة . فاستسقاها ماء ، فقالت : إنك إن شربت المــاء مت ، فكُرَّ على القوم . فكَرّ راجعا يشد على القوم ويَذُبّهم ، ونزفه الدم حتى أثخن ، فقال للظعُن : أَوْضِعن[2] ركابكن خلفى ، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحى ، فإنى لمــا بى ، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة ، وأعتمد على رمحى ، فلن يقدَموا عليكن لمكانى . ففعلن ذلك ، فنجون إلى مأمنهن .

---

٢٠ (١) كذا ورد الشعر فى مب . وفى ف : « وأصبحهم حين تحمر الحدق » . وفى بقية الأصول : « أصبحهم صاح بمحمر الحدق » . وكلاهما محرف . (٢) الإيضاع : نوع من السير سريع .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلا ولا ميتا حمى ظعائن غيره . قال : وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة . قال : فاعتمد على رمحه ، وهو واقف لهن على متن فرسه ، حتى بلغن مأمنهن ، وما تقدم القوم عليه . فقال : نُبيشة ابن حبيب : إنه لمائل العنق ، وما أظنه إلا قد مات . فأمر رجلا من خزاعة كان معه أن يرمى فرسه . فرماها فقمصت وزالت ، فمال عنها ميتا . قال : ويقال بل الذى رمى فرسه نبيشة . فانصرفوا عنه ، وقد فاتهم الظُّعُن .

قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذ أبا الفَرعة الحارث بن مكدم ، فقتلوه ، وألقَوا على ربيعة أحجارا .

أشعار فى رثائه

فمر به رجل من بنى الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التى أهيلت على ربيعة . فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره ، وحض على قتلته ، وعيّر من فر وأسلمه من قومه :

نفرت قلوصى من حجارة حَرة * بُنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفرى يا ناق منه فإنه * سَبّاء خمر مسْعَر لحروب
لولا السِّفار وبعد خرق مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب
فر الفوارس عن ربيعة بعدما * نجّاهمُ من غُمّة المكروب (١)
يدعو عليا حين أسلم ظهره * فلقد دعوتَ هناك غير مجيب
لله در بنى علىّ إنهم * لم يُحمشوا غزوا كولْغ الذيب (٢)
نِعْمَ الفتى أدى نبيشة بَزّه (٣) * يوم الكديد، نبيشةُ بن حبيب
لا يبعَدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذَنوب

(١) غمة : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : غمرة .
(٢) هذا البيت والذى بعده عن ف ، مب . ويحمشوا : يحرضوا على القتال ويلهبوه . والولغ : مصدر ولغ الذئب فى الماء : شرب منه . (٣) البز : السلاح، درعا وغيرها .

قال أبو عبيدة : ويقال إن الذى قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب ابن مرداس ، أحد بنى محارب بن فهر . وقال آخر : هو حسان بن ثابت . وقال الأثرم : أنشدنى أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت :

* وسق الغوادى قبره بذَنوب *

٥ واحتج به فى قول الله عز وجل : « ذَنوبا مثل ذنوب أصحابهم » . فسألته لمن هذا البيت ، فقال : لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف ، أحد بنى عامر بن لؤى ، رجل من قريش الظواهر ؛ ولم يسمه ههنا .

وقال عبد الله بن جِذل الطعان واسمه بَلْعاء :

لأطلبنْ بربيعة بن مكدم * حتى أنال عُصَيّة بن مَعيص

١٠ يقال إن عصية من بنى سليم ، وهو عُصية بن مَعيص بن عامر بن لؤى .

وتُقاد كل طِمِرةٍ ممحوصةٍ[1] * ومقلِّص عَبْلِ الشَّوَى ممحوص

وقال رجل من بنى الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثى ربيعة بن مكدم . وقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت ، يحض على قتلته :

ولأصرِفنّ سِوى حذيفة مِدْحتى * لفتى الشتاء وفارس الأجراف[2]

١٥ مأوى الضَّريك إذا الرياح تناوَحتْ * ضخم الدَّسيعة مُخْلِف مِتلاف[3]

---

(١) الطمرة : الفرس الطويلة القوائم الخفيفة المستعدة للعدو . والممحوصة : القليلة لحم القوائم ، التى خلصت من الرهل . والمقلص : الحصان الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى : ضخم الأطراف . (٢) لفتى الشتاء : الذى يطعم فى الشتاء وقت الجدب . وفى ديوان قيس بن الخطيم : لفتى العشى . وفى الأصول : لفتى اليسار . والأجراف : موضع (التاج) . وذكر البكرى فى التنبيه

٢٠ (ص ٦٧) أن اللغويين يروون البيت على أن « سوى » هنا بمعنى « قصد » ، ثم قال إن الشاعر إنما قال : « إلى حذيفة » أما « سوى » فوضوع .

(٣) الضريك : المحتاج . وتناوحت الريح : هبت من جهات مختلفة متقابلة ، وذلك فى السنة ، وقلة الأندية ، ويبس الهواء ، وشدة البرد . والدسيعة : مائدة الرجل إذا كانت كريمة ، أو الجفنة .

من لا يزال يكُبّ كل ثقيلة(١) * كَوْماء غــير مُسائل مــنزاف
رَحْب المَبـاءة والجناب موطّأ(٢) * مأوًى لـكل مُعتَّق بسَـــواف
فسقى الغــوادى قبرك ابن مكدم(٣) * من صَـوْب كل مُجاجِل وَكّاف
أبلغ بنى بكر وخُص فوارسا * لحقوا المــلامة دون كل لحاف
أسلمتم جِذل الطعان أخاكُمُ(٤) * بين الكديد وقُـلة الأعراف

الأعراف : رمل ، قال الأثرم : الأعراف كل ما ارتفع ، ومنه قول الله تعالى : « ونادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ » .

حـتى هـوى مُتزايلا أوصـاله(٥) * للّحْـد بين جنادل وقِفـاف
لله در بنى علىّ إنْ هُمُ(٦) * لم يثـأروا عوفا وحىّ خِفاف

قال الأثرم : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتــل قاتل أبيه ، فقال :

* تذكّرَ ليلى حُسنَها وصفاءَها *

---

(١) الثقيــلة : يريد الناقة الضخمة السمينة . والكوماء : العظيمة الســنام . وغير مسائل : أى لا يسأل أحدا عونا على الكرم كما يفعــل أصحاب الميسر . والشـــطر الثانى فى ديوان قيس بن الخطيم : « وزماء غير محاول الإنزاف » .

(٢) المباءة : المنزل . والمعتق من الإبل : المسن . والسواف : مرض يصيب الإبل . يريد أنه لم يبق غير مسان الإبل التى أصابها المرض ؛ أما شبابها فإنه ينحرها للضيفان . وفى ف : معتق مسواف . وفى مب : مدمع مسواف . وفى ديوان قيس : معصب مسواف .

(٣) قبرك : كذا فى ف . وفى الأصول : رمسك . والمجاجل : المطر ذو الرعد . والوكاف : المنهمر.

(٤) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة .

(٥) متزايلا : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : متداثلا : أى مسرعا . والقفاف : جمع قف ، وهو الأرض الغليظة .

(٦) بنو علىّ : قبيلة من كنانة ، وهم بنو عبــد مناة ، وليسوا من كنانة قريش . وإن هم : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : إنهم .

وقال ابن جِذل الطعان فى ذلك أيضا :

ألا لله در بنى فِـراس * لقـد أُورثتمُ حـزنا وَجيعا
غـداة ثوى ربيعـة فى مَكَرّ * تمـج عروقه عَلَقا نَجيـعا [1]
فإن أنسى ربيعة إذ تعالَى * بكاء الظُّعْن تدعو يا ربيعا

٥ وقال كعب بن زهير، وأمه من بنى أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة ، يرثى ربيعة بن مكدم ، ويحض على بنى سُليم ، ويعير بنى كنانة بالدماء التى أدّوها [2] إلى بنى سليم، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدَرَك قتل فيهم ولا دية :

١٣٣ / ١٤

بان الشبابُ وكل إلفٍ بائن * ظعن الشباب مع الخليط الظاعنِ
قالت أُميـة ما لجسمك شاحبا * وأراك ذا بَثٍّ ولستَ بدائن
١٠ غُضِّى ملامك إن بى من لومكم * داءً أظن مُماطِلى أو فاتنى
أبلغ كنانة غَثَّها وسمينها * الباذلين رِباعها بالقاطن [3]
أن المذلة أن تُطَلَّ دماؤكم * ودماء عوفٍ ضامن فى العاهن [4]
أموالكم عـوض لهم بدمائهم * ودماؤكم كَلَف لهـم بظعائن [5]
طلبـوا فأدرك وترَهم مـولاهمُ * وأبت محاملـكم إباء الحارن [6]

---

١٥ (١) البيت عن ف ، مب . والعلق : الدم . والنجيع : الدم ، أو الدم المصبوب ، أو دم الجوف .
(٢) العبارة عن ف ، مب . (٣) الباذلين : كذا فى الأصول . ولعله يريد التاركين لأعدائهم ديارهم بمن فيها من القطان . وفى ف ، مب : المازلين .
(٤) ضامن : مضمون . والعاهن : الثابت . (٥) ف : عوض ... كاف لكم .
وفى الأصول : غرض ... كاف لهم . يريد : إذا قتلة،وهم دفعتم أموالكم فى دياتهم ، وإذا سبيتم
٢٠ ظعائنهم لم يكفوا عن حربكم وقتلكم . (٦) محاملكم : كذا فى الأصول . وفى ف ، مب : محاصلكم . وفى ديوان كعب بن زهير (٢٢٩ طبعة دار الكتب) : سعاتكم .

شُدوا المآزر فاثأروا بأخيكمُ * إن الحفائظَ نِعْمَ ربح الثامِنِ (١)
كيف الحياة ربيعةَ بن مكدم * يُغْدَى عليك بمِزْهَرٍ أو قائنِ (٢)
وهو التَّريكةَ بالعراء وحارثٌ * فَقْعُ القَراقرِ بالمكانِ الواتنِ (٣)
كم غادروا لك من أراملَ عُيَّلٍ * جَزَرَ الضِّباعِ ومن ضَريكٍ واكنِ (٤)

وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثى ربيعة :

ما بال عينك منها الدمع مهراقُ * سَحًّا ولا عازب لالا ولا راقى (٥)
أبكى على هالك أودى وأورثنى * بعد التفرق حزنا بعده باقى
لو كان يَرجع ميتا وجدُ ذى رحِمٍ * أبقى أخى سالما وجدى وإشفاقى (٦)

---

(١) كذا روى البيت فى ف، مب . وفى الأصول : واثأروا ... ربح الثامن . وفى ديوان كعب :
شدوا المآزر فانعشوا أموالكم * إن المكارم ... ...
(٢) المزهر : العود . والقائن : صاحب القيان ومدربهن . وفى ف، مب : وأقائن . وفى الأصول : أوكائن ، وفى الديوان :
كيف الأسى وربيعة بن مكدم * يودى عليك بفتية وأقاتن
(٣) التريكة : يعنى ربيعة بن مكدم ، والتريكة : البيضة يتركها النعام حين تنقف ، ويدفنها تحت التراب . أراد أن ربيعة تريكة بالقاع مدفون ، كما تركت هذه البيضة . وفى الديوان : « وهو التريكة بالمكر » . وفى مب : رهن العريكة . وفى ف : « رهن الفريكة بالعراق » . وفى الأصول : «ومن العريكة بالعراق» . والعراق : تحريف عن العراء . وحارث : هو أخو ربيعة . وفقع القراقر : مثل يضرب للذليل . وأصل الفقع أردأ الكمأة ، تطؤه الدواب بحوافرها . والواتن : الثابت المقيم .
(٤) جزر الضباع : طعاما للضباع . والضريك : الفقير السيء الحال . والواكن : الجالس عجزا . ورواية الديوان :
كم غادروا من ذى أرامل عائل * جزر السباع ومن ضريك حاجن
والحاجن : المقيم بالداء .
(٥) راق : مخفف عن راقئ ، وهو الساكن . وفى ذيل الأمالى (١٢) : « فلا عازب عنها ولا راق » . (٦) كذا فى ف، مب وذيل الأمالى . وفى الأصول : « أديم لى سالما » .

أو كان يُفدَى لكان الأهل كلُّهمُ * وما أُثمِّر من مال له واقى

لكنْ سهام المنايا من نصَبْن له (1) * لم ينجه طِب ذى طِب ولا راقى

فاذهب فلا يُبعدنْك الله من رجل * لاقى الذى كلُّ حى مثله لاقى

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما سريتُ مع السارى على ساق

أبكى لذكرته عَبْرى مفجَّعة * ما إن يجف لها من ذكره ماقى ٥

وقال عبد الله يرثيه :

خَلَّ علىّ ربيعة بن مكدم * حزنا يكاد له الفؤاد يزولُ

فإذا ذكرتُ ربيعةَ بن مكدم * ظلت لذكراه الدموع تسيل

نِعْم الفتى حيا وفارسُ بُهمة (2) * يَرْدِى بشِكته أقبُّ ذءُول

سقت الغوادى بالكُديد رِمَّة (3) * والناس إما هالك وقتيل ١٠

فإذا لقيتَ ربيعة بن مكدم * فعلى ربيعة من نداه قبول

كيف العزاء ولا تزال خريدة * تبكى ربيعة غادة عُطبول (4)

يأبى لىَ الله المذلة إنما * يعطَى المذلة عاجز تنبيل (5)

وقال عبد الله أيضا يرثيه :

نادى الظعائنُ يا ربيعةُ بعد ما * لم يبق غيرُ حُشاشة وفُواق (6) ١٥

---

(١) نصبن : كذا فى ف ، مب ، وذيل الأمالى . وفى الأصول : تصير . وفى الأصول أيضا : «لم يغنه» .

(٢) البهمة : الشجاع الذى لا يدرى قرنه من أين يأتيه . والشكة : الدرع . والأقب : الضامر البطن من الخيل . والذءول : من الذألان ، وهو مشى سريع خفيف . (٣) كذا روى الشطر الأول فى ف . وفى مب : سقت الكديد ومن به رجبية . وفى الأصول : (سبقت به أم الكديد رمية) . تحريف .

(٤) العطبول : الجارية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . (٥) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : ٢٠ يأبى لك . والتنبيل : كذا فى الأصول ، وليس فى المعاجم فعليل من تنبل . والمراد : القصير العاجز .

(٦) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : دعت الظعينة . والفواق : ريح يخرج من المعدة إلى الفم .

فأجابها والرمح فى حيزومه * أنَفًا بطعن كالشَّعيب دُفاق(١)

يا رَيْطَ إن ربيعة بن مكدم * وربيع قومك آذنا بفراق(٢)

ولئن هلكت لرُبَّ فارسِ بُهْمة * فرجتُ كُرْبته وضيق خِناق

١٣٤ / ١٤

وقال أيضا يتوعد بنى سليم :

ولست لحاضر إن لم أَزِركم * كتائب من كنانة كالصريم(٣)

على قُبِّ الأياطل مضمَرات * أضرّ بنيِّها علكُ الشكيم(٤)

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدّثنى الطلحى ، قال : أخبرنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحى ومحمد بن الحسن ابن زُبالة فى مجلس واحد ، قالا : مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكنانى(٥) ، بثنية كعب ، ويقال : بثنية غزال ، فقلصت به راحلته ، فقال(٥) :

نفرت قلوصى من حجارة حَرَّة * بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفرى يا ناق منه فإنه * شرّيب خمر مِسْعر لحروب

لولا السِّفار وبعد خَرْق مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

فبلغ شعره بنى كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق .

---

(١) مب : عاقا . فى موضع : أنفا . (٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : دنا بفراق .

(٣) الحاضر : الحى المقيمون فى أرضهم صيفا وشتاء . يريد : لست منسوبا إلى حى قوى . وفى مب : «لحاصن» ، وهى المرأة العفيفة الشريفة . وفى الأصول : «ولست لصاحبى إن لم تجئكم» . والصريم : الليل ، يريد أنها لكثرتها يكون منظرها أسود كالليل .

(٤) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . الأياطل : كذا فى ف . وفى الأصول : البطون . والنىّ : الشحم . وأضربه : أذاله . (٥ — ٥) العبارة عن ف ، مب .

يقتل فارسين من أصحاب دريد ابن الصمة فيهب له رمحه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدّثنا السجستانيّ ، قال : حدّثنا أبو عبيدة ، قال :

خرج دُريد بن الصِّمة فى فوارس من بنى جُشَم ، حتى إذا كانوا بوادٍ لبنى كنانة يقال له الأخرم ، وهو يريد الغارة على بنى كنانة ، رُفع له رجل من ناحية الوادى معه ظعينة . فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانج بنفسك ، وهو لا يعرفه . فانتهى إليه الرجل ، فصاح به ، وألحّ عليه . فلما أبى ألقى الزمام وقال للظعينة :

سِيرى على رِسْلك سير الآمنِ * سير رَداحٍ ذات جأش ساكن

إن انثنائى دون قِرنى شائنى * وابلِىْ بلائى واخبُرِى وعاينى

ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الظعينة . فبعث دريد فارسا آخر، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعا . فصاح به ، فتصامم عنه ، فظنّ أنه لم يسمعه ، فغشيه ، فألقى الزمام إليها ، ثم حمل على الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول :

خلِّ سبيل الحُرة المنيعهْ * إنك لاقٍ دونها ربيعهْ

فى كفه خَطِّية مطيعه[1] * أو لا ، فخذها طعنةً سريعه

* فالطعن منى فى الوغى شريعه *

فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما ، فرآهما صريعين ، ونظر إليه يقود ظعينته ، ويجرر رمحه . فقال له الفارس : خل عن الظعينة . فقال لها ربيعة : آقصدى قصد البيوت ، ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شَتِيم[2] عابسِ * ألم تر الفارس بعد الفارسِ

* أرداهما عامل رمح يابسِ ؟ *

(١) فى الأصول عدا ف ، مب : منيعة .
(٢) شتيم : كريه الوجه .

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه . فارتاب دريد ، وظنّ أنهم قد أخذوا الظعينة ، وقتلوا الرجل . فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقددنا من الحىّ ، ووجد القوم قد قتِلوا . فقال دريد : أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقتل ، و إن الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معـك رمحا ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح ، فإنى راجع إلى أصحابى ، فمثبِّط عنك . فأتى دريد أصحابه ، وقال : إن فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحى ، ولا طمع لكم فيه . فانصرف القوم . وقال دريد فى ذلك :

١٣٥ / ١٤

ما إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثــله * حامى الظعينــة فارسا لم يُقتــلِ

أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْــزة (1) * ثم استمرّ كأنه لم يفعــل

متهلل تبــدو أسرَّة وجهــه (2) * مثلَ الحسام جلته كفّ الصيقل

يُزجى ظعينته ويسحب رمحــه (3) * متوجها يُمناه نحــو المــنزل

وترى الفوارسَ من مخافة رمحـه (4) * مثل البَغاث خَشين وقع الأجدل

يا ليت شعرى مَن أبوه وأمه * ياصاح من يك مثـلَه لم يُجهل !

فقال ربيعة :

إن كان ينفعكِ اليقينُ فسائِلى * عنى الظَعينــة يوم وادى الأخرمِ

هل هِى لأول من أتاها نُهْزة * لولا طعـان ربيعــة بن مكدم

(١) نهزة : فرصة لمن يريدهم بشر . (٢) فى الأصول عدا ف ، مب : أيدى الصيقل .

(٣) فى سمط اللآلى (ص ٩١٢) : يسحب ذيله . و يمنـاه : كذا فى ف ، وفى الأصـول : يمناه ، من اليمن ، يقال : توجه فلان يمينه و يمناه : أى توجه ظافرا ميمونا ، وضـدّه : توجه فلان شماله : أى على أمر مشئوم . (٤) البغاث (مثلث الباء) : الطيور الضعيفة . والأجدل : الصقر .

إذ قال لى أدنى الفوارس ميتة * خَلِّ الظعينة طائعا لاتندم

فصرفتُ راحلة الظعينة نحوه * عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم

وهتكت بالرمح الطويل إهابه * فهوى صريعا لليدين وللفم

ومنحت آخر بعده جياشة * نجلاء فاغرة كشِدق الأضجم[1]

٥ ولقد شفعتهما بآخر ثالث * وأبى الفرارَ لىَ الغداة تكرمى

قال :

فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم ، أن أغاروا على بنى جشم رهط دريد ، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه . فصرخت آمرأة منهنّ ، فقالت :

١٠ هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فِراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادى . فسألوه من هو؟ فقال : أنا دريد بن الصمة ، [2]فمن صاحبى؟ قالوا : ربيعة بن مكدم ، قال[2] : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال : فمن الظعينة التى كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيطة بنت جِذل الطعان ، وأنا هى ، وأنا

١٥ آمرأته . فحبسه القوم ، وآمَروا أنفسهم ، وقالوا : لاينبغى أن تُكْفر نعمة دريد على صاحبنا . وقال بعضهم : والله لايخرج من أيدينا إلا برضا المُخارق الذى أسره . وانبعثت المرأة فى الليل ، فقالت :

---

(١) منحت : كذا فى ف ، ق ، مب . وفى أ : نسخت . وفى س : نضحت ، وكلاهما تحريف . وجياشة : طعنة تجيش بالدم . والأضجم : صفة من الضجم ، وهو عوج فى الفم ، وميل

٢٠ فى الشدق . وفى ف : الأسحم ، ومعناه : الأسود ، يريد زق الخمر .

(٢ — ٢) العبارة عن ف ، مب .

سنجزى دريدا عن ربيعة نعمة * وكل فتى يُجزَى بما كان قدّما
فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وإن كان شرا كان شرا مذمّما
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة * بإعطائه الرمح السديد المقوّما
فقد أدركتْ كفاه فينا جزاءه * وأهلٌ بأن يجزَى الذى كان أنعما
فلا تكفروه حق نُعماه فيكمُ * ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما ٥
فلو كان حيا لم يضق بثوابه * ذراعا، غنيا كان أو كان معدما
ففُكوا دريدا من إسار مُخارق * ولا تجعلوا البؤسَى إلى الشر سلما

١٣٦ / ١٤

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم، فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه. ولم يزل كافا عن غزو بنى فِراس حتى هلك.

أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم

أخبرنى الحسن بن على، قال: حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: ١٠ حدّثنى محمد بن يعقوب بن أبى مَريم العدَوىّ(١) البصرى، قال: حدّثنى محمد بن عمر الأزدى، قال: حدّثنى أبو البلاد(٢) الغطفانى وقبيصة بن ميمون الصادرى(٣)، قالا:

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن مَعْديكَرِب الزُّبيدى: من أشجع من رأيت؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أَحْيَل(٤) الناس، وعن أشجع الناس، وعن أجبن الناس. فقال له عمر: هات. فقال: أربَعتُ المدينة، فخرجتُ كأحسن ١٥ مارأيت، وكانت لى فرس شَمَقْمقة(٥) طويلة سريعة الإبقاء(٦)، تَمَطَّق(٧) بالعرق تمطق الشيخ

(١) الأصول عداف، مب: العذرى. (٢) فى الأصول عداف، مب: أبو العلاء.
(٣) فى الأصول عداف، مب: منهور. (٤) أحيل: كذا بالياء من الحيل بمعنى الحيلة، أى الحذق (انظر تاج العروس). (٥) الشمقمقة: الطويلة. (٦) يريد بسريعة الإبقاء، أنها تسرع استئناف الجرى بعد التعب. (٧) التمطق: إلصاق اللسان بالغار الأعلى، فيسمع له صوت ٢٠ عند استطابة الشىء، يريد أن العرق يسيل من وجهها إلى فمها، فتتمطق، لإلفها الجرى ومزاولة الأسفار.

بالمرق، فركبتها، ثم آليت لا ألقى أحدا إلا قتلته. فخرجت وعلى مُقُدِّى[(١)]، فإذا أنا بفتى بين غرضين[(٢)]، فقلت له: خذ حذرك، فإنى قاتلك. فقال: والله ما أنصفتنى يا أبا ثور، أنا كما ترى أعزل أُمَيْل[(٣)] عُوّارة — والعوارة: الذى لا تُرس معه — فأنظِرنى حتى آخذ نبلى. فقلت: وما غَناؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا والله أو تعطينى من العهود ما يثلجنى أنك لا تروّعنى حتى آخذها. فأثلجته، فقال: و إله قريش لا آخذها أبدا. فسلم والله منى وذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

٥

ثم مضيت حتى اشتمل علىّ الليل، فوالله إنى لأسير فى قمر زاهر[(٤)]، كالنور الظاهر[(٥)]، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة، وهو يقول:

يا لُدَينا يا لُدَينا * ليتنا يُعْدَى علينا

* ثم يُبْلَى ما لدينا *

١٠

ثم يخرج حنظلة من مخلاته، فيرمى بها فى السماء، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمشقص[(٦)] من نبله. فصحت به: خذ حذرك ثكلتك أمك، فإنى قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو فى الأرض. فقلت: إنْ هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، وصحت به: ويلك، ما أجهلك! فما تحلحلَ ولا زال عن موضعه، فشككت الرمح فى إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت وتركته؛ فهذا أجبن الناس.

١٥

ثم مضيت فأصبحت بين دَكادك[(٧)] هَرْشَى[(٨)] إلى غزال[(٩)]، فنظرت إلى أبيات،

(١) المقد: حديدة يقدبها الجلد، يريد بها سيفه. (٢) الغرض: شعبة فى الوادى غير كاملة.
(٣) أعزل: لا سلاح معه. وأميل: لايستقر على الخيل.
(٤) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: باهر. (٥) ف: الناظر.
(٦) المشقص: نصل طويل غير عريض.

٢٠

(٧) الدكادك: جمع دكدك، وهو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض بالأرض، ولم يرتفع كثيرا.
(٨) هرشى: هضبة ململمة لا تنبت شيئا، على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة.
(٩) غزال: واد بين هرشى والجحفة.

فعدلت إليها، فإذا فيها جوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا. فبكين حين رأيننى، فقلت: ما يبكيكن؟ فقلن: لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت هى أجمل منا. فأشرفت من فدفد، فإذا بمن لم أر شيئا قط أحسن من وجهه، وإذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها. فلما نظر إلىّ وثب على الفرس مبادرا، ثم ركض، فسبقنى إلى البيوت، فوجدهن قد ارتعن، فسمعته يقول لهن:

مهلا نُسَيّاتى إذن لا ترتَعْنْ * إن يُمنع اليوم نساء تُمنَعْنْ

* أرخين أذيال المروط وارتَعِنْ[1] *

فلما دنوت منه، قال: أتطردنى أم أطردك؟ قلت: أطردك. فركض وركضت فى أثره، حتى إذا مكنت السنان[2] فى لفتته — واللفتة أسفل من الكتف — اتكأت عليه، فإذا هو والله مع لَبَب فرسه[3]، ثم استوى فى سرجه، فقلت: أقِلْنى. قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان فى ماضغيه اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسنان ماض زالج. واستوى على فرسه، فقلت: أقلنى. قال: اطرد. فطردته، حتى إذا مكنت السنان فى متنه، اتكأت عليه وأنا أظن أنى قد فرغت منه، فمال فى ظهر فرسه[4] حتى نظرت إلى يديه[5] فى الأرض، ومضى السنان زالجا. ثم استوى وقال: أبعد ثلاث؟ تريد ماذا؟ أطردنى ثكلتك أمك. فوليت وأنا مرعوب منه. فلما غشينى ووجدت حس السنان، التفت فإذا هو يطردنى بالرمح بلا سنان،

(١) (اللسان: حلق): وخين أذيال الحق. وفى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ١٥٩): أسبلن أذيال الحقى وارتعْنْ. والحقى: جمع حقو، وهو الإزار. وزاد اللسان بيتا رابعا هو: «مشى حييات كأن لم يفزعن». وترتيب الأبيات مختلف فيه عنه فى الأغانى.
(٢) من هنا يتصل الكلام فى م بعد انقطاعه بمقدار اثنتى عشرة صفحة من صفحات س.
(٣) لبب الفرس: نحره.
(٤) فى الأصول عداف: فمال فى سرجه.
(٥) فى الأصول عداف: بدنه.

فكف عنى واستنزلنى ، فنزلت ونزل ، فجز ناصيتى ، وقال : انطلق ، فإنى أنفَس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندى أشد من الموت ؛ فذاك أشجع من رأيت . وسألت عن الفتى ، فقيل : ربيعة بن مكدم الفِراسى ، من بنى كنانة .

وقد أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى هذا الخبر وفيه خلاف للأول . قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنى محمد بن موسى الهذلى ، قال : حدّثنى سُكين بن محمد ، قال :

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيد بنى مخزوم ، أعظمها هامة ، وأمدّها قامة ، وأقلها ملامة ، وأفضلها حلما ، وأقدمها سلما ، وأجرئها مُقدَما . قال : ومن هو ؟ قال : سيف الله وسيف رسوله (١) ، قال : وأىّ شىء صنعت عنده ؟ قال : أتيته زائرا ، فدعا لى بكعب وقوس وثور (٢) . فقال عُمر : وأبيك إن فى هذا لشبعا . قال : لى أو لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لى ولك . قال له : فوالله إنى لآكل الجذَعة ، وأشرب التِّبْن من اللبن رَثيئة وصرِيفا (٣) ، فلِمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أى أحياء قومك خير ؟ قال : مَذحِج ، وكل قد كان فيه خير ، شِداد فوارسها ، فوارس أبطالها ، أهل الربا والرباح (٤) . قال عمر : وأين سعد العَشيرة ؟ قال : هم أشدنا شَريسا ،

---

(١) يريد خالد بن الوليد . (٢) الكعب : الصبة من السمن . والقوس : ما يبقى فى أصل الجلة من التمر . والثور : الكتلة من الأقط (لسان العرب : كعب) .

(٣) الجذعة من الغنم : ما تكون سنها بين ستة أشهر وسنة . والتبن : القدح الكبير . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض ، فيروب من ساعته . والصريف : اللبن الذى ينصرف عن الضرع حارا وقت حلبه . (٤) الربا والرباح : النماء والكثرة . ولعله يريد أنهم ذوو عدد وفير ، أو ذوو مال كثير ، أو أنهم يجزلون العطاء لمن يصنع إليهم خيرا .

وأكثرنا خميسا[1] ، وأكرمنا رئيسا ، وهم الأوفيـاء البَرَرة ، المساعير[2] الفَجَرة . قال عمر: يا أبا ثور ، ألك علم بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سل عما بدا لك. قال : أخبرنى عن النَّبْل . قال : منايا تخطئ وتصيب . قال : فأخبرنى عن الرمح قال : أخوك وربمـا خانك . قال : فأخبرنى عن التُّرس . قال : ذاك مِجَنٌّ وعليـه تدور الدوائر . قال : أخبرنى عن الدرع . قال : مَشْغلة للفارس، مَتْعبة للراجل . قال : أخبرنى عن السيف . قال : عنه قارعتك[3] لأمك الهَبَل ، قال : لا ، بل لأمك . قال عمرو : بل لأمك ، فرفع عمر الدِّرّة ، فضرب بها عمرا ، وكان عمرو محتبيا ، فانحلت حُبوته ، فاستوى قائمـا ، وأنشأ يقول :

أتضربنى كأنك ذو رُعَين * بخـير معيشة أو ذو نواس[4]

فكم مُلْك قديم قد رأينـا * وعز ظاهر الجبروت قاسى[5]

فأضحى أهله بادوا وأضحى * ينقَّل من أناس فى أناس[6]

---

(١) الشريس : الشراسة ، وهى عسر الخلق والشـدة . والخميس : الجيش . وفى اللسان : هم أعظمنا خميسا ، وأشدنا شريسا . (٢) المساعير : جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العـين) ، ومسعر الحرب : موقدها ومهيجها ، وهو من صيغ المبالغة .

(٣) المقارعة : أصلها المضاربة بالسيوف فى الحرب ، ولعل المقصود بها هنا : المصاولة باللسان . وظاهر العبارة أن عمرا يرى أن السيف هو أعظم السلاح ، بدليل قوله فيما نقـله الإبشيهى فى المستطرف فى وصف السيف (١ : ٢٢) « هو العدة عند الشدة » . وانظر سرح العيون ، فى شرح رسالة ابن زيدون (ص ٣١٢) .

(٤) فى مروج الذهب للمسعودى (٢ : ٢١٧ دار الرجاء) : أتوعدنى ... بأنعم عيشة .

(٥) فى مروج الذهب :

فكم قد كان قبلك من مليك * عظيم ظاهر ... ...

(٦) الشطر الأول فى مروج الذهب : « فأصبح أهله بادوا وأمسى » . وزاد بعده البيت :

فـلا يغررك ملكك كل مـلك * يصـير مـذلة بعـد الشماس

قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك لما جلست. فجلس. فقال له عمر: هل كععت[1] من فارس قط ممن لقيت؟ قال:

اعلم يا أمير المؤمنين، أنى لم أستحل الكذب فى الجاهلية، فكيف أستحله فى الإسلام؟ ولقد قلت بجبهة من خيلى، خيل بنى زُبيد، أغيروا بنا على بنى البكّاء. فقالوا: بعيد علينا المُغار. فقلت: فعلى بنى مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سَرَاة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سَرَاة. قال: رأيت مَزَاود خيلهم كثيرة، وقدورا مثفّاة[2]، وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلى بِجَرة[3]، وجلست فى موضع أسمع كلامهم، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم دعت[4] وليدة من ولائدها، فقالت: ادعى فلانا. فدعت لها برجل من الحى، فقالت له: إن نفسى تحدّثنى أن خيلا تغير على الحى، فكيف أنت إن زوجتك نفسى؟ فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيى. وأقبلت على صواحباتها، فقالت: ماعنده خير، ادعى لى فلانا. فدعت بآخر. فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيى. وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا خير أيضا. ثم قالت للوليدة ادعى لى ربيعة بن مكدّم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسه، ولكنى إذا لقيت أعذرت، وحسب المرء غَناء أن يُعذر. فقالت له: قد زوّجتك نفسى، فاحضُر غدا مجالس الحى، ليعلموا ذلك. فانصرف من عندها، وانتظرتُ حتى ذهب الليل، ولاح الفجر، فخرجتُ

(١) كععت: ضعفت وجبنت. (٢) مثفاة: منصوبة على الأثافى، استعدادا للطبخ.
(٣) بجرة: جانبا وناحية. (٤) سقط من أ، م بقية أخبار ربيعة بن مكدم، وأول أخبار المغيرة بن شعبة.

من مكمنى، وركبت فرسى، وقلت لخيلى : أغيرى، فأغارت، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجالسهن ، فكشفت عن خيمة المرأة ، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأتْ بصرها منى، أهوت إلى درعها فشقته وقالت : واثكلاه؟ والله ما أبكى على مال ولا تلاد ، ولكن على أخت من وراء هـذا القَوْز[1] ، تبقى بعدى فى مثل هـذا الغائط ، فتهلك ضيعة ، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسى حتى أوفيت على الأيفـاع ، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد، أهلب[2] أغلب، يخصف نعله ، وإلى جنبه فرسـه وسلاحه . فلما رآنى رمى بنعـله ، ثم استوى على فرسه ، وأخذ رمحه، ومضى ولم يحفل بى . فطفقت أشجره[3] بالرمح خَفْقا ، وأقول له : يا هذا استأسِر[4]. فمضى ما يحفل بى، حتى أشرف على الوادى . فلما رأى الخيـل تحوى إبله استعبر باكيا ، وأنشأ يقول :

قـد علمتْ إذ منحتنى فاها[5] * أنى سأحوى اليوم من حَواها

* بل ليتَ[6] شعرى اليوم من دهاها *

فأجبتـــه :

عمرو على طول الوجى[7] دهاها * بالخيـــل يحميها عـلى وجاها[8]

* حتى إذا حل بهـا احتواها[9] *

---

(١) القوز بالفتح : الرمل المستدير المرتفع . (٢) الأهلب : الكثير شعر الرأس والجسد . وعبارة المسعودى فى مروج الذهب (ج ١ ص ٢١٨) : فإذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب . ولعله محرف عن أهلب أو أهدب بالدال ، وهو الكثير شعر العينين . (٣) شجره بالرمح : طعنه حتى اشتبك فيه . والخفق : الضرب بشىء عريض ، ولعله يريد أنه يضربه بزج الرمح لا بسنانه ، أو لعله الضرب الخفيف ، من الخفقة ، وهى النعسة الخفيفة . (٤) استأسر : كن أسيرالى . (٥) فى مروج الذهب : أقول لما . وبعده : «وألبستنى بكرة رداها» . (٦) كذا فى ف، مب . وفى الأصول : ياليت . وفى مروج الذهب : فليت . (٧) الوجى : الحفا ، وهو أن يرق القدم أو الحافر و ينسحج من طول السفر . وفى المروج : الردى . (٨) فى المروج : « بالخيل تتبعها على هواها » . (٩) فى المروج : حواها .

فحمل علىّ وهو يقول :

أَهْوِن بنضر العيش فى دار نَدَمْ * أفيض دمعا كلما فاض انسجمْ

أنا ابن عبد الله[1] محمود الشـيم * مؤتمن الغيب وفىّ بالذمم

أكرم من يمشى بساق وقـدم * كالليث إن هم بتَقْصام قصم

فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذى التقليد فى الشهر الأصمّ * أنا ابن ذى الإكليل قتـال البُهَم[3]

من يلقـنى يُودِ كما أودت إرَم * أتركه لحما على ظهـر وضم[4]

١٣٩
١٤

وحمل على وهو يقول :

هذا حِمًى قد غاب عنه ذائده * المـوت وِرْد والأنام وارده

وحمل على فضربنى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقع سـيفه فى قَرَبوس[5] السرج ، فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مِسْح الفرس . ثم ثنّى بضربة أخرى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس ، وصرت راجلا .

---

(١) فى المروج : أنا عبيد الله .

(٢) فى المروج : وخير . وبعده : « عدوه يفديه من كل السقم » .

(٣) التقليد : أن يجعل فى عنق البدنة ونحوها شيئا يُعلم به أنه هدى . والشهر الأصم : رجب ، لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح ، لأنه من الأشهر الحرم . والإكليل : كذا فى المروج ، وهو التاج ، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدى من اليمن ، وملوكهم يلبسون التيجان . وفى مب : أنا ابن عبد الله . وفى بقية الأصول : أنا ابن ذى الأكال .

(٤) الوضم : الخوان من الخشب أو نحوه يقطع عليه القصاب اللحم . ويقال : فلان لحم على وضم ، مثل يضرب للذليل .

(٥) القربوس كحلزون : حنو السرج أى الجزء المرتفع من مقـدمه ومن مؤخره . والمسح : ثوب غليظ من الشعر يجعل تحت السرج .

فقلت : ويحك! من أنت؟ فوالله ماظننت أحدا من العرب يُقدم علىّ إلا ثلاثة : الحارث بن ظالم، للعُجْب والخيلاء؛ وعامر بن الطفيل للسن والتجربة؛ وربيعة ابن مكدم للحداثة والغِرَّة، فمن أنت ويلك ؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت ؟ قلت: عمرو بن معد يكرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدم . قلت : ياهذا، إنى قد صرت راجلا ، فاختر منى إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز، وإن شئت اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه؛ وإن شئت سالمتك وسالمتنى . قال : الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بى أيضا على قومى هوان . قلت : فذاك لك . وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابى ، وقد حازوا نَعَمه ، فقلت : هل تعلمون أنى كَعَعْت عن فارس قَطُّ من الأبطال إذا لقيته ؟ قالوا : نعيذك من ذاك . قال : قلت : فانظروا هذا النعم الذى حُزتموه ، فخذوه منى غدا فى بنى زُبيد، فإنه نَعَم هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شىء منه وأنا حىّ . فقالوا : لحاك الله فارس قوم ! أشقيتنا(١) حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتَنا(٢) عنها . قال : قلت إنه لا بد لكم من ذلك ، وأن تهبوها لى ولربيعة بن مكدم . فقالوا : وإنه لهو ؟ قلت : نعم . فردوها وسالمتُه، فأمن حربى وأمنت حربه حتى هلك .

وفى بعض هذه الأراجيز التى جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدم غناء ، نَسَبْتُه ، وقد جُمع شعراهما معا فى لحن واحد، وهو :

---

(١) كذا فى مب . وفى ف : أسقيتنا . وفى بقية الأصول : أنسأتنا .

(٢) فثأه : ثبط عزيمته وسكنه .

صـــوت

أنا ٱبن ذى التقليد فى الشهر الأصمّْ * أنا ٱبن عبد الله قتّال البُهَمْ
أكرم من يمشى بساق وقــدم * من يلقَنِى يودِ كما أودت إرَم
أتركه لحما على ظهر وَضَم * كالليث إن همّ بتقْصام قَصَم
* مؤتَمَنُ الغيب وفىٌّ بالذمم *

ذكر أحمد بن يحيى المكى : أن الغناء فى هذا الشعر لحنين، خفيف ثقيل، بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وذكر الهشامىّ أنه لابن سرجيس الملقب بقراريط .

حدّثتنى قمرية العَمْرية جارية عمرو بن بانة ، أنها أخذت عن أحمد ٱبن العلاء هذا اللحن ، فقال لها : انظرى أىّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن مخارق ، فلما استوى لى قال لى مخارق : انظر أى صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكى ، فلما غنيته الرشيد أطربه ، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم .

أجـود بيت فى وصف الطعنة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنى محمد بن الحسن الأحول ، عن الطُّرسوسىّ ، عن ابن الأعرابىّ ، قال :

أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدم ، حيث يقول :

ولقد طعنتُ ربيعة بن مكدمٍ * يوم الكديد نخرّ غير موسَّـدِ
فى ناقع شَرِقت بما فى جوفه * منه بأحمر كالعقيق المُجسَد

صـــوت(١)

أدركتِ ما منيتُ نفسى خاليا * لله درك يابنـــة النعمانِ !

إنى لحَلْفِك بالصليبِ مصـــدق * والصُّلْبُ(٢) أصدق حَلْفة الرهبانِ

ولقــد رددتِ على المغيرة ذهنــه * إن المـــلوك بطيئـــة الإذعانِ

ياهند حسبكِ قد صدقتِ فأمسِكِى * والصـــدق خير مقـــالة الإنسانِ

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفى، يقوله فى هنـد بنت النعمان بن المنذر، وقد خطبها فردّته . وخبره فى ذلك وغيره يذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لحنين، ثانى ثقيل بالبنصر، عن الهشامىّ وإبراهيم .

(١) سقط هـذا الصوت وأول ترجمة المغيرة من جميع النسخ عدا (ف ، مب) . وقد نشر فى مجلة جمعية المستشرقين الألمانيين فى المجلد الخمسين سـنة ١٨٩٦ صفحة ١٤٥ . ونثبت الساقط عن هـذه الأصول الثلاثة . (٢) الصلب ، بضم الصاد واللام : جمع صليب ، وسكنت اللام للشعر .

تنبيـه — أوردت (ف ، مب) بعـد أخبار ربيعة بن مكدم صوتا من الغناء ، من شعر عنترة ، ثم أوردتا : « ذكر عنترة ونسبه وأخباره » ، ثم ذكرتا « أخبار المغيرة ونسبه » .

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

نسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِىّ ، وهو ثقيف . ويكنى أبا عبد الله ، وكان يكنى أبا عيسى ، فغيرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكناه أبا عبد الله . وأمّه أسماء بنت الأفقم بن أبى عمرو بن ظُويلم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن . ٥

دهاؤه

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمتها ، وذوى الرأى منها ، والحيل الثاقبة ، وكان يقال له فى الجاهلية والإسلام مغيرة الرأى ، وكان يقال : ما اعتلج فى صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما .

مشاهده

١٠ وصحِب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشهِد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى أهل النُّجير[1] . وشهِد فتح اليمامة وفتوح الشام . وكان أعور ، أصيبت عينه فى يوم اليرموك ، وشهِد القادسية مع سعد بن أبى وقّاص . فلما أراد مراسلة رستم ، لم يجد فى العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب .

ولايته وحروبه

١٥ وولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عِدّة ولايات ، إحداها البصرة . ففتح وهو واليها مَيسان ودست ميسان وأَبْرَقُباذ . وقاتل الفرس بالمِرغاب فهزمهم ، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها[2] . وانحازوا إلى نهر تِيرَى ومَناذِر الكبرى ، فزحف إليهم ، فقاتلهم وهزمهم وفتحها . وخرج

(١) النجير ، بصيغة التصغير : حصن باليمن ، تحصن فيه الأشعث بن قيس بن معد يكرب وأبضعة ابن معد يكرب لما ارتدا ، من المهاجر بن أبى أمية . (انظر رسم النجير فى معجم ما استعجم للبكرى) . ٢٠
(٢) كذا فى مب . وفى ف : ونهض وفتحها .

إلى المشرق مع النعمان بن المُقَرِّن ، وكان المغيرة[1] على ميسرته ، وكان عمر قد عهد : إن هلك النعمان ، فالأمير حذيفة ، فإن هلك حذيفة ، فالأمير المغيرة بن شعبة .

ولما فتحت نهاوند ، سار المغيرة فى جيش إلى هَمَذان ففتحها .

وولاه عمر رضى الله عنه بعد ذلك الكوفة ، فقتِل عمر وهو واليها . وولاه أيضا إياها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، فكان عليها إلى أن مات بها . ٥

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان . ثم صار ذلك رسما لهم بعد ذلك يحتذونه .

إسلامه

قال محمد بن سعد كاتب الواقدىّ : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى محمد ابن سعيد الثقفىّ ، وعبد الرحمن بن[2] عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفىّ وعبد الله بن عبد الرحمن[2] بن يعلى بن كعب ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة ، عن أبيه ١٠ وغيرهم ، قالوا : قال المغيرة بن شعبة :

كنا قوما من العرب متمسكين بديننا ، ونحن سَدنة اللات ، فأرانى لو رأيت قوما قد أسلموا ما تبعتهم . فأجمع[3] نفر من بنى مالك الوفود[3] على المقوقس ، وأهدوا له هدايا . فأجمعت الخروج معهم . فاستشرت عمى عروة بن مسعود ، فنهانى ، وقال لى : ليس معك من بنى أبيك أحد . فأبيت إلا الخروج ، وخرجت ١٥ معهم ، وليس معهم أحد من الأحلاف غيرى ، حتى دخلنا الإسكندرية ، فإذا المقوقس فى مجلس مطل على البحر . فركبت قاربا حتى حاذيت مجلسه ، فنظر إلىّ فأنكرنى ، وأمر من يسائلنى ما أنا[4] ؟ وما أريد ؟ فسألنى المأمور ، فأخبرته بأمرنا ،

---

(١) المغيرة ساقطة من ف ، مب . (٢ — ٢) العبارة ساقطة من ف .

(٣ — ٣) ف : فاجتمع ... للوفود . (٤) ف : من أنا . ٢٠

وقدومنا عليه . فأمر بنا أن ننزل فى الكنيسة، وأجرى علينا ضِيافة . ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بنى مالك ، فأدناه إليه، وأجلسه معه ، ثم سأله : أ كل القوم من بنى مالك ؟ فقال : نعم ، إلا رجلا واحدا من الأحلاف . فعرّفه إياى ، فكنت أهون القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسرّ بها ، وأمر بقبضها . وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض ، وقصّر بى، فأعطانى شيئا قليلا لا ذكر له . ٥

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم[1] وهم مسرورون، ولم يعرض علىّ أحد منهم مُواساة . وخرجوا ، وحملوا معهم خمرا ، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسى تأبى أن تَدَعنى معهم . وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حَباهم[2] به الملك ، ويخبرون قومى بتقصيره بى ، وازدرائه إياى . فأجمعت على قتلهم . فقلت : أنا أجد صُداعا، فوضعوا شرابهم ودعونى . فقلت : رأسى يُصَدَّع ، ولكنى أجلس وأسقيكم ، فلم ينكروا شيئا ، وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح . فلما دبّت الكأس فيهم ، اشتهَوا الشراب ، فجعلت أُصَرِّف لهم وأُترِع الكأس، فيشربون ولا يدرون . فأهْمَدتهم[3] الكأس، حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم، فقتلتهم جميعا، وأخذت جميع ما كان معهم . ١٠

فقدِمت على النبىّ صلى الله عليه وسلم، فوجدته جالسا فى المسجد مع أصحابه، وعلىّ ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام . فنظر إلىّ أبو بكر بن أبى قحافة، وكان بى عارفا، فقال : ابن أخى عُرْوة؟ قلت : نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك إلى الإسلام. ١٥

(١) ف : لأهاليهم . (٢) ف : أرادوا .

(٣) كذا فى مب ومجلة المستشرقين الألمانية . وفى ف : فهمدتهم . ولعل الكلمة محرفة عن أخمدتهم ، أو عن : فهدتهم . يقال : هدنى الأمر وهدّ ركنى : إذا بلغ منه وكسره . ٢٠

فقال أبو بكر رضى الله عنه : أفمن مصر أقبلتم ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسها ، ويرى فيها رأيه ، فإنما هى غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إسلامك فنقبله ، [1] ولا نأخذ من أموالهم شيئا ، ولا نخمسها [1] ، لأن هذا غدر ، والغدر لا خير فيه . فأخذنى ما قرب وما بعد ، وقلت : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومى ، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة . قال : فإن الإسلام [2] يجبّ ما كان قبله . وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا . فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمى عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية .

قال المغيرة : وأقمت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى اعتمر عمرة الحديبية ، فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة ، فكانت أوّل سفرة خرجت معه فيها ، وكنت أكون مع أبى بكر ، وألزم النبيّ صلى الله عليه وسلم فيمن يلزم .

وبعثت قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأتاه يكلمه ، وجعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم على رأسه ، مقنّع فى الحديد . فقلت لعروة ، وهو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكفف يدك قبل ألا تصل إليك . فقال عروة : يا محمد ، من هذا ؟ ما أفظّه وأغلظه ! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . فقال عروة : يا عدوّ الله ، ما غسلتُ عنى سوءتك إلا بالأمس ، يا غُدَر .

(١ — ١) ف : فقبلته ... ولا أخمسه . (٢) إلى هنا ينتهى الساقط من بعض النسخ .

أول ما عرف من دهائه

أخبرني محمد بن خلف، قال : حدّثني أحمد بن[1] الهيثم الفِراسى، قال : حدّثنا العمرىّ، عن الهيثم بن عدىّ، عن مجالد، عن الشعبىّ، قال : قال المغيرة ابن شعبة :

أوّلُ ما عرفنى به العرب من الحزم[2] والدهاء، أنى كنت فى ركب من قومى، فى طريق لنا إلى الحِيرة. فقالوا لى : قد اشتهينا الخمر، وما معنا إلا درهم زائف. فقلت : هاتوه وهَلُمُّوا زِقَّين. فقالوا : وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد؟ فقلت : أعطونى ما طلبت وخَلاكم ذم، ففعلوا وهم يهزءون بى. فصببت فى أحد الزقين شيئا من ماء، ثم جئت إلى خمار، فقلت له : كِلْ لى مِلء هذا الزق. فملأه. فأخرجت الدرهم الزائف، فأعطيته إياه، فقال لى : ما هذا؟ ويحك! أمجنون أنت؟ فقلت : مالك؟ قال : إن ثمن هذا الزق عشرون درهما جيادا، وهذا درهم زائف. فقلت : أنا رجل بدوىّ، وظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صَلَح، وإلا فخذ شرابك. فاكتال منى ما كاله، وبقى فى زقى من من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته فى الزق الآخر، وحملتهما على ظهرى، وخرجت، وصببت فى الزق الأوّل ماء.

ودخلت إلى خمار آخر، فقلت : إنى أريد مِلء هذا الزق خمرا، فانظر إلى ما معى منه، فإن كان عندك مثله فأعطنى. فنظر إليه، وإنما أردت ألا يستريب بى إذا رددت الخمر عليه. فلما رآه قال : عندى أجود منه. قلت : هات. فأخرج لى شرابا، فاكتلته فى الزق الذى فيه الماء. ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لى مثل قول صاحبه. فقلت : خذ خمرك. فأخذ ما كان كاله لى، وهو يرى أنى خلطته بالشراب الذى أريته إياه. وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل.

(١) ج : محمد. (٢) ج، ف، مب : بالحزم.

ولم أزل أفعل ذلك بكل خمار فى الحيرة ، حتى ملأت زقى الأوّل و بعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابى ، فوضعت الزقين بين أيديهم ، ورددت درهمهم . فقالوا لى : و يحك ! أىّ شىء صنعت ؟ فحدّثتهم ، فجعلوا يعجبون . وشاع لى الذكر فى العرب بالدهاء حتى اليوم .

هو أول من خضب بالسواد

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن معاوية النيسابورى ، قال : حدّثنا داود ابن خالد ، عن العباس بن عبد الله بن معبد[1] بن العباس ، قال :

أوّل من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه .

يغضب لأبى بكر الصديق

قال محمد : وأخبرنى شهاب بن عباد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى خازم ، عن المغيرة بن شعبة ، قال :

١٤١ / ١٤

كنت جالسا عند أبى بكر ، إذ عُرِض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملنى عليها . فقال أبو بكر : لأن أحمل عليها غلاما قد ركب الخيل على غُرْلته[2] ، أحب إلىّ من أن أحملك عليها . فقال له الأنصارى : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبى بكر رضى الله عنه ، فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فكأنما كان عَزَالِى[3] مزادة . فتوعدنى الأنصار أن يستقيدوا منى ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقام فقال : أما بعد . فقد بلغنى عن رجال منكم زعموا أنى مُقيدهم من المغيرة . والله لأن أخرجهم من دارهم ، أقرب إليهم من أن أقيدهم [مِن] وَزَعة الله[4] الذين يَزَعون إليه .

(١) ف : سعيد . (٢) يريد : ركبها فى صغره ، واعتادها قبل أن يختتن . والغرلة : القلفة .
(٣) يريد أن أنفه انفجر بالدم كأنه فم مزادة . وقد تحرفت هذه العبارة فى الأصول ، فجاءت فى س : فكأنما عدلى مزادة . وفى ج : فكأنما عدلى مزادة . وفى أ ، م : فكأنما عزل لى مزادة . وفى مب ، ف : فكأنما كان عزلى مزادة . وهذه أقربها إلى الصواب . والعزالى : جمع عزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل ينصب منه الماء بكثرة . (٤) من : ساقطة من الأصول . والوزعة : جمع وازع ، وهو الذى يكف الناس عن الإقدام على الشر . وفى ف : وزعة الدين .

يخطب هند بنت النعمان فترفض

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلّبي، قالا : حدّثنا عمر بن شبة، قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحي، قال : حدّثنا حسان بن العلاء الرياحيّ، عن أبيه، عن الشعبي، قال :

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند(١)، متنصّرة عمياء، بنت تسعين سنة . فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المدَرة؟ تعني الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك؟ قال : جئتك خاطبا إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالا أو دينا أو حسبا لزوّجناك، ولكنّك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب، فتقول : تزوّجت بنت النعمان بن المنذر؛ وهذا والصليبِ أمر لا يكون أبدا، أَوَ ما يكفيك فخرا أن تكون في مُلْك النعمان وبلاده، تدبرهما كما تريد ! وبكت .

فقال لها : أي العرب كان أحب إلى أبيك . قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيسا ؟ قالت : ما كان يستعتبهم من طاعة(٢) . قال : فأين كان يجعل ثقيفا ؟ قالت : رُوَيدا لا تعجل . بينا أنا ذات يوم جالسة في خِدر لي، إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول : إن ثقيفا منا، فأنشأ أبي يقول(٣) :

(١) أ، م، س : يومئذ، في مكان بدير هند . وفي ف : بديرهم .

(٢) كذا في ف . وفي بعض الأصول : كان يستعفيهم من طاعته . وفي مب : قالت بحيث كان يراهم من طاعته . (٣) كذا في الأصول . وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢ : ٣٩٣) اختلاف عما هنا، قال : « قالت : أذكر وقد اختصم إليه رجلان منهم . أحدهما ينتهي إلى إياد، والآخر إلى هوازن، فقضى للإيادي، وقال :

إن ثقيفا لم يكن هوازنا * ولم يناسب عامرا ومازنا

فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ما شاء . ثم انصرف » .

إن ثقيفا لم يكن هوازنا * ولم يناسب عامرا ومازنا
* إلا قريبا فانشر المحاسنا[1] *

فخرج المغيرة وهو يقول :

أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خاليا * لله درك يابنة النعمان !

وذكر الأبيات التى مضت ، وذكرتُ الغناء فيها .

يسمع هجاء من حسان فيجيزه

أخبرنى محمد بن خلف ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد ، قال : قال أبو عبيدة : قال العلاء بن جرير العنبرى :

بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف ، إذ زفر زفرة ، ثم أنشأ يقول :

وكأن حافرها بكل خميلةٍ * صاع يكيل به شحيح معدمُ
عارى الأشاجع من ثقيف أصله * عبد ويزعم أنه مِنْ يَقْدُمِ[2]

قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فلما أتاه بها الرسول قال : من بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، سمع ما قلت . فقال : واسوْءتاه ! وقَبِلها .

تزوج أكثر من ثمانين امرأة

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكى[3] ، قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى ، قال :

١٤٢ / ١٤

أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهن ثلاث بنات لأبى سفيان بن حرب ، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبى وقاص ، وهى أم ابنه حمزة ابن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

(١) فانشر : كذا فى ج ، ف ، مب . وفى أ ، م : فانشدوا . وفى س : فانشروا .

(٢) يقدم كينصر : أبو قبيلة ، وهو ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، يريد أن عبدا ينتسب إلى أعرق العرب نسبا .

(٣) ف : الثقفى . وفى سائر الأصول : إسماعيل بن عيسى .

يخاف العزل فيقدم العيد

وقال أبو اليقظان :

صلى المغيرة بالناس سنة أربعين ، فى العام الذى قتل فيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام . فجعل يوم الأضحى يوم عرفة، أظنه خاف أن يُعزل، فسبق ذلك . فقال الراجز :

٥ سِيرى رُويدا وابتغى المغيرهْ * كلفتُها الإدلاج بالظهيرهْ

رجل مطلاق

قال : وكان المغيرة مِطلاقا . فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكنى رجل مِطلاق، فاعتددْن .

يصف النساء

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكَّر وامرأة مؤنَّثة ، فهو قَوّام عليها ؛ ورجل مؤنَّث وامرأة مذكَّرة ، فهى قوامة عليه ؛ ورجل مذكر ١٠ وامرأة مذكرة، فهما كالوَعِلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يأتيان بخير، ولا يفلحان .

تزوج تسعا وثمانين امرأة

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدثنا عمر بن شبة، قال : حدثنا الأصمعىّ قال : حدثنا أبو هلال عن مطير[1] الوراق ، قال : قال المغيرة بن شعبة :

نكحت تسعا وثمانين امرأة، أو قال : أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت ١٥ امرأة منهن على حب، أُمْسكها لولدها، ولحسبها، ولكذا ولكذا .

يصف العربيات

قال أبو زيد : وبلغنى أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة ، فقال : أنا أعلمكم بهن : تزوجت ثلاثا وتسعين امرأة ، منهن سبعون بكرا ، فوجدت اليمانية كثوبك : أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ؛ ووجدت الرَّبَعية أَمَتك : أمرتها فأطاعتك ؛ ووجدت المُضَرية قِرْنا ساوَرْته ، فغلبته أو غلبك .

٢٠ (١) ف ، مب : مطر .

رأى امرأة له تخلل في الصباح فطلقها

حدثنا ابن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم قال : رأى المغيرة امرأة له تَخَلَّل بعد صلاة الصبح ، فطلقها . فقالت : علام طلقنى[1] ؟ قيل : رآك تَخَلَّلين ، فظن أنك أكلت . فقالت : أبعده الله ! والله ما أتخلل إلا من السواك[2] .

عمر يغير كنيته

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى موسى بن إسمعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم :

أن رجلا جاء فنادى يستأذن لأبى عيسى ، على أمير المؤمنين . فقال عمر : أيكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبى عبد الله ، وأبى عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها . فقال له عمر : ١٠ إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأنا لا أدرى ما يُفعل بى . فكناه أبا عبد الله .

أعرابى يصف عور الكوفة

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبى عبيدة ، قال : حدثنى عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، قال :

---

(١) كذا فى س ، ف ، مب . وهو الصواب ، بدليل أن الجواب بصيغة المبنى للجهول . ١٥ وفى أ ، ج ، م : طلقتنى . (٢) ذكر هذا الخبر المسعودى فى مروج الذهب (فى أخبار الحجاج) ونسب الحادثة فيه إلى الحارث بن كلدة الثقفى مع الفارعة زوجته ؛ قال : دخل عليها مرة سحرا ، فوجدها تخلل ، فبعث إليها بطلاقها ؛ فقالت : لم بعثت إلىّ بطلاقى ؟ هل لشىء رابك منى ؟ قال : نعم ، دخلت عليك فى السحر وأنت تخللين ؛ فإن كنت بادرت الغداء ، فأنت شرهة ؛ وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة . فقالت : كل ذلك لم يكن ، لكننى تخللت من شظايا السواك . وذكر ابن عبد ربه ٢٠ فى كتابه «العقد» : أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبة ، وأنه هو الذى طلقها لأجل الحكاية المذكورة فى التخلل . وانظر الخبر فى وفيات الأعيان لابن خلكان ، فى ترجمة الحجاج .

كان الجمال بالكوفة ينتهى إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحُجْر بن عدىّ، وكلهم كان أعور؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوما متواقفين بالكوفة بالكُناسة، فطلع عليهم أعرابى. فقال لهم المغيرة: دعونى أحركه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جوابا يُؤْثَر. قال: لا بد. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابى، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعورَ زانيا. فوجَم. ثم تجلد فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعرَى قومه[1]. قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك. قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله؟ قال: وكيف لا أعرف رجلا لولاه ما عُرفت عشيرته. قالوا له: قَبَحك الله، فإنك شر جليس، فهل تحب أن نُوقِر لك بعيرك هذا مالا وتموتَ أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلى إذن؟ فانصرفوا عنه وتركوه.

١٤٣ / ١٤

حوار له مع ابن لسان الحمرة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش، قال: حدثنى أبو سعيد السكرىّ، قال: حدثنا محمد بن أبى السرىّ — واسم أبى السرىّ سهل بن سلام الأزدى — قال: حدثنى هشام بن محمد قال: أخبرنا عَوانة بن الحكم، قال:

خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعىّ، بعد غِبّ مطر، يسير بظهر الكوفة والحوف، فلقى ابن لسان الحُمَّرة[2]، أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة: من أين أقبلت يا أعرابى؟ قال: من

---

(١) كذا جاءت هذه العبارة فى ف، ج، مب. وفيها إشارة إلى أنه حائك ابن حائك. وفى بقية الأصول: لا يعدى قومه. تحريف.

(٢) الحمر: ضرب من العصافير. وابن لسان الحمرة: هو عبد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر ابن كلاب التيمى. وقيل: هو ورقاء بن الأشعر، كان خطيبا بليغا نسابة، ضرب به المثل، فقيل: «أنسب من ابن لسان الحمرة». (عن مجمع الأمثال للميدانى، وتاج العروس للزبيدى).

السماوة . قال : فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال : عريضة أريضة[(١)] . قال : وكيف كان المطر؟ قال : عفّى الأثر، وملأ الحُفَر . قال : ممن أنت؟ قال : من بكر بن وائل . قال : فكيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول فى بنى شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول فى بنى ذُهْل ؟ قال : سادة نَوْكَى . قال: فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك، وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رِعاء البقر[(٢)]، وعراقيب الكلاب . قال: فما تقول فى بنى يشكر؟ قال : صريح تحسبه مولى . (قال هشام : لأن فى ألوانهم حمرة) . قال : فعِجْل؟ قال: أحلاس الخيل[(٣)] . قال: فحنيفة ؟ قال: يطعمون الطعام، ويضربون الهام . قال : فعنَزَة ! قال : لا تلتق بهم الشفتان لؤما[(٤)] . قال : فضُبيعة أضجم[(٥)] ؟ قال : جَدْعا وعَقْرا[(٦)] . قال : فأخبرنى عن النساء . قال: النساء أربع : ربيع مُربِع، وجميع تَجْمع، وشيطان سَمَعْمع، وغُلّ لايُخلَع[(٧)]. قال

(١) أرض أريضة : معشبة خصبة . (٢) ف، مب : النقد، وهى صغار الغنم .

(٣) أحلاس الخيل : شجعان فرسان، ملازمون لركوب الخيل .

(٤) لعله يريد أنهم لا يكفون عن ثلب الناس والفخر عليهم .

(٥) كذا فى ف، مب . وفى أ، م، ج : أجسم . تحريف . وضبيعة أضجم : هو ضبيعة ابن أسد بن ربيعة، أو ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وهو المعروف بالأضجم، كما فى المقدمة الفاضلية لابن الجوانى النسابة؛ ومعناه : المعوج الفم . وضبيعة بن أسد بن ربيعة؛ قال ابن دريد : وهى ضبيعة أضجم . (٦) جدعا وعقرا : دعاء عليهم بالجدع والعقر، يريد أصابهم الاستئصال والفناء .

(٧) ذكر صاحبا اللسان والتاج كلام ابن لسان الحمرة فى وصف النساء أتم تفصيلا مما ذكره المؤلف هنا . قالا : «النساء أربع : فربيع مربع، وجميع تجمع، وشيطان سمعمع، وغل لا يخلع . فقال : فسر . قال : الربيع المربع : الشابة الجميلة التى إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك . وأما الجميع التى تجمع : فالمرأة تتزوجها ولك نشب، ولها نشب، فتجمع ذلك . وأما الشيطان السمعمع : فهى المرأة الكالحة فى وجهك إذا دخلت، المولولة فى إثرك إذا خرجت . قال : وأما الغل التى لاتخلع : فبنت عمك القصيرة الفوهاء، الدميمة السوداء، التى نثرت لك ذا بطنها، فإن طلقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها أمسكتها على مثل جدع أنفك» . وفى اللسان : امرأة سمعمة : كأنها غول أو ذئبة . والورهاء : التى لا تعنى بالكحل . وهى رواية الأصول عدا ف، مب .

قَسِّر. قال: أما الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرتك، و إذا أقسمت عليها أَبَرَّتك؛ وأما التى هى جميع تجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبها ؛ وأما الشيطان السمعمع، فالكالحة فى وجهك إذا دخلت، والمولولة فى أثرك إذا خرجت؛ وأما الغل الذى لايخلع، فبنت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التى قد نثرت لك بطنها، إن طلقتها ضاع ولدك، و إن أمسكتها فعلى جدع أنفك. فقال له المغيرة: بل أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعورُ زَنّاء . فقال الهيثم : فض الله فاك ! ويلك ! هـذا الأمير المغيرة . فقال : إنها كلمة والله تقال . فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة ، وستون أو سبعون أمة . قال له : ويحك ! هل يزنى الحر وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهن المغيرة : ارمين إليه بحُلاكن . ففعلن ، فخرج الأعرابى بملء كسائه ذهبا وفضة .

ينصح عليا ثم يغشه

أخبرنى عبيد الله بن محمد، قال : حدثنا الخزاز، عن المدائنى، عن أبى مخنف، وأخبرنى أحمد[1] بن عيسى العجلى قال : حدثنا الحسن بن نصر ، قال : حدثنى أبى نصر بن مزاحم قال : حدثنا عُمر بن سعد[2]، عن أبى مخْنف عن رجاله :

أن المغيرة بن شعبة جاء إلى على بن أبى طالب عليه السلام، فقال له : اُكتب إلى معاوية فوَلِّه الشام، ومره بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعـل وأردت عزله حاربك . فقال علىّ عليه السلام : ﴿ ما كنتُ متَّخِذَ المُضِلِّين عَضُدا ﴾ . فانصرف المغيرة وتركه . فلمـا كان من غد جاءه ، فقال : إنى فكرت فيما أشرتُ به عليك أمس ، فوجدته خطأ ، ووجدت رأيك أصـوب . فقال له على : لم يَخْـفَ علىّ ما أردت ؛ قـد نصحتنى فى الأولى ، وغششتنى فى الآخرة ، ولكنى والله لا آتى أمرا أجد فيه فسادا لدينى، طلبا لصلاح دنياى . فانصرف المغيرة .

١٤٤
١٤

(١) ج : محمد . (٢) ف : شبة .

يخدع مصقلة ابن هبيرة الشيبانى

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى إبراهيم بن سعيد بن شاهين ، قال : حدثنى محمد بن يونس الشيرازى ، قال : حدثنى محمد بن غسان الضبىّ ، قال : حدثنى زاجر بن عبد الله الثقفى ، مولى الحجاج بن يوسف ، قال :

كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانىّ تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع فى كلامه ، حتى طمع فيه مَصقلة . واستعلى عليه ، فشتمه . فقدمه المغيرة إلى شُرَيح ، وهو القاضى يومئذ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحد . فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيا ، وخرج إلى بنى شيبان ، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة . ثم دخل الكوفة ، فتلقاه قومه ، وسلموا عليه . فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها . فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنك تريد أن ترجم قبره . فقال : ألقوا ما فى أيديكم . فألقوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعا لصديقك ، ضائرا[1] لعدوّك ، وما مثلك إلا كما قال مهلهل فى أخيه كليب :

إن تحت الأحجار حزما وعزما * وخَصيما[2] ألدّ ذا معلاق
حيةٌ فى الوِجار أربدُ لا ينـ * ـفع منه السليمَ نفثُ الراقى

(١) ضائرا : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : صابرا .

(٢) يقال : رجل معلاق ، وذو معلاق : أى خصم ، شديد الخصومة ، يتعلق بالحجج ويستدركها . والمعلاق : اللسان البليغ . ورواه ابن دريد : ذا مغلاق ؛ قال الزمخشرى عن المبرد : من رواه بالعين المهملة فمعناه : إذا علق خصما لم يتخلص منه ؛ وبالغين المعجمة فتأويله : يغلق الحجة على الخصم . (انظر تاج العروس فى علق) .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، عن أحمد بن القاسم ، عن العمرى ، عن الهيثم بن عدى ، عن مجالد ، عن الشعبىّ :

أن مصقلة قال له : والله إنى لأعرف شبهى فى عُرْوة ابنك . فأشهد عليه بذلك ، وجلده الحدّ . وذكر باقى الخبر مثل الذى قبله .

يحاول أن يخدع عمر بن الخطاب فلا يخدع

٥ أخبرنى محمد بن عبد الله الرازىّ[1] ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنى ، عن مسلمة[2] بن محارب ، قال :

قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبى بكر ، فتَحْفظه بعد وفاته ، وتخلُفه فى أهله . فقال عمر : بلى ، إنى لأحب ذاك ، فاذهب إلى عائشة ، فاذكر لها ذلك ، وعد إلى بجوابها . فمضى

١٠ الرسول إلى عائشة ، فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته إلى ذلك ، وقالت له : حبا وكرامة[3] . ودخل إليها بَعقب ذلك المغيرة بن شعبة ، فرآها مهمومة . فقال لها : مالك يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : إن هذه جارية حَدَثة ، وأردت لها ألين عيشا من عمر . فقال لها : علىّ أن أكفيك . وخرج من عندها ، فدخل على عمر ، فقال : بالرِّفاء والبنين ، قد بلغنى ما أتيته من صلة أبى بكر

١٥ فى أهله ، وخِطْبتك أم كلثوم . فقال : قد كان ذاك . قال : إلّا أنك ، يا أمير المؤمنين ، رجل شديد الخُلُق على أهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشىء ، فتضربها فتصيح : يا أبتاه ! فيغمك ذلك ، وتتألم له عائشة ، ويذكرون أبا بكر ، فيبكون عليه ، فتجدد لهم المصيبة به ، مع قرب عهدها فى كل

(١) ف ، مب : عبيد الله بن محمد الرازى .

٢٠ (٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : سلمة .

(٣) ف : نعم وحب وكرامة . مب : نعم وكرامة .

يوم . فقال له : متى كنت عند عائشة[(١)]، واصدقنى ؟ فقال : آنفا . فقال عمر : أشهد أنهم كرهونى ، فتضمنت لهم أن تصرفنى عما طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

١٤٥ / ١٤
قضية الزنا

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وأحمد بن عبيدالله بن عمار ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد النوفلى ، عن محمد بن سليمان الباقلانى ، عن قتادة ، عن غنيم بن قيس ، قال :

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى آمرأة من ثقيف يقال لها الرَّقْطاء ، فلقيه أبو بكرة ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان[(٢)] . فأخذ بتلابيبه ، وقال : إن الأمير يزار ولا يزور .

وحدّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضى الله عنه ، أحمد بن عبيد الله آبن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، فرواه عن جماعة من رجاله ، بحكايات متفرقة .

قال عمر بن شبة : حدثنى أبو بكر العُلَيمى ، قال : أخبرنا هشام ، عن عيينة ابن عبد الرحمن بن جَوشن ، عن أبيه ، عن أبى بكرة .

قال عمر بن شبة : وحدّثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علىّ آبن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة .

قال أبو زيد عمر بن شبة : وحدثنا علىّ بن محمد بن حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبىّ .

قال : وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصارىّ ، قال : حدثنا عوف ، عن قسامة ابن زهير .

قال أبو زيد عمر بن شبة : قال الواقدىّ : حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن أبى بكرة ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس[(٣)] بن الحَدَثان .

(١) ف : متى عهدك بعائشة . (٢) آل فلان : كذا فى ج ، س ، مب . وفى أ ، م : دار فلان . وفى ف : فلانا . (٣) فى الأصول : أنس . والتصويب عن الخلاصة للخزرجى .

قال : وحدثني محمد بن الجهم ، عن علي بن أبي هاشم ، عن إسماعيل ابن أبي عبلة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك :

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْطَ النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : آتي حاجة . فيقول له : حاجة ماذا ؟ إن الأمير يزار ولا يزور .

قال : وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة . قال : فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ، ورجل آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة . فضربت الريح باب المرأة ففتحته . فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بلية ابتُليتم بها ، فانظروا . فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة ، فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمت ، فاعتزلنا . قال : وذهب ليصلي بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكرة ، وقال له : لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دعوه فليصلِّ ، فإنه الأمير ، واكتبوا بذلكم إلى عمر . فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعا ، المغيرة والشهود .

وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى : وبعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصرة ، وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة . قال : قال علي بن أبي هاشم[1] في حديثه : إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته : أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين : نتركه يتجهز ثلاثا ، ثم يخرج . قال : فصلينا صلاة الغداة بظهر المربد ، ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلون : الرجال والنساء مختلطين ، فدخل رجل على المغيرة ، فقال له : إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد ، عليه

(١) كذا في ف . وفي مب ، ج ، أ ، م ، س : علي بن هشام .

برنس . فقال له المغيرة : ما جاء زائرا ولا تاجرا . فدخلنا[1] عليه ومعه صحيفة ملء يده[2] ، فلما رآنا[3] قال : الأمير ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره . فقال له أبو موسى : مكانك، تجهز ثلاثا .

وقال الآخرون : إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته . فقال له المغيرة : لقد علمت ما وجهت فيه ، فألا تقدمت فصليت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت فى هذا الأمر إلا سواء . فقال له المغيرة : فإنى أحب أن أقيم ثلاثا لأتجهز . فقال : قد عزم علىّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدى من يدى إذا قرأته عليك، حتى أرحّلك إليه . قال : إن شئت شفّعتنى وأبررت قسم أمير المؤمنين . قال: وكيف؟ قال: تؤجلنى إلى الظهر، وتمسك الكتاب فى يدك . قالوا: فقد رُئى أبو موسى يمشى مقبلا ومدبرا ، وإن الكتاب لفى يده معلقا بخيط . فتجهز المغيرة ، وبعث إلى أبى موسى بعقيلة ، جارية عربيـة من سَبْى اليمـامة ، من بنى حنيفة ؛ ويقال إنها مولدة الطائف ، ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلى الظهر ، حتى قدم على عمر . وقال فى حديث محمد بن عبد الله الأنصارىّ : فلما قدم على عمر . قال له : إنه قد شُهِد عليك بأمر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذلك كان خيرا لك .

قال أبو زيد : وحدّثنى الحكم بن موسى ، قال : حدثنـا يحيى بن حمـزة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصـارىّ ، عن مصعب بن سعد :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـه جلس ، ودعا المغيرة والشهود . فتقـدم أبو بكرة . فقال له : أرأيته بين فخذيها ، قال : نعم والله ، لكأنى أنظر إلى تشريم

---

(١) أ ، م ، س ، ج : فدخلت . (٢) ملء يده : كذا فى ب . وفى سائر النسخ : مثل هذه .
(٣) أ ، م : رآها .

جُدَرِيّ بفخذيها . فقال له المغيرة : لقد ألطفت النظر . فقال له : لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرود فى المُكْحُلة . فقال : نعم أشهد على ذلك . فقال له : اذهب عنك مُغيرة ، ذهب رُبْعك .

ثم دعا نافعا فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبى بكرة . قال : لا ، حتى تشهد أنه كان يلج فيه وُلوج المِرود فى المكحلة . فقال : نعم حتى بلغ قُذَذه (١) . فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب نِصفك . ثم دعا الثالث ، فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبيّ . فقال له علىّ بن أبى طالب عليه السلام : اذهب عنك مغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك . قال : حتى مكث يبكى إلى المهاجرين ، فبكوا ، وبكى إلى أمهات المؤمنين ، حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة .

قال : ثم كتب إلى زياد ، فقدم على عمر . فلما رآه جلس له فى المسجد ، واجتمع إليه رءوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : ومعى كلمة قد رفعتها لأكلم القوم . قال : فلما رآه عمر مقبلا قال : إنى لأرى رجلا لن يخزىَ الله على لسانه رجلا من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدثنا عفان ، قال : حدثنا السَّرِىّ بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبى عثمان النهدىّ ، قال :

لما شهد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة ، تغير لذلك لون عمر ، ثم جاء آخر فشهد ، فانكسر لذلك انكسارا شديدا . ثم جاء رجل شابّ (٢) يخطِر بين يديه ، فرفع

(١) قذذه : جمع قذة ، وهى جانب الحياء .
(٢) شاب : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : شديد .

عمر رأسه إليه ، وقال له : ماعندك ياسَلْح العُقاب . وصاح أبوعثمان صيحة تحكى صيحة عمر . قال عبد الكريم : لقد كِدت أن يُغْشَى علىّ .

وقال آخرون : قال المغيرة : فقمت إلى زياد ، فقلت له : لا مَخْبأ لعطر بعد عَروس . ثم قلت : يا زياد ، اذكر الله ، واذكر موقف يوم القيامة ؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمى ، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت ، فلا يحملك شر منظر رأيتــه على أن تتجاوزه إلى ما لم تر ، فوالله لو كنت بين بطنى و بطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منهــا . قال : فترنقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما أن أُحُقَّ ما حق القوم فليس ذلك عنــدى ؛ ولكنى رأيت مجلســا قبيحا ، وسمعت نفَسا حثيثا وانبهارا ، ورأيته متبطِّنها . فقال له : أرأيته يدخله كالميل فى المكحلة . فقال : لا .

وقال غير هؤلاء : إن زيادا قال له : رأيته رافعا برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، ورأيت حَفْزا شديدا ، وسمعت نفَسا عاليا . فقال له : أرأيته يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة ؟ فقال : لا . فقال عمر : الله أكبر . قم إليهم فاضربهم . فقام إلى أبى بكرة ، فضربه ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجْم . فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب : فإنى أشهد أن المغيرة فعــل كذا وكذا . فهم عمر بضربه ، فقال له علىّ عليه السلام : إنْ ضربته رجمت صاحبك . ونهاه عن ذلك .

قال : يعــنى أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المغــيرة .

قال : واستتاب عمر أبا بكرة . فقــال : إنما تستتيبنى لتقبل شهادتى . قال : أَجَل . قال : لا أشهد بين اثنــين ما بقيت فى الدنيا . قال : فلما ضُربوا الحــدّ

قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذى أخزاكم . فقال له عمر : اسكت أخزى الله مكانا رأوك فيه[١] . قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقـول : والله ما أنسى رَقَط فخـذيها . قال : وتاب الاثنان ، فقُبلت شهادتهمـا . قال : وكان أبو بكرة بعـد ذلك إذا دُعى إلى شهادة يقول : اطلب غيرى ، فإن زيادا قـد أفسد علىّ شهادتى .

قال أبو زيد : وحدّثنى سـليمان بن داود بن علىّ ، قال : حدّثنى إبراهيم ابن سعد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال :

لمـا ضُرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذُبحت ، وجعلت جلدها على ظهره . قال : فكان أبى يقول : ما ذاك إلا من ضرب شديد .

حدّثنـا ابن عمار والجوهرىّ قالا : حدّثنـا عمر بن شبة قال : حدّثنـا علىّ بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبىّ، قال :

كانت أم جميل بنت عمر، التى رُمى بهـا المغيرة بن شـعبة بالكوفة ، تختلف إلى المغيرة فى حوائجها ، فيقضيها لها . قال : ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هـذه ؟ قال : نعم ؛ هـذه أم كلثوم بنت علىّ[٢] . فقال : له عمر : أتتجاهل علىّ ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلا خفت أن أُرمَى بحجارة من السماء .

حدّثنى أحمد بن الجعد، قال : حدّثنا محمد بن عبـاد ، قال : حدّثنا سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى جعفر ، قال :

(١) رأوك فيه : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : واراك .

(٢) مب : «عاتكة بنت معاوية» .

قال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره .
وقال غيره : لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره .

حسان يهجو المغيرة

أخبرنى ابن عمار والجوهرىّ قالا : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا المدائنى ، قال :

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة فى هذه القصة :

لوَ آن اللؤم ينسَب كان عبداً * قبيح الوجه أعورَ من ثقيف
تركتَ الدين والإسلام لما * بدت لك غُدوةً ذاتُ النَّصيف
وراجعت الصِّبا وذكرت عهدا * من القَينات والغمز اللطيف[1]

يتزوج وهو فى طريقه إلى المحاكمة

أخبرنى الجوهرىّ وابن عمار، قالا : حدّثنا عمر بن شبة، قال : حدّثنا المدائنى عن عبد الله بن سلم الفِهرى ، قال :

لما شخص المغيرة إلى عمر، رأى فى طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له : أنت على هذه الحال ؟ قال : وما عليك؟ إن أُعفَ ، فهو الذى تريد ؛ وإن أقتل ترثنى . فزوّجه .

قال أبو زيد : قال الواقدى : تزوّجها بالرَّقْم[2] . وهى امرأة من بنى مرة . فلما قدم بها على عمر، قال : إنك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق .

وقال محمد بن سعد : أخبرنى محمد بن عبد الله الأسدىّ، قال : حدّثنا مِسعر ، عن زياد بن علاقة ، قال :

سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأميركم هذا ، فإنه كان يحب العافية[3] .

١٤٨ / ١٤

(١) كذا رواية البيت فى ف ، وفى سائر النسخ : ... لهوا ... العمر اللطيف .
(٢) الرقم : موضع بالحجاز قريب من وادى القرى . (٣) مب : العاقبة .

صفته

قال : وكان المغيرة أصهب الشعر جدا ، أكشف ، يفرُق رأسه قرونا أربعة ، أقلص الشفتين ، مهتوما ، ضخم الهامة ، عَبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين .

وفاته

قال : وقال الواقدىّ ، حدّثنى محمد بن موسى الثقفى ، عن أبيه ، قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين ، فى خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلا طُوالا أعور ، أصيبت عينه يوم اليرموك . ٥

⁂

صــــوت

جِنية ولها جِن يعلمها * رمى القلوب بقوس ما لها وتَرُ

إن كان ذا قدَرا يعطيك نافلة * منا ويحرِمنا ، ما أنصف القدر

٢٠ الشعر لمحمد بن بشير الخارجىّ ، والغناء لإبراهيم : هزج بالبنصر ، عن الهشامىّ .

أخبار محمد بن بشير الخارجىّ ونسبه

نسبه وشعره

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان[(١)] بن عدىّ ابن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجىّ، من بنى خارجة بن عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نُسبا إلى أمهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى محمد ابن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حِجازىّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعا إلى أبى عبيدة بن عبدالله بن زَمْعة القرشى، أحد بنى أسد بن عبدالعزى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبى عبيدة بن زمعة القرشىّ؛ ولدت لعبد الله محمدا وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَراثٍ مختارة، وهى عيون شعره، وكان يبدو فى أكثر زمانه، ويقيم فى بوادى المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس.

رواة أخباره

أخبرنى بقطعة من أخباره الحسن بن علىّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنى مُصعَب الزبيرىّ. قال أحمد: وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى سليمان بن عياش[(٢)] السعدى وعمى مصعب. وحدّثنى بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش. وقد ذكرت كل ذلك فى مواضعه.

يخطب عائشة بنت يحيى فترفض السفر معه

قال ابن أبى خيثمة فى روايته عن مصعب وعن الزبير، عن سليمان ابن عياش:

(١) ف، مب: سيار.

(٢) أ، م، ج: عباس.

كان الخارجىّ ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب
ابن سنان بن عدىّ بن عوف بن بكر، شاعرا فصيحا ، ويكنى أبا سليمان . فقدم
البصرة فى طلب ميراث له بها ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجية؛ من
خارجة عدوان . فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة ، ويترك الحجاز ،
٥ ويكون أمرها فى الفرقة إليها . فأبى أن يفعل، وقال فى ذلك :

أرِق الحزينُ وعاده سُهُدُهْ * لطوارق الهم التى تَرِدُهْ[(١)]

وذكرتُ من لانت له كبدى * فأبى فليس تلين لى كبده

ونأى فليس بنازل بلدى * أبدا ، وليس بمُصلِحى بلده[(٢)]

فصُدِعت حين أبى مودّته * صَدْعَ الزجاجة دائم أبده

١٠ وعرفت أن الطير قد صدقت * يوم الكِدانة شرَّ ما تَعِده

فاصبر فإن لكل ذى أجل * يوما يجىء فينقضى عدده

ماذا تعاتب من زمانك إذ * ظعن الحبيب وحل بى كَمَده[(٣)]

قالا : وخاطب أباها يحيى بن يعمر فى ذلك ، فقال له : إنها امرأة بَرْزة عاقلة ،
لا يُفتات على مثلها بأمرها ، وما عندها عنك من رغبة ، ولكنها امرأة فى خلقها
١٥ شدّة ، ولها غيرة ، وقد بلغنى أن لك زوجتين ، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة
لها ؛ فانظر فى أمرك ، وشاور فيه : فإما أن أقمت بالبصرة معها ، فعفَت لك عن

(١) كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : الذى يرده .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : فأبى .
(٣) كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : أن ظعن .

١٤٩ / ١٤

صاحبتيك ، إذ لا مجاورة بينهما و بينها ولا عِشْرة ، و إن شئت فارقتهما[١] وأُخْرِجها معك . فصار إلى رحْله مغموما . وشاور آبن عم له يقال له ورّاد بن عمرو فى ذلك ، فقال له : إن فى يحيى بن يعمر لرغبة ، لثروته وكثرة ماله ، وما ذكرْته[٢] من جمال ابنته ، وما نحب أن تفارق زوجتيك — وكانت إحداهما آبنة عمه ، والأخرى من أشجع — فتقيم معها السنة بالبصرة ، ونمضى نحن[٣] ، فإن رغبت فيها تمسكت بها ، وأقمت بمكانك ، و إن رغبت فى العود إلى بلدك ، كتبت إلينا فجئناك ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك .

ففكر ليله أجمع فى ذلك ، ثم غدا عازما على الرجوع إلى الحجاز ، وقال :

قصيدته فى زوجه أم سعد

لئن أقمتُ بحيث الفيضُ فى رجب[٤] * حتى أُهِلَّ به من قابلٍ رَجَبا

وراح فى السَّفْر[٥] ورّاد فهيجنى * إن الغريب إذا هيجته طربا

إن الغريب يَهيج الحزنُ صَبْوته * إذا المصاحب حياه وقد ركبا

قد قلت أمس لوراد وصاحبه * عُوجا على الخارجىّ اليوم واحتسبا[٦]

وأبلغا أم سعد أنّ عانيها[٧] * أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا

لما رأيت نجِىَّ القوم قلت لهم * هل يعدُوَنّ نجىُّ القوم ما كُتبا[٨]

(١) كذا فى ف . وفى مب : ففارقهما . وفى سائر النسخ : مفارقتهما .

(٢) ج : ذكره .

(٣) نحن : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : تمضى بخير . تحريف .

(٤) الفيض : نهر البصرة . وهى رواية ف ، مب . وفى سائر النسخ : القبض . تحريف . يريد : أقمت بهذا الموضع ، وأهل الرجل الهلال : رآه .

(٥) ف : وراث فى السفر .

(٦) احتسبا : يريد اصنعا فىّ معروفا ، وعدا أجره عند الله .

(٧) العانى : الأسير .

(٨) النجىّ ، بوزن فعيل : الذى يسارك و يناجيك ، مفرد وجمع . ورواية البيت كما فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : قلت له : هل يقدرن .

وقلت إنى متى أجلب شفاعتكم * أندم وإنّ أشقّ الغىّ ما اجتلبا (١)

وإنّ مثلى متى يسمع مقالتكم * ويعرف العين يندم قبل أن يجبا (٢)

إنى وما كبّر الحجّاج محملهم * بزل المطايا بجنبى نخلة عصبا (٣)

وما أهلّ به الداعى وما وقفت * عليا ربيعة ترمى بالحصى الحصبا (٤)

جهدا لمن ظن أنى سوف أظعنها * عن ربع غانية أخرى لقد كذبا (٥)

أأبتغى الحسن فى أخرى وأتركها * فذاك حين تركت الدين والحسبا (٦)

وماانقضى الهم من سعدى وماعلقت * منى الحبائل حتى رمتها حقبا (٧)

وما خلوت بها يوما فتعجبنى * إلا غدا أكثر اليومين لى عجبا (٨)

بل أيها السائلى ما ليس يدركه * مهلا فإنك قد كلفتنى تعبا (٩)

١٠ كم من شفيع أتانى وهو يحسب لى * حسبا فأقصره من دون ما حسبا (١٠)

فإن يكن لهواها أو قرابتها * حب قديم فما غابا ولا ذهبا

هما علىّ : فإن أرضيتها رضيا * عنى وإن غضبت فى باطل غضبا

---

(١) كذا روى البيت فى مب ، وفيه تحريف فى سائر النسخ .

(٢) العين : كذا فى جميع النسخ ، ولعله تحريف عن الغبن . يريد الغبن فى الرأى الذى أشاروا به عليه . وفى ف ، مب : ينزع ، فى موضع : يندم . والنزوع : الاشتياق . ١٥

(٣) بجنبى : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : إلى ، وبها يختل وزن البيت . ونخلة : موضع على ليلة من مكة (عن معجم ما استعجم للبكرى) . والعصب : الجماعات .

(٤) يريد بالحصب هنا : المحصب بمنى ، وهو موضع رمى الجمار .

(٥) ربع : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : دفع ، وهذه غامضة . يريد : لا أجعل لناقتى مقرا ولا رحلة إلا من ربع هذه الحبيبة . ٢٠

(٦) ف : والأدبا . (٧) ف ، مب : ولا انقضى ... ولا علقت .

(٨) ف ، مب : أكبراليومين . (٩) ف ، مب : يأيها السائلى .

(١٠) ف : وهو يحسبنى أسلو . يريد كم شفيع أتاه يعدله كثير المحاسن فى نساء أخر ، فكان يرده ،

١٥٠ / ١٤

كأنْ ذهبتُ[1] فردّانى بكيدهما * عما طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة * إلا أنازع من أسبابها سببا
ويْلُمِّها خُلّةً لو كنتِ مُسجِحة * أو كنتَ ترجع من عَصْرَيكَ ما ذهبا
أنت[2] الظعينة لا تُرْمَى برمتها * ولا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا

يغضب لعربية تزوجت مولى ويفرق بينهما

أخبرنى عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى سليمان ابن عياش السعدى، قال: ٥

قدم أعراب من بنى سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالى من أهل الروحاء، فزوّجه. فركب محمد بن بشير الخارجىّ إلى المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجىّ على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين، وفرق ١٠ بين المولى وزوجته، وضربه مائتى سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. فقال محمد بن بشير فى ذلك:

شهدتُ غداةَ خصم بنى سُليم * وجوها[3] من قضائك غير سود
قضيتَ بسنة وحكمت عدلا * ولم ترِث الحكومة من بعيد
إذا غُمِز القنا وُجدتْ لعمرى * قناتك حين تغمَز خيرَ عُود ١٥
إذا عض الثِّقاف بها اشمأزت * أبِيَّ النفس[4] بائنة الصعود
حمى حَدَبا لحوم بنات قوم * وهم تحت التراب أبو الوليد
وفى المِئتَيْن للمولى نَكال * وفى سلب الحواجب والخدود

(١) ذهبت: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: دهيت. وضمير الفاعل فى ردانى وجاءاها وطلبا: يعود على الهوى والقرابة. (٢) أنت: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: ليت. ٢٠
(٣) ف، مب: وجوها من فضائل.
(٤) النفس: كذا فى ف. وفى سائر النسخ: القسر.

إذا كافأتهم ببنات كسرى * فهل يجد الموالى من مزيد
فأى الحق أنصف للموالى * من اصْهار العبيد إلى العبيد

حدّثنى عمى،[1] قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى سليمان بن عياش، قال:

كان له عبد غير وفى

كان للخارجيّ عبد، وكان يتلطف له ويخدمه، حتى أعتقه وأعطاه مالا، فعمل به، وربح فيه. ثم احتاج الخارجيّ بعد ذلك إلى معونة أو قرض فى نائبة لحقته، فبعث إلى مولاه فى ذلك، وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئا، فقال الخارجى فى ذلك:

يسعى لك المولى ذليلا مُدقعا * ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ
فأمسك عليك العبد أوّل وَهْلةٍ * ولا تنفلت من راحتيك حبائله

وقال أيضا:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا * لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا

يتزوج ثالثة إذ تأخر عنه زوجتاه

حدّثنى عيسى بن الحسين،[2] قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنى سليمان ابن عياش السعدىّ، قال:

كان محمد بن بشير الخارجىّ بين زوجتين له، وكان يسكن الروحاء، فأجدب عليه منزله، فوجه غنما إلى سحابة وقعت برُجْفان، وهو جبل يطل على مضيق يَلْيل، فشقت غيبتها عليه. فقال لزوجتيه: لو تحوّلتما إلى غنمنا. فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، وتصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيك فيه. فمضى وزوّدتاه وَطْبين، وقالتا له: اجمع لنا اللبن، ووعدتاه موضعا من رُجفان، يقال له

(١) ف، مب: عيسى بن الحسين.
(٢) كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: حدّثنى محمد بن عيسى.

١٥١/١٤

ذو القِشع . فانطلق، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع، ثم انتظرهما، فأبطأتا عليه. وخالفته سحابة إليهما، فأقامتا، وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا . فجعل يَصْعَد فى الجبل و ينزل، يتبصرهما فلا يراهما . فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا[1]، فقال : أنزل فأتحدّث إليهما، فإذا هو بامرأة مسنة، ومعها بنت لها شابة، فأعجبته، فقال لها : أتزوّجيننى ابنتك هذه ؟ قالت : إن كنت كفؤا. فانتسب لها، فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه، ولكن يأتى أبوها . فجاء أبوها فعرفه، وأخبرته امرأته بما طلب . فقال : نعم، وزوّجه إياها . فساق إليها قطعة من غنمه، ثم بنى بها، وانتظر، فلم ير زوجتيه تَقْدَمان عليه، فارتحل إليهما بزوجته و بقية غنمه . فلما طلع عليهما وقف، فأخذ بيدها، ثم أنشأ يقول :

كأنىَ مُوف للهلال عشية * بأسفل ذات القِشع منتظِرَ القَطْرِ
وأنتن تلبسن[2] الحديدة بعدما * طُردت بطِىِّ الوَطْب فى البُلْق والعُفْرِ
فكان الذى قلتن أَعْدِدْ بضاعة * لناهد بيضاء الترائب والنحر
كأنّ سُموط الدر منها معلق * بجَيْداءَ فى ضالٍ بوَجْرة أو سدر
تكون بلاغا ثم لست بمخبر * إذا وُديت لى ما وددتن من أمرى

فارقته المزنية فقال فيها شعرا

أخبرنى الحسن[3] بن على، قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال : حدّثنى مصعب، قال : حدّثنى أحمد بن زهير، وحدّثنى الزبير بن بكار، قال : حدّثنى سليمان ابن عياش، قالا :

(١) ف، مب : قوما قد نزلوا .
(٢) ف، مب : تبلين .
(٣) الحسن : كذا فى ف، مب . وفى سائر النسخ : الحسين .

كان محمد بن بشير يتحدّث إلى امرأة من مُزَينة، وكان قومها قد جاوروهم، ثم جاء الربيع، وأخصبت بلاد مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن بشير:

لو بيَّنَتْ لك قبل يوم فراقها * أن التفرّق من عشيّةَ أو غدِ
لشكوت إذ علِق الفؤاد بهائم * علِق حبائلَ هائم لم يُعهَد
وتبرجت لك فاستَبَتْك بواضح(١) * صَلْت وأسود فى النصيف معقّد
٥
بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط ليل صيف مُبْرِد
موسومة بالحسن ذات حواسد * إنّ الجمال مظنة للحسّد
لم يُطْغِها سَرَف الشباب ولم تضِع * عنها معاهدة النصيح المرشد(٢)
خَود إذا كثر الكلام تعوذت * بحِمَى الحياء وإن تكلمْ تُقصِد
وكأن طعم سُلافة مشمولةٍ * تنصبّ فى إثر السواك الأغيد
١٠
وترى مدامعها تُرَقْرِق مقلة * حوراء ترغب عن سواد الإثمد
ماذا إذا برزت غداة رحيلها * مِ الحسن تحت رقاق تلك الأبرد(٣)
وُلدت بأسعدِ أنجمٍ فحلها * ومسيرها أبدا بطلق الأسعُد
الله يُسعدها ويُسْقِي دارها(٤) * خَضِلَ الرَّباب سَرَى ولمّا يُرعِد

رفضت قضاعية أن تتزوجه فقال فيها شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنى الزبير قال: حدّثنى سليمان بن عياش، قال:
١٥

(١) هذا البيت عن ف، مب. (٢) كذا روى البيت فى ف، مب. وفى سائر النسخ:

لم يطرها ... ... ولم يضع * فيها معاشرة ... ...

ومعاهدة النصيح: تعهده إياها بالنصيحة.

(٣) ف: إذا ندرت. م الحسن: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: من حسن.

(٤) ف، مب: يصحبها.

صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكة(١)، وكانت فيهم امرأة جميلة، فكان يسايرها ويحادثها. ثم خطبها إلى نفسها(٢)، فقالت: لا سبيل إلى ذلك، لأنك لست لى بعشير(٣)، ولا جارى فى بلدى، ولا أنا ممن تطمعه(٤) رغبة عن بلده ووطنه. فلم يزل يحادثها ويسايرها(٥) حتى انقضى الحج، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما، فقال الخارجىّ فى ذلك:

١٥٢
١٤

٥

أستغفر الله ربى من مخدَّرة * يوما بدا لى منها الكشحُ والكتدُ
من رُفقة صاحبونا فى ندائهمُ * كلٌّ حرام فما ذُمُّوا ولا حُمِدوا
حتى إذا البُدْن كانت فى مناحرها * يعلو المناسمَ منها مُزبِدٌ جَسِد(٦)
وحلّق القوم واعتمّوا عمائمهم * واحتل كل حرامٍ رأسُه لَبِد
أقبلتُ أسألها ما بالُ رُفقتها * وما أبالى أغاب القوم أم شهدوا
فقربت لِىَ واحلولت مقالتها * وعوّقتنى وقالت بعضَ ما تجِد(٧)
أنّى ينال حجازىٌّ بحاجته * إحدى بنى القين أدنى دارِها بِرَد(٨)

١٠

(١) عبارة الأصول ماعدا مب: فكان إلى مكة. وهى غامضة محرفة. وقد سقطت من ف.
(٢) كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: نفسه. (٣) ف، مب: بعشرى.
(٤) ف، مب: تطعنه؛ والكلمة غير منقوطة. (٥) ف: يسايرها ويحدثها.
(٦) كانت: كذا فى ف. وفى مب: كاست. والمناسم: كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: المحاسن. تحريف. وجسد: كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: جمد.
(٧) كذا رواية البيت فى ف. وفى سائر النسخ:
تفرقت لى واحلولت مقالتها * وخوفتنى ... ...
(٨) أدنى: كذا فى ف، مب. وفى سائر الفصول: إذما. تحريف. وبرد: جبل قريب من تيماء.

١٥

٢٠

خطب امرأة فطلبت إليه أن يطلق زوجته

أخبرنى عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان ابن عياش، قال:

خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوّجك. فأبى وانصرف عنها، وقال فى ذلك:

٥ أأطلب الحسن فى أخرى وأتركها * فذاك حين تركت الدين والحسبا

هى الظعينة لا يُرْمَى برُمتها * ولا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا

فما خلوت بها يوما فتعجبنى * إلا غدا أكثر اليومين لى عجبا

حدّثنى عيسى قال: حدّثنا الزبير، قال: بلغنى عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجُمَحى، يروى شيئا من أخبار الخارجىّ وأشعاره، فأرسلت

١٠ إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتّاب، وسألته أن يكتب لى ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال:

يحتال على الأنصار ليحدث نساءهم

زعم الخارجىّ، واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عَدوان، وكان يسكن الرَّوْحاء، قال:

بينا نحن بالروحاء فى عام جدب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين

٢٠ وابن أخته[1]، وإذا بقطار ضخم كثير الثَّقَل يهوِى، قادم من المدينة، حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربى، بيننا وبينهم الوادى، وإذاهم من الأنصار، وفيهم سعيد ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فلبثنا أياما، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لى: أرسَل إلىّ النساء يقلن: أما لكم فى الحديث حاجة؟ فقلت لهن: فكيف برجالكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحبا يعرف بالخارجىّ،

٢٥ (١) كذا فى ف. وفى سائر الأصول: ابن أخيه.

صاحب صيد ، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلوتم فتحدّثتم .
قال : فقلت لسليمان : بئس لعمر الله ما أردت منى ، أأذهب إلى القوم فأُغُرَّهم ،
وآثم وأتعبَ وتنالون أنتم حاجتكم دونى؟ ما هذا لى برأى . قال لى سليمان : فأَنظِرنى
إذنْ ، أُرْسِل إلى النساء وأخبرهن بقولك . فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت .
فقلن : قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرة ٥
الأخرى .

قال الخارجىّ : فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم ، وذكرت لهم الصيد ،
فطارت إليه أنفسهم . فخرجت بهم ، وأخذت لهم كلابا وشباكا ، وتزودنا
لثلاث . وانطلقت أحدثهم وأُلهيهم ، فحدّثتهم بالصدق حتى نفِد . ثم حدثتهم[1]
بما يشبه الصدق حتى نفِد[1] . ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، ١٠ ١٥٣/١٤
وجعلت لا أحدثهم حديثا إلا قالوا : صدقت . وغبت بهم ثلاثا ما أعلم أنا عاينّا
صيدا ، فقلت فى ذلك :

إنى لأعجَبُ منى كيف أُفْكِهُهم * أم كيف أخدع قوما مابهم حُمُقُ[2]!
أظل فى البِيد أُلهيهم وأخبرهم * أخبار قوم وما كانوا وما خُلقوا
ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا * حين انطلقنا وآتِى ساعة انطلقوا[3] ١٥
أم كيف تُحْرَم أيد لم تخن أحدا * شيئا وتظفر أيديهم وقد سرقوا
ونرتمى اليوم حتى لا يكون له * شمس ويرمون حتى يَبرُق الأفق

(١ — ١) العبارة عن ف ، مب .
(٢) أفكههم : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : أفكهم .
(٣) كذا روى البيت فى مب . وفى ف : وإنى ساعة انطلقوا . وفى بقية الأصول : وما بى ساعة ٢٠
انطلقوا .

يرمون أحور مخضوبا بغير دم * دفعا وأنت وشاحا صيدك العلَق

تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم * صيد يرجَّى قليلا ثم يُعْتنق

ما زلت أحدوهم حتى جعلتهم * فى أصل مَحْنية ما إن بها طَرِق (١)

ولو تركتهم فيها لمزقهم (٢) * شيخا مزينة إن قالا انعقوا نعقوا

٥ إن كنتم أبدا جارىْ صديقكم * والدهر مختلف ألوانه طرق

فمتعونى فإنى لا أرى أحدا * إلا له أجل فى الموت مستَبَق

مات سليمان بن الحصين فرثاه

قال سليمان بن عياش : ومات سليمان بن الحصين هذا ، وكان خليلا للخارجىّ، مصافيا له ، وصديقا مخلصا ، بجزع عليه ، وحزن حزنا شديدا ، فقال يرثيه :

يأيها المتمنى أن يكون فتًى * مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السبلا

١٠ إن ترحل العيسَ كى تسعى مساعيَه * يُشفَقْ عليك وتعملْ دون ما عملا

لو سرت فى الناس أقصاهم وأقربهم * فى شُقة الأرض حتى تُحسِر الإبلا

تبغى فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا * مثل الذى غيبوا فى بطنها رجلا

اعْدُد ثلاث خصال قد عُرفن له * هل سُب من أحد أو سَبَّ أو بخلا

قال سليمان بن عياش : لما مات عبد العزيز بن مروان ، ونُعِى إلى أخيه عبد الملك ،

١٥ تمثل بأبيات الخارجىّ هذه ، وجعل يرددها ويبكى .

شعر حسن فى امرأة كريمة

أخبرنى عيسى ، قال : حدّثنا الزبير ، قال : حدّثنى عمى عن أبيه ، قال : قال الرشيد يوما لجلسائه :

(١) بها طرق بالتحريك : كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : لها طرق ، والطرق : مناقع الماء . يريد أن ماءها جار غير مستنقع . (٢) لمزقهم : كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : لمربهم .

أنشدونى شعرا حسنا فى امرأة خفِرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لى : إيه يابن مصعب ، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجى حيث يقول :

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جنح ليل مُبرِدِ
موسومة بالحسن ذات حواسد * إن الحسان مظنة للحسد
وترى مدامعها تُرقرق مقلة * حوراء ترغب عن سواد الإثمد
خَوْد إذا كثر الكلام تعوذت * بحمى الحياء وإن تكلم تُقْصد
لم يطغها شرف الشباب ولم تضع * منها مُعاهَدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح * صَلْت وأسود فى النصيف معقد
وكأن طعم سلافة مشمولة * بالريق فى أثر السواك الأغيد

١٥٤/١٤

فقال الرشيد : هذا والله الشعر، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ! ثم أمر[(١)] مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فروّاهما الأبيات .

يتحدث إلى أيم فينهاها قومها

أخبرنى الحسن بن علىّ، قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا الزبير ابن بكار، قال : حدّثنى سليمان بن عياش، قال :

كان محمد بن بشير الخارجىّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسان المُزَنية، ويَقيل[(٢)] عندها أحيانا ، وربما بات عندها ضيفا ، لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه ، وقالوا : ما مبيت رجل بامرأة أيِّم ؟ فجاءها ذات يوم، فلم تدخله خباءها، وقالت له : قد نهانى قومى عنك، وكان قد أمسى، فمنعته المبيت، وقالت : لا تبت عندنا، فيُظَن بى وبك شر[(٣)]، فانصرف وقال فيها :

(١) ف ، مب : ثم أمر محمدا الأمين وعبد الله المأمون برواية الأبيات .
(٢) ف ، مب : يقيم . (٣) ف ، مب : سوء .

ظللتُ لدى أطنابها وكأننى * أسـيرٌ مُعنًّى فى مُخلخَله كَبْلُ
أخـيرٌ إما جَلسةٌ عنـد دارها * وإما مَرَاح لاقريب ولا سهل (١)
فإنك لو أكرمتِ ضيفك لم يعب * عليكِ الذى تأتين حَمْـوٌ ولا بعل
وقد كان يَنميها إلى ذروة العـلا * أب لاتخطاه المطيـة والرحْل
فهـل أنتِ إلا جِنّـة عبقرية * يخالط من خالطتِ من حبكم خَبْل (٢)
وهـل أنت إلا نبعة كان أصلها * نضارا فلم يفضحك فرع ولا أصل
صددت امرأ عن ظل بيتك ماله * بواديك لولاكم صديق ولا أهل

عاتبته أسلمية فأحبها

أخبرنى الحسن بن على، قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال : حدّثنا الزبير، قال : حدّثنى سليمان بن عيـاش، قال :

خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان، حتى أتيا امرأة من الأنصار، من بنى ساعدة، فبرزت لها، وتحـدثا عندها، وقالا لهـا : هل لك فى صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت : من هو؟ قالا : محمد بن بشير الخارجى. قالت : لا حاجة بى إلى لقائه، ولا تجيئانى به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما (٣). فجاءا به معهما، وأخبراه بمـا قالت لهما، وأجلساه فى بعض الطريق، وتقـدما إليهـا، فخرجت إليهما، وجاءهما الخارجىّ بعـد خروجها إليهما، فرحبا به، وسلما عليـه، فقالت لهما : من هـذا؟ قالا : هـذا الخارجىّ الذى كنا نخـبرك عنه. فقالت : والله ما أرى فيـه من خير، وما أشبهه إلا بعبـدنا أبى الجَون. فاستحيا الخارجىّ، وجلس هُنيهة، ثم قام من عندها، وعَلِقها قلبه، فقال فيها :

(١) كذا ورد البيت فى ف. وفى مب : جلسة عند كاره. وجاء فى سائر الأصول محرفا :
أعبدة إما جلسة عنـد كاره * وإما مزاح لاقريب ولا سهل
(٢) البيت عن ف، مب. (٣) ف، مب : لم أبرز.

ألا قد رابنى ويريب غيرى * عشية حكمها حيفٌ مريبُ
وأصبحت المودة عند ليلى * منازل ليس لى فيها نصيب
ذهبتُ وقد بدا لىَ ذاك منها * لأهجوها فيغلبنى النسيب
وأنسى غيظ نفسى إن قلبى * لمن وادَدت فيئته قريب
فلا قلب مُصرٌّ كل ذنب * ولا راض بغير رضا، غضوب[1]
فدعها لست صاحبها وراجع * حديثك إن شأنكما عجيب[2]

تعييره زوجته بقول الأنصارية له فيتغزل فيها

قال: وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية، فعيرته بذلك، وكانت[3] إذا أرادت غيظه كنته أبا الجون[3]، فقال فى ذلك:

وأيدى الهدايا ما رأيتُ مُعاتبا * من الناس إلا الساعديةُ أجملُ
وقد أخطأتنى يوم بطحاء منعم[4] * لها كففٌ يُصطاد فيها وأحبُل
وقد قال أهلى خير كسب كسبته * أبو الجون[5] فاكسب مثلها حين ترحل
فإن بات إيضاعى بأمر مسرة * لكن فما تسخطن فى العيش أطول

أخبرنى الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنى سليمان ابن عياش، قال:

نهاه رجل عن حديث النساء وهو محرم فقال شعرا

اجتمع محمد بن بشير الخارجى وسائب بن ذكوان راوية كُثَيِّر بمكة، فوافقا نسوة من بنى غفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن حتى تفرقن، وبقيت

(١) البيت عن ف، مب. يريد أن قلبه ليس قلبا غضوبا يحمل الحقد، ولا يرضى بما لا يرضى.
(٢) صاحبها: كذا فى ف. وفى سائر الأصول: هاجيها.
(٣ — ٣) ف: وكانت تغيظه بأن تلقبه. وفى مب: وكانت تغيظه بأن تكنيه.
(٤) مب: بطحاء معمر.
(٥) ف، مب: حين كنيت كنية أبا الجون.

واحدة منهن تحدّث الخارجىّ ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا ؛ فقال لهم رجل من بهم : أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حُرُم (١) ، ولا تَدَعون إنشاده وقول الزور فى المسجد ! فقالت المرأة : كذبت لعمر الله ، ما قول الشعر بزور ، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل . فانصرف الرجل ، وقال فيها الخارجىّ :

٥ أمالك أن تزور وأنت خِلْو * صحيح القلب أخت بنى غفار؟
فما برحت تُعيرك مقلتيها * فتعطيك المنية فى استتار
وتسهو فى حديث القوم حتى * يُبينَ بعض ذلك (٢) ما توارى
فمت يا قلب مابك من دفاع * فينجيك الدفاع ولا فرار
فلم أر طالبا بدم كمثلى * أودّ وحسن مطلوب بثار
١٠ إذا ذكروا بثأرى قلت سقيا * لثأرى ذى الخواتم والسوار
وما عرفت دمى فتبوءَ منه (٣) * برهن فى حبالى أو ضمار
وقد زعم العواذل (٤) أن يومى * ويومك بالمحصّب ذى الجمار
من الإغباء (٥) ثم زعمت أن لا * وقلت لدى التنازع والتّمارِ
كذبتم ما السلام بقول زُور * وما اليوم (٦) الحرام بيوم ثار
١٥ ولا تسليمنا حُرُما بإثم (٧) * ولا الحب الكريم لنا بعار
فإن لم نلقكم فسقى الغوادى * بلادكِ والرويّاتُ السوارى

(١) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : أما تزدجرون نحن حذاء الشعر . تحريف .

(٢) ذلك : كذا فى ف . وفى سائر الأصول : أهلك .

(٣) تبوء منه : تخلص منه بالاعتراف ودفع رهن أو دين . والضمار من الدين : مالا يرجى ، أو ما

٢٠ كان بلا أجل معلوم . (٤) ف : وقد علم العواذل . (٥) الإغباء : الإخفاء . وفى مب : لذى التنازع . (٦) ف ، مب : ولا اليوم . (٧) ف ، مب : حرما بجرم .

قصيدته فى الغفارية بعد فراقهما

قال سليمان: وفى هذه المرأة يقول الخارجىّ وقد رحلوا عن مكة، فودعها وتفرقوا:

يا أحسن الناس لولا أن نائلها * قِدْماً لمن يبتغى ميسورها عسر (١)

وإنما دلُّها سحر تصيد به * وإنما قلبها للمشتكى حجر (٢)

هل تذكرين كما لم أنس عهدكم * وقد يدوم لعهد الخُلّة الذِّكر (٣)

قَوْلى وركبك قد مالت عمائمهم * وقد سقاهم بكأس الشقوةِ السفرُ ٥

ياليت أنى بأثوابى وراحلتى * عبد لأهلك هذا العام مؤتجر

فقد أطلتِ اعتلالا دون حاجتنا * بالحج أمسِ فهذا الحِل والسفْر (٤)

مابال رأيك إذ عهدى وعهدكم * إلفان ليس لنا فى الود مُزدجَر

فكان حظك منها نظرةً طرفتْ * إنسانَ عينك حتى ما بها نظر

أكنتِ أبخل من كانت مواعده * دَيناً إلى أجلٍ يرجَى وينتظر (٥) ١٠

١٥٦ / ١٤

وقد نظرتُ وما ألفيت من أحد * يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر (٦)

أبقت شجًى لك لا ينسى وقادحة * فى أسود القلب لم يشعر بها أخر (٧)

جِنية أَوْلها جن يعلمها * رمى القلوب بقوس مالها وتر (٨)

(١) ف، مب: إلا أن نائلها. وفى سائر الأصول: قائلها، فى موضع: نائلها. وفى (لسان العرب: أجر): يرتجى معروفها. ١٥

(٢) تصيد به: كذا فى اللسان. وفى سائر النسخ: لطالبه.

(٣) فى اللسان: ولما أنس. وفى ف، مب: وقد يذم بعهد الخلة.

(٤) أمس: كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: أمض. تحريف. والسفر: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: النفر، بتسكينها، وهو الارتحال بعد الحج.

(٥) دينا: كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: تأتى. تحريف. ٢٠

(٦) وقد: كذا فى ف، مب. وفى ج: ومن. وفى سائر الأصول: وما. وفى ف، مب: وما أبقيت من أجل. (٧) الأخر: الأبعد، يريد من لم يصب بحبها. وفى مب: بشر.

(٨) فى اللسان: ترمى القلوب.

تجـــلو بقادمتى ورقاء عن بَرَد * حمر المفــاغر فى أطرافها أُشُر (١)

خَـــوْد مبتلّة ريا معاصمهـا * قدرَ الثياب فلا طول ولا قصر

إذا مجاســـدها اغتالت فواضلها * منهـا روادف فَعْمات ومـــؤتزر (٢)

إن هبت الريح حنت فى وشائحها * كما يجاذب عـــودَ القينة الوتر (٣)

٥ بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت * فى الحج ليـلة إحدى عشرة القمر (٤)

ألا رســـول إذا بانت يبلغها * عنـا وإن لم تؤلِّف بيننا المِرر (٥)

أنى ـ بآية وجد قـد ظفرتِ به * منى ولم يك فى وجدى بكم ظفـر ـ

ـ قتيلُ يومَ تلاقَينا وأن دمى * عنها وعمن أجارت من دمى هدر (٦)

تقضين فىَّ ولا أقضى عليـك كما * يقضى المليك على المـلوك يقتسر

١٠ إن كان ذا قَدَرا يعطيك نافـلة * منـا ويحرمنا ، ما أنصف القدر (٧)

ندمه على طلاقه زوجته العدوانية

أخبرنى عيسى بن الحسين ، قال : حدّثنا الزبير، قال : حدّثنى سليمان بن عياش ، قال :

---

(١) المفاغر : جمع مفغر : مشق الفم ، يريد الشفتين . والأشر : حدة ورقة فى أطراف الأسنان .

(٢) المجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب يلى الجسد . والفعمات : الممتلئات . والمؤتزر : موضع الإزار .

١٥ (٣) الوشائح : جمع الوشاح ، وهو حلى للنساء ينسج من أديم عريضا ، ويرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . وفى مب : فى تنسمها . وحنت : صوتت .

(٤) ف : تعشو بها ... كمثل ليلة إحدى عشرة . يقول : تتطلع إليها الأبصار كما تتطلع أبصار الحاج إلى القمر ليلة إحدى عشرة من ذى الحجة فى منى .

(٥) لم تؤلف : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النســخ : تمس يؤلف . تحريف . والمرر : جمع

٢٠ مرة : وهى طاقة الحبــل وقوته . يريد وإن لم تربط بيننا أسباب الحب المتينة . وفى سائر النســخ : المزر . تحريف .

(٦) هذا البيت والذى قبله ساقطان من جميع الأصول ما عدا ف ، مب .

(٧) ف ، مب : ويعجزنا .

كان الخارجىّ قدم البصرة ، فتزوّج بها امرأة من عَدْوان ، كانت موسرة ، فأقام عندها بالبصرة مدة ، ثم توخّم[1] البصرة ، فطالبها[2] بأن ترحل معه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتاركة مالى وضيعتى ههنا تذهب وتضيع ، وأمضىَ معك إلى بلد الجدب والفقرِ والضيق ، فإما أن أقمتَ هاهنا أو طلقتنى . فطلقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وتذكرها ، فقال :

دامت[3] لعينكَ عَبرة وسُجوم * وثوت بقلبكَ زَفرة وهُمومُ

طيف لزينب ما يزال مؤرقى * بعد الهدوّ فما يكاد يَريم

وإذا تعرض فى المنام خيالها * نكأ الفؤادَ خيالُها المحلوم

أجعلتِ ذنبك ذنبه وظلمته * عند التحاكم والمُدِل ظلومُ

ولئن تجنيتِ الذنوب فإنه * ذو الداء يَعْذِر والصحيح يلوم

ولقد أراكِ غداة بنتِ وعهدُكم * فى الوصل لا حَرِج ولا مذموم

أضحت تُحكمكِ التجارب والنهى * عنه ، ويُكلفه بك التحكيم

صوت[4]

بَرَأَ الأُلى علقوا الحبائل قبله * فنجَوا وأصبح فى الوَثاق يهيم

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى * عَلَق بقلبى من هواك قديم

ضعفت[5] معاهد حبهن مع الصبا * ومع الشباب فبِن وهو مقيم

(١) ف ، مب : استوخم . وهما بمعنى ، أى لم يوافقه هواؤها .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : فطلبها .

(٣) ف ، مب : باتت لعينك .

(٤) كلمة صوت فى ف ، مب بعد البيت الذى تحتها .

(٥) هذا البيت فى ف متأخر بعد الذى يليه .

يبقى على حدث الزمان وريبه * وعلى جفائك إنه لكريم
وجنيتِ حين صَحَحْتَ وهو بدائه * شتان ذاك مصحَّحٌ وسقيم (١)
وأَدَيْتِه زمنا فعاذ بحلمه * إن المحب عن الحبيب حليم (٢)
وزعمت أنك تبخلين وشفّه * شوق إليك، وإن بخلت، أليم

١٥٧ / ١٤

٥ غنى فى هذه الأبيات الدارمىّ خفيفَ رمل بالوسطى عن الهشامى؛ وفيه لعَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق، وهو الذى يغنى الآن، ويتعارفه الناس .

يرثى أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة

أخبرنى عيسى بن الحسين ، قال : حدّثنا الزبير ، قال : حدّثنى سليمان ابن عياش السعدىّ ، قال :

كان الخارجىّ منقطعا إلى أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ، وكان يكفيه ١٠ مؤونته، ويُفضِل عليه، ويعطيه فى كل سنة مايكفيه ويُغنيه، ويغنى قومه وعياله، من البُرّ والتمر والكسوة فى الشتاء والصيف، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه، وكان منقطعا إليه وإلى زيد بن الحسن، وابنه الحسن بن زيد، وكلهم به برّ، وإليه محسن. فمات أبو عبيدة، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل، وكان الخارجى ينزل الروحاء، فقال يرثيه :

١٥ ألا أيها الناعى ابن زينب غدوة * نعيت الندى دارت عليه الدوائر (٣)
لعمرى لقد أمسى قِرى الضيف عاتما (٤) * بذى الفَرْش لما غيبتك المقابر

(١) ف، مب : وعتبت بصيغة المتكلم .
(٢) أديته : يريد ختلته . وهى رواية م . وفى مب : « وأربته ريبا » . وفى سائر النسخ : أذيته . والبيت ساقط من ف .
(٣) عليه : كذا فى ف . وفى سائر الأصول : عليك .
٢٠ (٤) عاتما : بطيئا مؤخرا . وانظر بعض هذه الأبيات فى معجم ما استعجم للبكرى فى رسم (ملل) .

إذا سوفوا نادَوا صـداك ودونه * صـفيح وخَوّار من الترب مائرُ

ينـادون من أمسى تَقَطَّعُ دونه * من البعد أنفاس الصدور الزوافر

فقومى اضربى عينيك يا هند لن تَرَى * أبا مثـله تسـمو إليـه المفاخرُ

قال الزبير : فحدّثنى سليمان بن عياش ، قال :

كانت هند بنت أبى عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعا شديدا ، ووجدت وجدا عظيما ، فكلم عبد الله بن الحسن محمد ابن بشير الخارجىّ أن يدخل إليها ، فيعزيها ويسليها[1] عن أبيها ، فدخل إليها معه . فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته :

قومى اضربى عينيك يا هند لن تَرَىْ * أبا مثـله تسـمو إليـه المفاخر

وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والدا * يزين كما زان اليـدينِ الأساور

فإن تُعْوِليـه يشفِ يوما عويلُه * غليلَك أو يعـذرك بالنـوح عاذر

وتحزنك ليلات طوال وقد مضت * بذى الفرش ليـلات تسر قصائر

فلقاه رب يغفر الذنب رحمـة * إذا بُليت يوم الحساب السرائر

إذا ماابن زاد الركب لم يمسِ ليلة * قفا صـفرٍ لم يقرب الفَرشَ زائر[2]

لقـد علم الأقوام أن بناتِه * صـوادقُ إذ يندبنـه وقواصر

---

(١) ف ، مب : ويؤسيها . والأبيات التالية متصلة بسابقتها .

(٢) زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جد أبى عبيدة . وأزواد الركب : لقب ثلاثة من قريش : مسافر بن أبى عمرو ، وأبو أمية بن المغيرة ، وزمعة هذا ، لقبوهم بذلك لأنهم لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر : يطعمونه ويكفونه الزاد ويغنونه . وصفر : جبـل أحمر كريم المغرس بالفرش . والفرش : موضع بين المدينة وملل ، يقال له فرش ملل . والبيت ساقط من الأصول ما عدا ف ، مب .

قال : فقامت هنـد ، فصكت وجهها وعينيها ، وصاحت بويلها وحَرَبها ، والخارجىّ يبكى معها ، حتى لقيا جهدا ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتك ويحَـك ؟ فقـال له : أفظننت أنى أعزيها عن أبى عبيدة ؟ والله ما يسلينى عنه أحد ، ولا لى عنه ولا عن فقده صبر ، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده (١) !

٥ أخبرنى عيسى ، قال : حدّثنى الزبير ، قال : حدّثنى سليمان بن عياش ، قـال :

قوله يذم من مطله ويمـدح زيد بن الحسن

وعد رجل محمد بن بشير الخارجىّ بقلوص ، فمطله ، فقال فيه يذمه ، ويمدح زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام :

لعلك (٢) والمـوعود حـق وفاؤه * بدا لك فى تلك القـلوص بَدَاءُ

١٠ فإنّ الذى ألقى إذا قال قائل * من الناس : هل أحسستها لعناء (٣)

١٥٨ / ١٤

يقول الذى يبدى الشّماتَ وقوله * علىّ وإشمـات العـدوّ سـواء (٤)

دعوتُ وقدأخلفتنى الوعد (٥) دعوة * بزيد فـلم يَضْلِل هنـاك دعاء

بأبيض مثـل البدر عظّم حقـه * رجال مِنَ ال المصطفى ونسـاء (٦)

(١) ف ، مب : ولا لى عزاء عن فقده ، فكيف ... ليس يسلوه .

١٥ (٢) فى الأصـول ماعدا س ، مب : (تعلل) فى موضع (لعلك) . وفى الخـزانة وكتب شواهد النحو : حق لقاؤه . وفى ف ، مب : ذاك القلوص .

(٣) هل أحسستها لعناء : كذا فى ف ، مب . وخزانة الأدب (٤ : ٣٧) نقلا عن الأغانى . وفى سائر الأصول : هل للواعدين وفاء .

(٤) رواية الشطر الثانى فى ب ، س : « علىّ به بين الأنام عناء » .

٢٠ (٥) الوعد : كذا فى ف والخزانة . وفى سائر النسخ : الوأى . وهو بمعنى الوعد .

(٦) هذا البيت عن ف ، مب ، والخزانة .

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه بقَلوص من خيار إبله، فقال يمدحه :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعة * نفى جدبها واخضر بالنبت عودها

وزيد ربيع الناس فى كل شَتْوة * إذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشناق الديات كأنه * سراج الدجى إذ قارنته سعودها

يبكى سليمان بن الحصين

أخبرنى عيسى، قال : حدّثنى الزبير، قال : حدّثنى سليمان بن عياش، قال : ٥
نظر الخارجىّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج، فهتف بهم، فقال :

ألم تروا أن فتًى سيدًا * راح على نعش بنى مالك

لا أنفَسُ العيش لمن بعده * وأنفس الهُلك على الهالك

وقال فيه أيضا :

ألا أيها الباكى أخاه وإنما * تفرّق يوم الفدفد الأخوان(١) ١٠

أخى يوم أحجار الثُّمام(٢) بكيته * ولو حُمّ يومى قبله لبكانى

تداعت به أيامه فاخترمنه * وأبقين لى شجوا بكل زمان(٣)

فليت الذى ينعَى سليمان غُدوة * بكى عند قبرى مثلها ونعانى(٤)

فلو قسمت فى الجن والإنس لوعتى * عليه بكى من حرّها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فِدية * إليه وصرف الدهر ما ألْوَانى(٥) ١٥

(١) كذا روى الشطر الثانى فى ف، مب . وفى سائر النسخ : يبكى بيوم الفدية الأخوان .

(٢) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : اليمام . ويعرف أيضا : بصخيرات الثمام . وهو موضع على طريق مكة من المدينة .

(٣) ف، مب : مكان . (٤) ف، مب : دعا عند قبرى مثله فنعانى .

(٥) كذا روى الشطر الثانى فى ف، مب . وفى سائر الأصول : وقاه صروف الدهر بى وفدانى . ٢٠

أرجوزة له في المولى الصائد

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: خرج محمد بن بشير يرمى الأَرْوَى ومعه جماعة، فيهم رجل من الموالى من أهل السَّيالَة[1]، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمى من فوقها، فزلت قدمه عنها، فصاح حتى سقط على الأرض، وأحدث فى ثيابه، فقال الخارجيّ فى ذلك:

٥ حُرِّقِ يا صَفاةُ فى ذُراكِ * بالنارِ إن لم تمنعى أَرْوَاكِ[2]

تَعَلَّمِى أن بذى الأراكِ * — أيتها الأَرْوَى — ذوى عِراكِ[3]

قَومًا أَعَدُّوا شَبَكَ الشِّبَاكِ[4] * يبغون ضَبْعًا قتلت أباكِ

نِعْمَ مُلَوِّى الحَيَدِ المَدّاكِ[5] * إذ صوتُ الجالبِ[6] فى أخراكِ

ولم يقل منتصحا: إياكِ * بين مقاطيها[7] ركبتِ فاكِ

١٠ فَعُدتِ والطعن على كُلاكِ * مثل الأضاحى بيد النساكِ

يُرْمَى بالأكتاف على الأوراكِ * كما أطحت العبدَ عن صفاكِ

أما السَّيالىّ[8] فإن ينساكِ * لو يرتميك الناسُ ما رماكِ[9]

---

(١) السيالة: كذا فى ف، مب. وسيأتى تفسيرها قريبا. وفى بقية الأصول: البادية.

(٢) جاء هذا الرجز محرفا فى الأصول كلها مخطوطة ومطبوعة، كما اضطرب ترتيبه فيها، بحيث غمض

١٥ معناه، واعتمدنا فيه على مب. وهى أقلها تحريفا. والذرا: جمع الذروة، وهى أعلى الشىء المرتفع.

(٣) ذوى عراك: كناية عن نفسه وصحبه من أهل الصيد.

(٤) كذا روى البيت فى مب. وفى جميع الأصول: قوما أعدوا نسك النساك. وسقط البيت والذى بعده من ف. (٥) البيت عن ف، مب. والحيد: جمع حيدة، كبدرة وبدر، وهى ما تلوى من الأنابيب فى قرن الوعل. والمداك: الحجر يسحق عليه الطيب. شبه قرن الأروية به.

٢٠ (٦) الجالب: الصائح ذو الجلبة. وفى بعض الأصول: الحالب. ولعله تحريف.

(٧) المقاطى: جمع مقطى، وهو موضع القطاة: أى العجز.

(٨) السيالىّ: يريد المولى الذى سقط، وهو منسوب إلى السيالة، وهى قرية جامعة على الطريق من المدينة إلى مكة، بينها وبين ملل سبعة أميال، وبينها وبين الروحاء التى كان ينزلها الشاعر اثنا عشر ميلا، وهى لولد الحسن بن على الذى مدح الشاعر ابنه زيدا.

٢٥ (٩) رماك: كذا فى ف، وفى سائر الأصول: ارتماك.

يعاتب زوجته

أخبرنى عيسى، قال : حدّثنا الزبير، قال : حدّثنا سليمان بن عياش، قال:
كانت عند الخارجىّ بنت عم له ، فهجاه بعض قرابتها ، فأجابه الخارجىّ ،
فغضبت زوجته ، وقالت : هجوت قرابتى . فقال الخارجىّ فى ذلك :

١٥٩ / ١٤

أَمَّا ما أقول لهم فعابَتْ * علىّ وقد هُجِيت فما تعيب
فرمت وقد بدا لى ذاك منها * لأهجوها فيمنعنى النسيب[(١)]
فلا قلب يبصّر كل ذنب * ولا راض بغير رضا، غَضُوبُ[(٢)]

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنى مصعَب
قال : وحدّثنى الزبير عن سليمان بن عياش، قالا :

أسنت زوجته فتزوج أخرى

تزوّج الخارجىّ جارية من بنى ليث شابة ، وقد أسنّ وأسنت زوجته العَدوانية.
فضربت دونه حجابا ، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها،
يلهون ويتغنّين ويضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال :

لئن عانسٌ قد شاب ما بين قَرْنها * إلى كعبها وابيضّ عنها شبابُها[(٣)]
صبَتْ فى طلاب اللهو يوما وعَلَّقتْ * حجابا لقد كانت يَسيرا حجابُها
لقد مُتِّعت بالعيش حتى تشعَّبت[(٤)] * من اللهو إذ لا ينكر اللهوَ بابُها

(١) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : فيغلبنى .
(٢) يبصر : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : أضر بكل ذنب . تحريف .
(٣) ابيض شبابها : يريد ابيض شعرها ، وهذه رواية ف . وفى سائر الأصول : امتص .
(٤) فى ف : لقد متعت بالعيش حتى تمتعت ... من العيش . وفى سائر الأصول :

* لئن متعت بالعين حتى تشعبت *

ومعنى تشعبت من اللهو : تغيرت أخلاقها ، وربما كانت تشعبت محرفة عن تشغبت بالغين ، أو عن تشبعت .

فيبنى برغـم ثم ظَـلِّ فربمـا * ثوى الرغم منها حيث يثوى نقابها[1]

لبيضـاءَ لم تُنسَبْ لجـدٍّ يَعيبها[2] * هِجانٍ ولم تنبـحْ لئيما كلابهـا

تأوّدُ فى المَمْشى كأنّ قناعَهـا * على ظبيـة أدْماءَ طابَ شـبابها

مُهفهفة الأعطافِ خَفّاقة الحَشَى * جميـل محيـاها قليـلٍ عِتابهـا

٥ إذا ما دعتْ بابنى نِزار وقارَعَتْ * ذَوِى المجد لم يُرْدد عليها انتسابها[3]

استعطف إبراهيم ابن هشام المخزومى فوصله

حدّثنا الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى عمى عن الضحاك بن عثمان، قال :

لمـا وَلِىَ إبراهيم بن هشام الحَرَمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجىّ، وكان له قبل ذلك صديقا . فأعرض عنه، ولم يظهر له بشاشة ولا أنسا . ثم عاوده فاستأذنه

١٠ فى الإنشاد، فأعرض عنه، وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تياها، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به :

يابن الهِشامَيْنِ طُرًّا حُزت مجدَهما * وما تَخَـوَّنه نقضٌ وإمرارُ

لا تُشْـمِتنّ بى الأعداءَ إنهـمُ * بينى وبينـك سُمّـاع ونُظّـار

١٥ وإن شكرِى إنْ رُدُّوا بغيظهـمُ * فى ذمة الله إعلانٌ وإسرار[4]

فاكْرر بنائلك المحمود مِنْ سـعة * علىّ إنك بالمعـروف كرّار

---

(١) ثم ظلى : يريد : بنى بذل وابق به . وفى جميع الأصول : طلى ، بالطاء ، ولا معنى له هنا .

(٢) ف : يشينها . وقوله لبيضاء ، أى لأجل حى بيضاء .

(٣) رواية البيت فى ف ، مب :

٢٠ إذا ما دعت يابنى نزار ونازعت * ذرا المجد لم يردد عليها انتسابها

(٤) البيت عن ف ، مب .

فقال لحاجبه : قل له يرجعْ إلىّ إذا عُدْت . فرجع، فأدخله إليه ، وقضى دينه ، وكساه ووصله ، وعاد إلى ما عهده منه .

ردّه على شعر لعروة ابن أذينة

أخبرنى الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال : حدّثنى مصعب عن أبيه قال :

عثَرَ بعُروة بن أُذَينة حمارُه عند ثنية العُوَيقل(١) ، فقال عروة :

ليتَ العُوَيقلَ مسدودٌ وأَصبحَ من * فوق الثنيةِ فيه رَدمُ يأجوجِ(٢)

فتستريحَ ذوو الحاجات من غَلَظ * ويَسْلُكَ السهلَ يمشى كلُّ مَنْتوجِ(٣)

فقال محمد بن بشير الخارجىّ يردّ عليه :

سبحانَ ربك تب ممّا أتيتَ به * ما يسدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مَرْتوجُ

وهل يُسَدّ وللحُجّاج فيه إذا * ما أصعدوا فيه تكبير وتلْجيج(٤)

ما زال منذُ أذلّ(٥) اللهُ مَوطئَه * ومنذ آذَنَ أنّ البيت مَحْجوج

يهدى له الوفدَ وفدَ الله مَطْرَبة(٦) * كأنه شُطَب بالقِدّ منسوج

(١) العويقل : نقب فى موضع يقال له الجياء بين شويلة والحورة ، ومن أودية الحورة هذه واد يزع فى الفقارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون والخارجيون رهط الشاعر .

(٢) ف : مأجوج . وفى معجم ما استعجم للبكرى ، (رسم الأشعر) :

ليت العويقل سدته بجمتها * ذات الجياء عليه ردم مأجوج

(٣) المنتوج : المولود . وفى معجم البكرى :

* ويسلكوا السهل ممشى كل منتوج *

(٤) فى معجم ما استعجم للبكرى :

وكيف يوثقه سدا وهم لهم * لبيك لبيك تكبير وتشجيج

(٥) كذا فى ف ، مب . وفى معجم البكرى : أذال .

(٦) المطربة : الطريق الضيق فى الجبل ، لا يكون إلا به أو بالحرة .

خل الطريق إليها إن زائرها * والساكنينَ بهـا الشمُّ الأَباليج (١)

لا يسدُد الله نَقبا كان يسلكه الـ * ـبيض البهاليل والعُوج العَناجيج (٢)

لو ســدَّه الله يوما ثم عَجَّ له * من يسلك النقبَ أمسى وهو مفروج

قوله يعاتب أخاه بشارا

أخبرنى الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مصعب، قال:

٥ كان للخارجىّ أخ يقال له بَشّار بن بشير، وكان يجالس (٣) أعداءه، ويعاشر من يعلم أنه مُباين له. وفيه يقول:

وإنى قد نَصَحْت فلم تُصدِّق * بنصحى واعتَددتُ فما تبالى (٤)

وإنى قد بدا لىَ أنَّ نُصحى * لغيبكَ واعتدادى فى ضلال

فكمْ هـذا أذودُك عن قِطاعى * كتذويد المحلَّأَة النِّهال

١٠ فلا تبغِ الذنوب علىَّ واقصِدْ * لأمركَ من قِطاع أو وصال

فسوف أرَى خلالكَ مَنْ تُصافِى * إذا فارقتنى وترى خِلالى (٥)

وإن جزاءَ عهدك إذْ تَوَلَّى * بأن أغضِى وأسكتَ لا أبالى (٦)

---

(١) الأباليج: جمع أبلج، وهو الأبيض النقى الوجه. ورواية البيت فى معجم البكرى:

خلوا الطريق إليه إن زائره * والساكنين به الشم الأباليج

١٥ (٢) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد. والعوج: جمع عوجاء، وهى الناقة الضامرة. والعناجيج: جمع عنجوج، وهى النجيبة، أو الطويلة العنق.

(٣) ف: يخالط. (٤) كذا روى البيت فى ف، مب. وفى سائر الأصول:

* واعتذرت فلم يبال *

(٥) الخلال: المخالة والمصادقة. يريد سأرى أصدقاءك الذين ستصافيهم حين نفترق، وسترى

٢٠ أصدقائى. وفى ف: من تصابى.

(٦) يريد أنى أكافئك على قطعك عهد الأخوة، بنسيانى إياك، وعدم مبالاتى بك. ورواية البيت هذه عن ف، مب. وفى سائر الأصول:

وإنك تستريح إذا تولى * بأن أعصى وأسكت لا أبالى

قوله فى زوجته سعدى

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنا الزبير بن بكار، قال : حدّثنا سليمان ابن عياش، قال :

كان الخارجىّ معجبا بزوجته سُعدى، وكانت من أسوأ الناس خُلقا، وأشدّه على عَشير(١)، فكان يلقى منها عَنَتا . فغاضبها يوما لقول آذته به، واعتزلها ، وانتقل إلى زوجته الأخرى ، فأقام عندها ثلاثا . ثم اشتاق إلى سُعدى ، وتذكرها ، وبدا له فى الرجوع إلى بيتها ، فتحوّل إليها ، وقال :

أرانى إذا غالبتُ بالصبر حُبَّها * أبى الصبرُ ما ألقى بسُعدَى فأُغلَبُ
وقد علِمَتْ عند التعاتب أننا * إذا ظَلَمَتْنا(٢) أو ظَلَمنا سنُعْتِب
وإنّى وإن لم أجنِ ذنبا سأبتغى * رضاها وأعفو ذنبها حين تذنب
وإنى وإن أنّبتُ فيها يزيدنى * بها عَجَبا من كان فيها يؤنب

أخبرنى عيسى قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنا سليمان بن عياش قال :

قوله يعاتب أخاه أيضا

كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه، ويجالس أعداءه(٣) . فقال الخارجىّ فيه :

كفانى الذى ضيَّعتَ منى وإنما * يُضيعُ الحقوقَ(٤) ظالما من أضاعَها
صنيعةَ من وَلَّاكَ سوءَ صنيعها * وولى سواكَ أجْرَها واصطناعَها
أبى لك كسبَ الخير رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هى حثّته على الخير مرةً * عصاها وإن همت بشر(٥) أطاعها

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : عليه غيرة .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : ما ظلمنا .
(٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : ويهجوه .
(٤) ف ، مب : يضيع حقوقا . (٥) ف : بسوء .

فلولا رجالٌ كاشحون يَسُرُّهم * أذاكَ، وقُرْبَى لا أحبُّ انقطاعَها

إذًا بان إن زلَّتْ بك النعلُ زَلّةً * فِراقُ خِلالٍ لا تُطيق ارتجاعها (١)

وأنى متى أُحْمَل على ذاك أُطْلِعْ * عليك عيوبا لا أحبُّ اطلاعها (٢)

فإنْ تك أحلامٌ تردُّ إخاءنا * علينا فمن هذا يردُّ سماعها

٥ سأنهاك نهيا مُجْمِلا وقصائدا * نواصحَ تشفى من شئونٍ صُداعها (٣)

ومن يجتلب نحوى القصائد يجتلب * قِراهُ ويتبع من يُحِبّ اتباعها (٤)

إذا ما الفتى ذو اللبّ حلت قصائد * إليه فَيُخْلِ للقوافى رباعها (٥)

161/14

قوله يرثى زيد ابن حسن

أخبرنى عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا سليمان ابن عياش قال :

١٠ لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذ بعِضادتى الباب، وقال :

أعينىّ جودا بالدموع وأسعِدا * بنى رحِم ما كان زيدٌ يُهينُها

(١) فى ف، مب : إذا بان ... ... فراق خلال . وترتيبه فى عير ف بعد : فلولا رجال ... الخ .

١٥ (٢) اطلع عليك عيوبا : أعلمها . وجاء هذا البيت فى ف بعد « فلولا رجال » .

(٣) وقصائدا : يريد وأبعث قصائد . والشئون جمع شأن، وهى مواصل عظام الرأس وملتقاها . ورواية الشطر الثانى من البيت فى ف :

* نواضح تسق من شئون ضباعها *

(٤) ف : جزاه . (٥) رواية الشطر الثانى فى ف، مب :

٢٠ * به فتحلى للقوافى رباعها *

ولعله محرف عما أثبتناه، بتقدير جزمه بلام الأمر المحذوفة . يقول لأخيه :

إذا كانت حالك تتطلب أن أعظك وأذكرك بقصائد زاجرة، فعليك أن تفهم قولى، وتنزل أشعارى منازلها اللائقة بها .

ولا زيدَ إلا أن يجود بعَبرة * على القبر شاكى نكبة يستكينها (١)

وما كنتَ تلقى وجهَ زيد ببلدة * من الأرض إلا وجهُ زيد يزينها

لعمر أبى الناعى لعمَّتْ مصيبةٌ * على الناس واختصت قُصَيًّا رَصينها (٢)

وأنَّى لنا أمثالُ زيد وجَدُّه * مبلِّغُ آيات الهدى وأمينُها (٣)

وكان حَليفيه السماحةُ والنَّدى * فقد فارق الدنيا نداها ولينها ٥

غدت غُدْوةً ترمى لُؤىَّ بن غالب * بجَعْد الثَّرى فوق امرئ ما يَشينها

أغرُّ بِطاحىٌّ بكت من فراقه * عُكاظُ فبطحاء الصفا فحَجونها

فقل للتى يعلو على الناس صوتُها * ألا لا أعان الله مَنْ لا يُعينها (٤)

وأرملةٍ تبكى وقد شُقّ جيبُها * عليه فآبت وهىَ شُعْث قرونها (٥)

ولو فقِهت ما يفقه الناسُ أصبحت (٦) * خواشعَ أعلامُ الفَلاة وعِينها ١٠

نعاه لنا الناعى فظَلْنا كأننا * نرى الأرضَ فيها آيةٌ حانَ حِينها

وزالت بنا أقدامنا وتقلبتْ * ظهورُ روابيها (٧) بنا وبطونها

وآب ذوو (٨) الألباب منا كأنما * يرون شِمالا فارقتها يمينها

سقى الله سُقْيًا رحمةٍ تُربَ حُفرة * مقيم على زيد ثراها وطينها

قال : فما رُؤى يوم كان أكثر باكيا من يومئذ (٩) . ١٥

(١) يستكينها : يخضع لها ويذل . يقول : ذهب زيد فلا يعرف قدره إلا من أصابته نكبة شديدة ، فلم يجد من يعينه ، فوقف على قبره يبكيه . (٢) الرصين هنا : المصيبة الثقيلة .
(٣) ف : ومبينها . (٤) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : به . (٥) البيت عن ف ، مب . (٦) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : فهمت . وأعلام الفلاة : جبالها . والعين : جمع عيناء ، أى واسعة العين ، يريد بقر الوحش . (٧) ف : روابينا . ٢٠
(٨) ف ، مب : أولو . (٩) جاءت هذه العبارة بصور مختلفة فى الأصول ، فرتبناها على هذه الصورة ، لأنها أوضح .

قــوله فى بنت عم له تزوجها واستخفت به

اخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثنى العُمَرى عن لقيط، قال:

كان محمد بن بشير الخارجىّ من أهل المدينة، وكانت له بنت عم سَرِيّة جميلة، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش، فلم ترضه. فقال لأبيه: زوِّجنيها. فقال له: كيف أزوّجكها وقد ردّ عمك عنها أشرافَ قريش. فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، وقرَّب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوّجه إياها. فغضبت الجارية، وقالت له: خطبنى إليك أشرافُ قريش فرددتهم، وزوّجتنى هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، وأولى الناس بك. فلما بنى بها جعلت تستخف به وتستخدمه، وتبعثه فى غنمها مرة، وإلى نخلها أخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعرا، ثم خلا فى بيت يترنم به ويُسْمِعها. وهــو:

تثاقلتِ أن كُنتُ ابنَ عمٍّ نكحتِهِ * فملتِ وقد يُشْفَى ذوو الرأى بالعَـذْلِ

فإنـك إلّا تتركى بعضَ ما أرى * تُنازِعْك أخرى كالقَرِينة فى الحبـلِ

تَلُزُّك[1] ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها * كقَسْمِك حَقّا فى التِّـلاد وفى البعْل

مـتى تحمليها منـــك يوما[2] لحـالة * فتتبعَها تحمِـلك منهـا على مِثْـل

قال: فصلَحت، ولم يرمنها بعد ما سمعت شيئا يكرهه.

١٦٢
١٤

(١) تلزك: تلتصق بك وتضايقك.

(٢) ف، مب: يوما.

صــــوت

علامَ هجرتِ ولم تُهْجَـرِى * ومثلكِ فى الهجر لم يُعـذَرِ
قطعتِ حبالَكِ من شادنٍ * أغنَّ قطوفِ الخُطا أحْورِ[1]

الشعر لسُدَيف مولى بنى هاشم : والغناء لأبى العُبَيس[2] بن حمدون . خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى . ٥

(١) ف ، مب : أغر .

(٢) كذا فى معجم الأدباء لياقوت . وفى ف : لأبى العُباس . وفى سائر النسخ : لأبى العنبس ، والصواب ما أثبتناه .

ذكر سُدَيْف وأخباره (١)

اسمه ونسبه وولاؤه لبني هاشم

هو سُديف بن ميمون مولى خزاعة . وكان سبب ادعائه ولاء بنى هاشم أنه تزوّج مَوْلاة لآل أبى لَهَب ، فادعى ولاءهم ، ودخل فى جملة مَواليهم على الأيام . وقيل : بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللَّهَبيين ، فولدت منه سُدَيفا . فلما يَفَع ، وقال الشعر ، وعُرِف بالبيان وحسن العارضة ، ادّعى الولاء فى موالى أبيه ، فغلبوا عليه .

حجازى متعصب لبنى هاشم

وسُديف شاعر مُقِلّ ، من شعراء الحجاز ، ومن مخضرمى الدولتين ، وكان شديد التعصّب لبنى هاشم ، مظهرا لذلك فى أيام بنى أمية . فكان يخرج إلى أحجار صفًا فى ظهر مكة ، يقال لها صُفِيّ السِّباب ، ويخرج مولى لبنى أمية معه يقال له سَبّاب (٢) ، فيتسابان و يتشاتمان ، و يذكران المثالب والمعايب ، و يخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا . فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشِّجاج ، و يخرج السلطان إليهم فيفرقهم ، و يعاقِب الجناة . فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت فى العامة والسِّفلة . فكانوا صنفين ، يقال لهما السُّدَيفية والسَّبّابية (٣) ، طول أيام بنى أمية . ثم انقطع ذلك فى أيام بنى هاشم ، وصارت العصبية بمكة فى الحناطين والحرّازين (٤) .

بينه وبين أبى جعفر المنصور وقد سمع قصيدة له

أخبرنى عمر بن عبيد الله بن جميل العَتَكى (٥) ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، قالا : حدّثنا عمر بن شَبّة قال : حدّثنى فُلَيح بن إسماعيل قال :

---

(١) ف : أخبار سديف . (٢) ف ، مب : سبب . (٣) ف ، مب : السيلبية .
(٤) ف : الحرارين ، صناع الحرير . (٥) ف : بن ممثل .

قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بنى حسن بن حسن[(1)]، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن . فلما أتى على هذا البيت :

يا سوءتا للقوم لا كفُّوا ولا * إذ حاربوا كانوا من الأحرار

فقال له المنصور : أتحضهم[(2)] علىّ يا سُديف ؟ فقال : لا ، ولكنى أؤنبهم يا أمير المؤمنين . ٥

وذكر ابن المعتز أن العَوْفىّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحىّ قال :

إنكار بعض بنى عبد الدار انتسابه الى قريش

سلّم سُديف بن ميمون يوما على رجل من بنى عبد الدار . فقال له العبدرىّ : من أنت يا هذا؟ قال : أنا رجل من قومك، أنا سُدَيف بن ميمون. فقال له : والله ما فى قومى سُدَيف ولا ميمون . قال : صدقت، لا والله ما كان قطُّ فيهم ميمون ولا مبارك . ١٠

١٦٣ / ١٤

صـــوت

لعمرُك إننى لأحب دارا * تكون بها سُكينة والرَّبابُ

أحبهما وأبذل جُلَّ مالى * وليس لعاتب عندى عتاب

الشعر للحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام . والغناء لابن سريج : رَمَل بالبنصر . وفيه للهذلى ثقيل أول بالسبابة ، فى مجرى الوسطى، عن إسحاق . ١٥

(١) زادت ف، مب هنا كلمة : ويخرجهم .
(٢) ف، مب : أتحرضهم .

أخبار الحسين بن علي ونسبه[1]

اسم الحسين ونسبه

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ابن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وقد تكرر[2] هـذا النسب في عدّة مواضعَ من هذا الكتاب . واسم أبي طالب : عبد مناف ، واسم عبد المطلب : شَيْبة ، واسم هاشم : عمرو . وأم عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسـد بن هاشم ٥ ابن عبد مناف . وكانت أول هاشمية تزوّجها هاشمي ، وهي أم سائر ولد أبي طالب . وأم الحسين بن عليّ بن أبي طالب : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمها خديجة بنت خُوَيلِد بن أسـد بن عبـد العُزّى بن قُصَيّ . وكانت خديجة تُكْنَى أم هنـد ، وكانت فاطمة تكنى أم أَبيها[3] ، ذكر ذلك قَعْنب بن مُحرِز ، قال : حدّثنا أبو نَعيم ، عن حسين[4] بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه . وكان عليّ ١٠ ابن أبي طالب سمى الحسن حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن[5] . ثم ولد له الحسين فسماه حربًا[5] ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين .

---

(١) كذا في مب . وفي ف : أخبار الحسين بن علي عليهما السلام . وفي بقيـة الأصول : ذكر الحسين ونسبه .

١٥ (٢) ف ، مب : ذكرت .

(٣) كذا وردت العبارة في مب . وفي ف : وكانت خديجة تكنى أم هند ، وكانت فاطمة أم أبيها . وفي سائر الأصول : وكانت خديجة أم هند تكنى أم أبيها . والصواب ما أثبتناه ، لأن السيدة خديجة كان لها ابن اسمه هند ، من زوجها أبي هالة ، وكانت تكنى به .

٧

(٤) ف ، مب : الحسن .

٢٠ (٥ — ٥) العبارة عن ف وحدها .

حدّثنى بذلك أحمد بن الجعد، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح، قال : حدّثنا يحيى بن عيسى قال : حدّثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعد[1] قال : قال علىّ ابن أبى طالب .

كنت رجلا أحب الحرب ، فلما وُلد الحسن هممت أن أسميه حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه الحسن ، فلما[2] ولد الحسين هممت أن أسميه حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه الحسين[2] . ثم قال سميتهما باسمى ابنى[3] هارون : شَبَّر وشُبير[3] .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى قال : حدّثنا محمد[4] بن يحيى الأحول قال : حدّثنا[4] خلاد المقرئ قال : حدّثنا قيس بن الربيع بن أبى حُصَين، عن يحيى بن وَثّاب، عن ابن عمر، قال :

كان على الحسن والحسين تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام .

شعر الحسين فى امرأته الرباب

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علىّ فى امرأته الرَّباب بنت امرئ القيس ابن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وَبْرة بن تغلب[5] [ابن حُلوان] بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وأمها هند بنت الربيع بن مسعود ابن معاذ بن حصين[6] بن كعب بن عُلَيم بن كلب؛ وفى ابنته منها سكينة بنت الحسين . واسم سُكينة : أميمة، وقيل أمينة، وقيل آمنة، وسُكينة لقب لقبت به .

(١) كذا فى ف ، مب وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجى . وفى سائر الأصول : أبى الجعد .
(٢ — ٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول فى موضعها : وكذلك الحسين .
(٣ — ٣) العبارة عن ف ، مب . والضبط كما فى اللسان .
(٤ — ٤) العبارة عن ف ، مب . وفى مب أحمد بن يحيى الأحول .
(٥) كذا فى الأصول وكتب الأنساب . وفى مب : ثعلبة .
(٦) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : مروان .

قال مصعب فيما أخبرني به الطُّوسي عن زُبير عنه :
اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدّثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أَعْين، قال :

٥ سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسنُ أبي في أمي، فقال :

لعمركَ إنني لأحبُّ دارا * تكونُ[1] بها سُكينة والرَّباب

أحبهما وأبذل جُلّ مالي * وليس لعاتب عندي عتاب

الخلاف في اسم سكينة

١٦٤/١٤ حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ[2] قال: حدّثنا الخليل بن أسد قال : حدّثنا العُمَرِيّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه، قال :

١٠ قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سكينة بنت الحسين؟ فقلت : سكينة . فقال : لا . اسمها آمنة[3] .

وروى أن رجلا سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة . فقال : أمينـة[4] ، فقال له : إن ابن الكلبي يقول أميمـة . فقال : سل ابن الكلبي عن أمه ؟ وسلني عن أمي . وقال المدائني : حدّثني أبو إسحاق المـالكي قال :

١٥ سكينة لقب، واسمها آمنة . وهذا هو الصحيح .

أسلم أبو الرباب على يد عمر

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد[5]، قال : حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي قال : حدّثنا شيخ من قريش، قال : حدّثنا أبو حُذافة[6] أو غيره، قال :

أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما صلى لله صلاة[7] حتى ولاه عمر، وما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه السلام ابنتـه الرباب

٢٠ (١) ف : تحل . هنا وفيما تقدم . (٢) ف : النهدى . (٣) ف، مب : لا، أمية .
(٤) ف : آمنة . (٥) ف، مب : سعد . (٦) ف : ابن حذافة . (٧) ف : ركعة .

على ابنه الحسين، فزوّجه إياها . فولدت[1] له عبد الله وسكينة ولَدَى الحسين عليهما السلام . وفى سكينة وأمها يقول :

لعمرُك إننى لأحب دارا * تحل بها سُكينة والرَّباب

وذكر البيت الآخر، وزاد على البيتين[2] :

فَلَسْتُ لهم وإن غابوا مُضيعاً[3] * حياتى أو يغيِّبنى الترابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبى[4] عبد الرحمن الغَلَّابىّ، وهو أتم . قال :

حدّثنا علىّ بن صالح، عن علىّ بن مجاهد، عن أبى المثنى محمد بن السائب الكلبىّ، قال : أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال : حدّثنى خالى عبد الجبار ابن منظور بن زَبّان بن سَيّار الفزارىّ؛ قال حدّثنى عوف بن خارجة المُرّىّ، قال :

والله إنى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته، إذ أقبل رجل أفحج أجلَى أمعر[5]، يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدى عمر . فحيّاه بتحية الخلافة، فقال له عمر : فمن أنت؟ قال : أنا امرؤ نصرانى، أنا امرؤ القيس بن عدىّ الكلبىّ . قال : فلم يعرفه عمر[6]. فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل، الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلْج . قال : فما تريد؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه

---

(١) ف، مب : فأولدها .

(٢) فى الأصول : وذكر البيتين وزاد فيهما .

(٣) ف، مب : ولست لهم وإن عابوا مطيعا .

(٤) ف، مب : ابن .

(٥) الأفحج : الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه إذا مشى . والأجلى : الذى انحسر مقدم شعره . وفى ف، مب : أجلح، وهو بمعناه . والأمعر : الذى سقط شعره .

(٦) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : فعرفه عمر .

عمر رضي الله عنه، فقبله . ثم دعا له برُمْح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة.
فأدبر الشيخُ واللواء يهتز على رأسه . قال عوف : فوالله ما رأيت رجلا لم يُصَلِّ لله
ركعة قط أُمِّرَ على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن
٥ والحسين عليهم السلام حتى أدركه ، فأخذ بثيابه . فقال له : يا عم ، أنا عليّ بن
أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهْره ، وهذان ابناى الحسن
والحسين من ابنته ، وقد رغبنا في صِهْرك فأنكحنا . فقال : قد أنكحتك يا عليّ
المُحَيَّاة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرئ القيس ،
وأنكحتك ياحسين الرَّباب بنت امرئ القيس .

١٠ وقال هشام بن الكلْبي : كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهن . فخُطبت
بعد قتل الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله
عليه الله وسلم .

قال المدائني : حدّثني أبو إسحاق المالكي ، قال :

قيل لسكينة واسمها آمنة ، وسكينة لقب : أختك فاطمة ناسكة[1] وأنت تمزحين اسمها شعارها
١٥ كثيرا ؟ فقالت : لأنكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة — تعنى فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم — وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام . تعنى آمنة ١٦٥/١٤
بنت وهب ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أختك فاطمة ناسكة : كذا في مب . وفي ف : باسلة . وهي العابسة ، وفي سائر الأصول :
أمك فاطمة يا سكينة . تحريف .

قول الرباب ترثى زوجها الحسين

أخبرنى عمى قال : حدّثنا الكنانى[(١)]، عن قعنب بن المحرز الباهلى، عن محمد ابن الحكم، عن عَوانة، قال :

رثت الرَّباب بنت امرئ القيس أم سكينة بنت الحسين، زوجَها الحسينَ عليه السلام حين قتل، فقالت :

إنّ الذى كان نوراً يُستضاء به * بكَربلاءَ قتيلٌ غير مدفون ٥

سِبْطَ النبيّ جَزاكَ الله صالحةً * عنا، وجُنِّبتَ خُسرانَ الموازين

قد كنت لى جَبَلا صعْبا ألوذ به * وكنت تصحبنا بالرُّحم والدِّين

من لليتامى ومن للسائلينَ ومَن * يُغْنِى ويَأوِى إليه كلُّ مسكين

والله لا أبتغى صهرًا بصهركُمُ * حتى أغيَّبَ بين الرمل والطين

أخبرنى الطوسى قال : حدثنى الزبير عن عمه قال : أخبرنى إسماعيل بن بكار ١٠ قال : حدّثنى أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوى[(٢)]، عن الزبير عن عمه، قال : وأخبرنى إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى، قالا :

كان الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين عليهم السلام : يابن أخى، قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معى، فخرج به حتى أدخله منزله، فخيره فى ابنتيه فاطمة وسُكينة . فاختار فاطمة، فزوّجه ١٥ إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار[(٣)] على سُكينة لمنقطعة القرين فى الحسن . وقال عبد الله بن موسى فى خبره : إن الحسين خيره، فاستحيا، فقال له : قد اخترت لك فاطمة، فهى أكثرهما شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم .

(١) ف، مب : الكرانى .
(٢) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : الحسن الغنوى . ٢٠
(٣) ف، مب : مرذولها سكينة .

بين سكينة و بنت لعثمان

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدّثني يحيى بن الحسن العلوىّ قال : كتب إلىّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّى يحيى بن سُليمان بن الحسين العلوىّ قال :

كانت سُكَينة فى مَأتَم فيه بنت لعثمان، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد . ٥ فسكتت سكينة : فلما قال المؤذن . أشهد أن محمدا رسول الله ، قالت سكينة : هذا أبى أو أبوكِ ؟ فقالت العثمانية : لا جرم لا أفخر عليكم أبدا .

أخبرني أحمد بن محمد قال : حدّثنا يحيى قال : حدّثنا مروان بن موسى القروى قال : حدّثنا بعض أصحابنا قال :

سكينة تشتم من يشتم عليا

كانت سُكينة تجىء فى ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة ، وهو خالد ١٠ ابن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم ، إذا صعد المنبر ، فإذا شتم عليا ، شتمته هى وجواريها ، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريَها .

أخبرني الطوسىّ عن الزُّبَير عن عمه مصعب ، قال :

كانت سكينة عفيفة برزة

كانت سكينة عفيفة سَلِمَة (١) بَرْزَة من النساء ، تجالس الأجِلّة (٢) من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة .

١٥ أخبرني الطوسىّ قال : حدّثنا الزّبير عن عمه قال : حدّثني معاوية بن بكر، قال :

سكينة تصف نفسها

قالت سكينة : أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدة .

(١) سلمة : مسالمة . وفى ف ، مب : مسلمة .

(٢) الشيوخ المسنين . وفى ف ، مب : الأجلاء .

كانت سكينة تحسن تصفيف شعرها

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنى محمد بن موسى، عن أبى أيوب المدينى، عن مصعب، قال :

كانت سُكَينة أحسن الناس شَعرا؛ فكانت تُصَفِّف جُمَّتها تصفيفا لم يُرَ أحسن منه، حتى عُرِف ذلك. فكانت تلك الجُمة تسمى السُّكَينية. وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا قد صَفَّف جُمته السُّكينيةَ جلده وحلقه .

أهدت إلى بعض أخوالها غالية

١٦٦ / ١٤

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبى شيخ عن أبيه عن أبى سفيان الحِميرىّ، قال :

بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغاليــة ، لأنه كان من أخوالها . فلمـا وصلت إليه قال : فأين كَانت — حبيشَ بن دلجة — عن الصَّيّاح[1]؟ يقدّر أن الصَّيّاح أرفع من الغالية .

قال محمد بن سلام :

مثال من مزاح سكينـــة

كانت سكينة مَزَّاحة، فلسعتها دَبْرة فولولت . فقالت لها أمها : مالك ياسيدتى وجزعت ؟ فقالت[2] : لَسَعتنى دُبَيْرة، مثل الأُبَيرة، فأوجعتنى قُطَيرة[3] .

وقال هارون بن أبى عبيد الله ، حدّثنى ضمرة بن ضمرة ، قال :

أجلَستْ سكينة شيخا فارسيا على سَلّة بيض ، وبعثت إلى سليمان بن يسار ، كأنها تريد أن تسأله عن شيء . فجاءها إكراما لها ، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالسا على السَّلّة فيها البيض . فولّى يُسبّح .

(١) الصياح ككتّان : عطر أو غسل من الخلوق ونحوه .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : فضحكت وقالت .

(٣) قطيرة : أى إيجاعا يسيرا لا شديدا . وفى اللسان والتاج : (دبر) : وفى حديث سكينة بنت الحسين : « جاءت إلى أمها وهى صغيرة تبكى، فقالت لها : مالك ؟ فقالت : مرت بى دبيرة، فلسعتنى بأبيرة » . وهى تصغير الدبرة : النحلة . ولم يذكرا الفقرة الثالثة : «فأوجعتنى قطيرة» . وفى التاج : القطرة بالضم : الشيء التافه اليسير الخسيس . تقول : أعطنى منه قطرة وقطيرة . والأخيرة : تصغير قطرة .

قال : وبعثت سُكينة إلى صاحب الشُّرطة بالمدينة : أنه دخل علينا شاميّ، فابعث إلينا بالشُّرَط . فركب ومعه الشرط[1] . فلما أتى إلى الباب، أمرت ففتح له، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثا . فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الشاميّ الذى شكوناه . فانصرفوا يضحكون .

مثال من طمع ابن أشعب

٥ أخبرني محمد بن جعفر النحوى قال : حدّثنا أحمد بن القاسم قال : حدّثنا أبو هَفّان قال : حدّثنا سيف[2] بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدى قال : حدّثنى إبراهيم بن المهدى :

أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صُحبة دُبَيَة والغاضرىّ وعُبيدة بن أشعب وحكم الوادى . فوهبهم له، فأشخصهم معه .

١٠ قال : فكان فيما حدثنى به عبيدة قال : قال إبراهيم :

ركبت حمارة وهو عَديلى، ونمتِ على ظهرها . فلما بلغنا ثنية العُقاب، اشتد علىّ البرد، فاحتجت إلى الزيادة من الدِّثار . فدعوت بدُوّاج سَمُّور، فألقيته على ظهرى، ودعوت بمن كان معى فى سمرى فى تلك الليلة، وكانوا حولى . فقلت لابن أشعب : حدّثنى بأعجب ما تعلم من طمع أبيك . فقال : أعجب من طمع أبى طمع ابنه . فقلت : وما بلغ من طمعك ؟ فقال : دعوت آنفا لما اشتد

١٥ عليك البرد بدُوّاج سَمُّور، لتستدفئ به، فلم أشكّ أنك دعوتَ به لتجعله علىّ . فغلبنى الضحك، وخلعت عليه الدُّواج . ثم قلت له : ما أحسب لك قَرابة بالمدينة . فقال : اللهم غَفرا، لى بالمدينة قرابات وأى قرابات . قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال : اللهم غفرا، لا تذكر العشرات ولا المئين،

٢٠ (١) كذا فى مب . وفى سائر الأصول : وركب معه .
(٢) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : يوسف .

وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها . قلت : ويحَك ! ليس بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال :

إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوّج سُكينة بنت الحسين . فخف أبى على قلبها ، فأحسنت إليه ، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه . فمال إليها بكليته .

قال : وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سُكَينة ، ٥ وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة ، وأنه لا يمكنه التخلّف عن الحج معه . وكانت لزيد ضيعة يقال له العَرْج ، وكان له فيها جَوارٍ . فأعلمتْه أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعبُ معه ، فيكون عَينا لها عليه ، وما نعا له من العدول إلى العَرْج ، ومن اتخاذ جارية لنفسه فى بدأته ورجعته . فقنع بذلك ، وأخرَجَ أشعب معه . وكان له فرس كثير الأوضاح ، حسن المنظر ، يصونه عن الركوب إلا فى مسايرة ١٠ خليفة أو أمير أو يوم زينة ؛ وله سرج يصونه ، لا يركب به غير ذلك الفرس . وكان معه طيب لا يتطيب به إلا فى مثل ذلك اليوم الذى يركب فيه ، وحُلّة مَوْشية يصونها عن اللُّبس إلا فى يوم يريد التجمّل فيه بها . فحج مع سليمان ، وكانت له ١٦٧/١٤ عنده حوائج كثيرة ، فقضاها ووصله ، وأجزل صلته . وانصرف سليمان من حَجّه ، ولم يسلك طريق المدينة . وانصرف بن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماء لبنى عامر ١٥ ابن صعصعة . ودعا أشعب ، فأحضره وصَرَّ صُرّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال ؛ وأنه إن أذن له فى المسير إليها ، والمبيت بها عند جواريه ، غَلَّس إليه ، فوافى وقتَ ارتحال الناس ، ووهب له أربعمائة الدينار . فقبل يده ورجله ، وأذن له فى السير إلى حيث أحب ، وحلف له أنه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجَة ، أنه ماسار إلى العَرْج ، ولا اتخذ جارية منذ فارق سُكَينة إلى ٢٠ أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى .

قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب : حدّثنى أبى أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى فى المـاء الذى كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قربتان ، فألقتا القربتين ، وألقتا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما فى الغدير ، وعامتا فيـه ، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبـه واستحسنه . فسألها عنـد خروجهما من المـاء عن نسبهما . فأعلمتاه أنهما من إماء نسوة خُلُوف ، لبنى عامر بن صعصعة ، هن بالقرب من ذلك الغدير . فسألها : هل سبيل إلى موليانهما ، لمحادثة شيخ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنى لهن بمن هـذه صفته ؟ فقال لها : أنا ذاك . فقالتا : انطلق معنا . فوثب إلى فرس زيد ، فأسرجه بسرجه الذى كان يسرجه به ويركبه ، ودعا بحلته التى كان يضن بها فلبسها ، وأحضر السَّفَط الذى كان فيه طيبه ، فتطيب منـه ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحىّ ، فأقام فى محادثة أهـله إلى قرب وقت صلاة العصر . فأقبل فى ذلك الوقت رجال الحىّ ، وقـد انصرفوا غانمين من غزاتهم ، وأقبلت تمـر به الرِّعلة بعـد الرِّعلة ، فيقفون به فيقـولون : ممن الرجل ؟ فينتسب فى نسب زيد ، فيقـول كل من اجتاز به : ما نرى به بأسا . وينصرفون عنـه . إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل ، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز ، فسأله مثلما يسألون عنه ، فأخبره بمثل ما كان يخبرون تقدمه ، فقال مثل قولهم .

قال ابن أشعب : قال أبى : ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله ، فأوجست منه خيفة ، لأنى رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ، فرفعهما ، ثم استدار ليرى وجهى . فركبت الفرس ، فمـا استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسمُ بالله ما هذا قرشىّ ، وما هذا إلا وجه عبـد . فركضت وركض خلفى ، فرأى حِجْره

مقصرة[١] . فلما يئس من اللحاق بى ، انتزع سهما فرمانى به ، فوقع فى مؤخرة السرج، فكسرها . ودخلتنى من صوته روعة[٢] أحدثت لها فى الحلة . ووافيت رحل مولاى ، فغسلت الحُلّة ونشرتها ، فلم تجف ليلا . وغلّس مولاى من العَرْج ، فوافانى فى وقت الرحيل ، فرأى الحلة منشورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضربها الركض ، وسَقَط الطيب مكسور الختم[٣] . ٥
فسألنى عن السبب، فصَدَقْتُه . فقال لى : ويحك! أما كفاك ما صنعت بى حتى انتسبتَ فى نسبى، فجعلتنى[٤] عند أشراف قومى من العرب جَمّاشا[٤]، وسكتَ عنى، فلم يقل لى : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة ، فلما وافاها سألتْه سُكينة عن خبره . فقال لها : يا بنت رسول الله ، وما سؤالك إياى ولم يزل ثقتك[٥] معى ، وهو أمين علىّ ، فسليه عن خبرى يصدقك عنه . فسألتنى ، فأخبرتها أنى لم أنكر ١٠
عليه شيئا، ولم أمكنه من ابتياع جارية، ولم أطلق له الاجتياز بالعَرْج . فاستحلفتنى على ذلك ، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمّك ، وثب فوقف بين يديها، وقال : أى ابنة عم، و يا بنت رسول الله ، كذبك والله العِلج، ولقد[٦] أخذ منى أربعمائة دينار، على أن أذن لى فى المصير إلى العَرْج[٦]، فأقمت بها يوما وليلة، وغسلت بها عدّة من جوارىّ، وها أنا ذا تائب إلى الله مما كان منى ، وقد جعلت ١٥
توبتى هبتهن لك، وتقدّمت فى حملهنّ إليك، وهن موافيات المدينة فى عشية اليوم، فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه ، وأنت أعلم بما ترين فى العبد السّوء . فأمرتنى

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : فركضت فرسى وهو يقول : من أنت ؟ واتبعنى .
(٢) كذا فى ف، مب . وفى الأصول : ودخلتنى روعة من ضربته أحدثت لها .
(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : مفضوض الخاتم . وفى مب : مكسورا مفضوض الخاتم . ٢٠
(٤ — ٤) العبارة عن ف، مب . والجماش : الذى يغازل النساء و يلاعبهن .
(٥) ف : عينك . (٦ — ٦) عن ف ، مب .

١٦٨ / ١٤

بإحضار أربعمائة الدينار، فأحضرتها . فأمرتْ بابتياع خَشَب بثلثمائة دينار، وأمرت بنشره ، وليس عندى ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه . ثم أمرتْ بأن يتخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه فى أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية. ثم أمرت بابتياع بيض وتِبْن وسِرْجِين بما بقى من المائة الدينار بعد أجرة النجارين.

٥ ثم أدخلتنى البيت، وفيه البيض والتبن والسِّرْجين ، وحلفت بحق جدّها ألا أخرُج من ذلك البيت حتى أحضُن ذلك البيض كله إلى أن يُفْقَس ، ففعلت ذلك ، ولم أزل أحضُنه حتى فُقِس كله . فخرج منه الألوف من الفراريج ، وربيت فى دار سكينة ، فكانت تنسبهنّ إلىّ، وتقول : بنات أشعب .

قال أبو إسحاق : قال لى : وبقى ذلك النسلُ فى أيدى الناس إلى الآن، فكلهم

١٠ إخوانى وأهلى . قال : فضحكت والله حتى غُلبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فحملت بحضرتى إليه .

الخلاف فى أزواج سكينة

أخبرنى الطوسىّ والحَرَمىّ (١) قالا : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى عمى مصعب قال :

تزوّجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج ، أوّلهم عبد الله

١٥ ابن الحسن بن علىّ ، وهو ابن عمها وأبو عُذْرتها ، ومصعب بن الزبير ، وعبد الله بن عثمان الحِزامى ، وزيد بن عمرو بن عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز ابن مروان ، ولم يدخل بها ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولم يدخل بها .

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوى : إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر ، وأمه بنت السَّليل بن عبد الله البَجَلى ، أخى جرير بن عبد الله ، قال :

---

٢٠ (١) كذا فى ف . وفى الأصول : أخبرنى الفارسىّ .

ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوّجه إياها أخوها على بن الحسين ، ومهرها مصعب ألفَ ألفِ درهم .

قال مصعب : وحدّثنى مصعب بن عثمان : أن على بن الحسين أخاها حملها إليه ، فأعطاه أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدّثنى معاوية بن بكر الباهلى قال : قالت سكينة : ٥

دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القَرّة .

قال : فولدت من مصعب بنتا، فقال لها : سميها زهراء[١] . قالت : بل أسميها باسم إحدى أمهاتى وسمتها الرباب[٢] . فلما قتل مصعب ولىَ أخوه عُروة تركته ، فزوّجها يعنى الرَّباب بنت مصعب ابنه عثمان بن عُروة ، فماتت وهى صغيرة ، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار . ١٠

قال الزبير : فحدّثنى محمد بن سلّام عن شعيب بن صخر[٣] ، عن أمه سعدة[٤] بنت عبد الله بن سالم، قالت :

لقيتُ سكينة بين مكة ومِنى ، فقالت : قفى لى يابنة عبد الله ، فوقفت . فكشفت عن بنتها من مصعب ، فإذا هى قد أثقلتها بالحلى واللؤلؤ ، فقالت : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه . ١٠

قال الزبير : وحدّثنى عمى عن الماجشون[٥]، قال :

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : ربربا . وفى كتاب المردفات من قريش للدائنى (ص ٦٤) : زبراء .

(٢) كذا فى الأصول . وفى كتاب المردفات (ص ٦٥) خديجة أو فاطمة .

(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : سعد بن صخر .

(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : سيدة . ٢٠

(٥) كذا فى مب . وفى بقية الأصول : ابن الماجشون .

١٦٩
١٤

اختصام سكينة وعائشة بنت طلحة إلى عمر بن أبى ربيعة

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمتا إلى عمر بن أبى ربيعة ، فقال لأقضين بينكما ؛ أما أنت يا سُكَينة فأملَح منها ، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لى والله . وكانت سكينة تسمِّى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين .

خطب عبد الملك سكينة فلم ترض أمها

٥ أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنى أحمد بن زهير[1] قال : حدّثنا المدائنى ، قال :
خطب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان . فقالت أمها :
لا والله لا يتزوّجها أبدا وقد قتل ابن أخى[2] ، تعنى مصعبا .

وأما محمـد بن سلام الجمحى فإنه ذكر فيما أخبرنى به أبو الحسن الأسدى عن الرياشى عنه :

١٠ أنّ أبا عذرتها هو عندى عبد الله بن الحسن بن علىّ . ثم حالف عليها العثمانى ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصبغ بن عبـد العزيز بن مروان . فقال فيـه بعض المـدنيين[3] :

نكَحَتْ سُكَينة بالحساب ثلاثةً * فإذا دخلتَ بهـا فأنت الرابـعُ

قال : وكان يتولى مصر ، فكتبت إليه : إن أرض مصر وخمة . فبنى لهـا مدينة
١٥ تسمى مدينة الأصـبغ . وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إياها ، فنفِس بهـا عليه . فكتب إليه . اختر مصر أو سُكَينة : فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ، ومتَّعها بعشرين ألفَ دينار . ومروا بهـا فى طريقها على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحِمار . قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبدا .

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : الحارث . (٢) مب : ابن أختى .
٢٠ (٣) كذا فى ف ؛ مب . وفى الأصـول : المبعضين . والقائل هو أيمن بن خريم (المـردفات ص ٦٦) .

وذكر محمد بن سلام فى هذا الخبر الذى رواه الرياشىّ عن شعيب بن صخر أن الحزامىّ عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها، وولدت منه بنتا. وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتها بنتها من الحزامىّ، وقد أثقلتها باللؤلؤ، وهى فى قُبّة، فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أنها تفضح الحلىّ بحسنها، لأنها أحسن منه. ٥

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم ابن عدىّ، عن صالح بن حسّان وغيره:

أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان، ثم تزوّجها مصعَب بن الزبير. فلما قتل مصعب، خطبها إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه: أبلغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تخطبها؟ فأمسك عن ذلك. ١٠

بنانة تحب أن ترى جلبة فى بيت مولاتها سكينة

قال: ثم تنفّست يوما بُنَانة جارية سكينة وتنهدت، حتى كادت أضلاعها تحطم. فقالت لها سكينة: مالكِ ويْلَك! قالت: أحب أن أرى فى الدار جَلَبة. تعنى العُرْس. فدعت مولى لها تثق به، فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف، فقل له: إن الذى كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه؛ أنت من أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحضر بيّنتك. قال: فجمع عِدّة من بنى زُهرة، وأفناء قريش من بنى جُمَح وغيرهم، نحوا من سبعين رجلا أو ثمانين. ثم أرسل إلى على بن الحسين، والحسن بن الحسن، وغيرهم من بنى هاشم. فلما أتاهم الخبر اجتمعوا، وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. ١٥ ٢٠

فتنادَى بنو هاشم واجتمعوا، وقالوا : لا يخرجَنّ أحد منكم إلا ومعه عصا . فجاءوا وما بقى إلا الكلام . فقال : اضربوا بالعصىّ . فاضطربوا هم وبنو زُهْرة، حتى تشاجُّوا، فشُجَّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان . ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : فى هذا البيت . فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاءوا بكساء طاروقىّ(١) ، فبسطوه ثم حملوها، وأخذوا بجوانبه — أو قال: بزواياه الأربع — فالتفتت إلى بُنانة فقالت : يا بُنانة، أرأيت فى الدار جَلَبة؟ قالت : إى والله إلا أنها شديدة .

١٧٠ / ١٤

وقال هارون بن الزيات : أخبرنى أبو حذيفة عن مصعب، قال :

كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن علىّ ، قتل عنها ولم تلد له . وخلف عليها مصعب(٢) ، فولدت له جارية . ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام، فنشزت عليه ، فطلقها . ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقا كثيرا . فقال الشاعر :

نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة * فإذا دخلت بها فأنت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه * خاب البقيعُ وخاب فيه الزارع

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، وقال : أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا ! فطلِّقها . فطلقها . فخلف عليها العثمانى ، وشرطت عليه ألّا يطلقها(٣)، ولا يمنعها شيئا تريده، وأن يقيمها حيث خُلَّتها أم منظور، ولا يخالفها فى أمر تريده . فكانت تقول له : يابن عثمان اخرج بنا إلى مكة . فإذا خرج بها فسارت يوما أو يومين،

(١) طاروقى : كذا فى جميع الأصول ، ولم نعثر على شرحه فى المعاجم اللغوية .

(٢) ف ، مب : كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن على ، وخلف عليها مصعب بن الزبير، قتل عنها ولم تلد له .

(٣) ف : مب : ألا يغيرها ، أى يجعلها تغار ، باتخاذ الإماء ونحو ذلك .

قالت : ارجع بنا إلى المدينة . فإذا رجع يومه ذاك، قالت : اخرج بنا إلى مكة .
فقال له سليمان بن عبد الملك : أعلَمُ أنك قد شرطت لها شروطا لم تف بها، فطلقها .
فطلقها . فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخاصموه
إلى هشام بن إسماعيل . فبعث إليها يخيرها . فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث
تسمع كلامه، فقال لها : جُعلت فداءَك، قد خيرتك فاختاريني . فقالت [١] : قلت ٥
ماذا بأبي ، تهزأ به . فعرف ذلك [١]، فانصرف . وخيروها، فقالت : لا أريده .

قال : وماتت فصلى عليها شَيبة بن نِصاح [٢] .

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهرى، عن عمر بن شبة، عن عبد الله
ابن محمد بن حكيم، عنه :

أن أوّل أزواجها الأصبغ، ومات ولم يرها، ثم زيد بن عمرو العثمانى، قال : ١٠
وولدت له ابنه عثمان الذى يقال له قرين، ثم الحزامى، ثم خلف عليها مصعب،
فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها .

قال عمر بن شبة : وحدّثنى محمد بن يحيى قال :

تزوّج مصعب سكينة وهو يومئذ بالبصرة ، عامل لأخيه عبد الله بن الزبير،
وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السلّاس، وهو الذى جاء بنعيه، ١٥
فقال ابن قيس فيه :

قد أتانا بما كرهنا أبو السلّا * س كانت بنفسه الأوجاع

(١ — ١) العبارة عن ف ، مب وكتاب (المردفات ص ٦٦) .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : النطاح . وهو شيبة بن نصاح مولى أم سلمة ، المدنى
القاضى القارئ . توفى سنة ثلاثين ومئة . (عن خلاصة الخزرجى) . ٢٠

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه . وهذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب، وإنما هي مع ابن جعفر .

قال محمد بن يحيى : ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير :

٥ أبلغ أمير المؤمنين رسالة * من ناصح لك لا يريد خداعا

بُضْع الفتاة بألف ألف كاملٍ * وتبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي * وأبث ما أبثثتكم لارتاعا

قال : وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتابا إلا جاء به ، فلما أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله ، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف درهم . ثم قال : إن مصعبا لما وليته البصرة أغمد سيفه ، وسل أيره ، وعزله عن البصرة ، وأمره أن يجيء على ذات الجيش ، وقال : إني لأرجو أن يخسف الله بك فيها . فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب ، فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

١٧١
١٤

١٠

مغاضبة زيد بن عمرو العثماني لسكينة

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهري قال :

١٥ ذُكر أن زيد : بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال له مغاضبا لسكينة ، وعمر بن عبد العزيز يومئذ والي المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينة على زيد ، وذكرت غَيبته مع ولائده سبعة أشهر ، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة ، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجا تريده ، فهي خَلية[1] ، فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما .

---

٢٠ (١) خلية : كناية عن مطلقة .

قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله، قال: بعثنى عمر، و بعث معى محمد بن معقل ابن يسار الأشجعى، إلى ابن حزم، وقال : اشهدا قضاءه ، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس، وفاطمة امرأة ابن حزم فى الحَجَلة(١) جالسة، وجاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها . فقالت : والله لا أدخل إلا ومعى ولائدى، فأدخلن معها، فلما دخلت قالت : ياجارية اثنى لى هذه الوسادة . ففعلت، وجلست عليها ، ولصق زيد بالسرير، حتى كاد يدخل فى جوفه خوفا منها . فقال لها ابن حزم : يا بنة الحسين، إن الله عز وجل يحب القصد فى كل شىء، فقالت له : وما أنكرت منى، إنى و إياك والله كالذى يرى الشعرة فى عين صاحبه، ولا يرى الخشبة فى عينه . فقال لها : أما والله لو كنتِ رجلا لسطوت بك . فقالت له : يابن فَرْتَنَى ألا تزال تتوعدنى ؟ وشتمته وشتمها . فلما بلغا ذلك قال ابن أبى الجهم العَدَوى : ما بهذا أُمِرنا ، فأمض الحكم ولا تُشاتم . فقالت لمولاة لها : من هذا ؟ قالت : أبو بكر ابن عبد الله بن أبى الجهم . فقالت : لا أراك(٢) ههنا وأنا اشتم بحضرتك . ثم هتفت برجال قريش، وحضت ابن أبى الجهم، وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحَرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودى عند شتمه إياى، أى عدو الله، تشتمنى وأبوك الخارج مع يهودَ صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أَريحاء ، يابن فَرْتَنَى . قال : وشتمها وشتمته .

قال : ثم أحضرنا زيدا، فكلمها وخضع لها، فقالت : ما أعْرَفَنى بك يا زيد، والله لا ترانى أبدا، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربُهن؟ املأً عينك

(١) الحجلة : مقصورة تجلس فيها النساء ، وتزين بالثياب والستور .

(٢) ف ، مب : ألا أراك ... الخ .

الآن منى ، فإنك لا ترانى(١) بعد الليلة أبدا ، وجعلت تردد هذا القول ومثله ، فكلما تكلمت ترفُث(٢) لابن حزم وامرأته فى المَجَلّة ، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه . ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته ، وإلا فاليمين على زيد . فقامت وقالت لزيد ، يابن عثمان : تزوّد منى بنظرة ، فإنك والله لا ترانى بعد الليلة أبدا ، وابن حزم صامت . ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا فى وسط الدار فى ليلة شاتية ، فسألنا عن الخبر ، فأخبرناه ، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم دعا زيدا من غد ، فأحلفه وردّ سكينة عليه .

أرادت سكينة أن تحدث فى الدار خبرا يحدث به الناس

١٧٢ / ١٤

وأخبرنى الحَرَمى بن أبى العلاء قال : حدّثنى الزبير بن بكار عن عمه قال :

قالت سكينة لأم أشعب : سمعت للناس خبرا؟ قالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته ، وبلغ ذلك بنى هاشم فأنكروه ، وحملوا العصىّ ، وجاءوا فقاتلوا بنى زُهرة حتى كثرت الشِّجاج ، ثم فُرِّق بينهم ، وحُيِّرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم ، ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت : أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت ، إى والله — بأبى أنت — وأى خبر(٣) .

قال هارون بن الزيات : وجدت فى كتاب القاسم بن يوسف : حدّثنى الهيثم ابن عدىّ ، عن أشعب ، قال :

كان زوجها زيد ابن عمرو بن عثمان شديد البخل

تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة ، وكان أبخل قرشىّ رأيته ، فخرج حاجا وخرجت سكينة معه ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصا ولا فاكهة

(١) كذا فى ف . وفى مب . سبعة أشهر ثم تطمع فى ، إملأ عينيك الآن منى فإنك لن ترانى . وفى بقية الأصول : سبعة أشهر ثم أعود إليك . والله لا ترانى .

(٢) كذا فى ف ، أى تفحش فى القول . وفى بقية الأصول : برقت .

(٣) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : بلى ، بأبى أنت وأمى .

إلا حملته معها ، وأعطتنى مائة دينار ، وقالت[(١] : يابن أم حميدة ، اخرج معنا[١)] . فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال ، فلما أتينا السَّيَّالة نزلنا ، وأمرت بالطعام أن يقدم ، فلما جيء بالأطباق ، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد ، فلما رآهم قال : أَوَّهْ . خاصرتى . باسم الله ، ارفعوا الطعام ، وهاتوا الترياق والماء الحار ، فأُتِى به فجعل يتوجَّرهما[(٢)] حتى انصرفوا ، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعا ، فلم آكل إلا مما اشتريته من السَّويق[(٣)] . فلما كان من الغد أصبحت وبى من الجوع ما الله أعلم به ، ودعا بالطعام وأُتِى به . قال : فأمر بإسخانه ، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلمون عليه ، فلما رآهم اعتل بالخاصرة ، ودعا بالتِّرياق والماء الحار ، فتوجَّره ورفع الطعام ، فلما ذهبوا أمر بإعادته ، فأُتِى به وقد برد ، فقال لى : يا أشعب ، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له أخبرنى عن دَجاجك هذا ؟ أمن آل فرعون ، فهو يُعْرَض على النار غُدُوًّا وعَشيا .

كانت سكينة تبغض أهل الكوفة

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال :

جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سُكَينة فقالت لهم : الله يعلم أنى أبغضكم : قتلتم جدى عليا ، وأبى الحسين ، وأخى عليا ، وزوجى مصعبا ، فبأى وجه تلْقَوننى ، أيتمتمونى صغيرة ، وأرملتمونى كبيرة .

(١ — ١) العبارة عن ف ، مب .

(٢) توجر الدواء : صبه فى حلقه شيئا بعد شيء .

(٣) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : السوق .

حرص سكينة على معرفة أخبار الناس

أخبرنى الحسن بن على عن أحمد بن زهير عن المدائنى قال: بينما سكينة ذات ليلة تسير، إذ سمعت حاديا يحدو فى الليل يقول:

* لولا ثلاث هنّ عيشُ الدهرِ *

فقالت لقائد قطارها: أَلحق بنا هذا الرجل، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث.

٥ فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

* الماء والنوم وأم عمرو *

فقالت: قَبَحَه الله! أتعبنى منذ الليلة.

حج أشعب مع سكينة

قال: وحدّثنى المدائنى أن أشعب حج مع سكينة، فأمرت له بجمل قوىّ يحمل

١٠ أثقاله، فأعطاه القيِّم جملا ضعيفا، فلما جاء إلى سكينة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عِرسُه الطلاق[1]، لو أنه حمل قَتَبا على الجمل لما حمله، فكيف يحمل محملا.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة، عن نعيم بن سالم بن علىّ الأنصارىّ، عن سفيان بن حرب، قال:

كانت ترمى الجمار فرمت خاتمها بدل حصاة سقطت منها

رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمى الجمار، فسقطت من يدها

١٥ الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

استبدلت بمالها فى الزوراء قصرا بلزق الجماء أعجبها حسنه

وقال هارون بن الزيات: حدّثنى أبو حُذافة السهمىّ قال: أخبرنى غير واحد، منهم محمد بن طلحة:

(١) ف، مب: فقال لها: امرأته الطلاق، لو أنه حمل قتب على الجمل ما حمله؛ فكيف يحمل محملا. وقوله «عرسه الطلاق» يريد أنها طالق، فعبر بالمصدر بدل الصفة.

أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء ، إلى قصر يقال له البَرِيدىّ [(١)] بلَزْق الجماء ، فلما سال العقيق ، خرجت ومعها جواريها تمشى ، حتى جاءت السيل ، فجلست على جُرْفه ، ومالت برجليها فى السيل ، ثم قالت : هذا فى است المغبون [(٢)] . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء . قال [(٣)] : وكان البريدىّ قصرا لا غلة له ، وإنما يُتَنزه فيه ، وكانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة [(٣)] .

خرجت بها سلعة فأجريت لها جراحة

١٧٣ / ١٤

وقال هارون : وحدّثنى على بن محمد النوفلىّ عن أبيه ، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين :

أن سكينة بنت الحسين عليه السلام ، خرجت بها سَلَعة [(٤)] فى أسفل عينها ، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، وعظُم شأنها ، وكان بدراقُس منقطعا إليها فى خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال : لها أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم . فأضجعها ، وشق جلد وجهها حتى ظهرت السَّلَعة ، ثم كشط الجلد عنها أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شىء تحت الحدقة ، فرفع الحَدَقة عنه ، حتى جعلها ناحية ، ثم سل عروق السلَعَة من تحتها . فأخرجها أجمع ، ورد العين إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن ، حتى فرغ مما أراد ، فزال ذلك عنها ، وبرئت منها ، وبقى أثر تلك الجراحة فى مؤْخَر عينها ، فكان أحسن شىء فى وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كل حَلْى وزينة ، ولم يؤثر ذلك فى نظرها ، ولا فى عينها .

(١) ف ، مب : الزينبى .
(٢) ف : الميت والله المغبون . والعبارة غامضة .
(٣ — ٣) العبارة عن ف ، مب .
(٤) السلعة : ورم كالخراج يحدث فى أى موضع فى الجسم ، يكون حجمه أولا كالحمصة ، ثم يكبر إلى حجم البطيخة .

نقدها شعر جماعة من الشعراء ثم إجازتهم

أخبرنى الحسن بن على قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه، قال: أخبرنى عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المدينى، عن المدائنى. وأخبرنى به محمد بن أبى الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام. وأخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرى، عن عُمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا:

٥ اجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكُثَيِّر وجميل ونُصَيب، فمكثوا أياما، ثم أذنتْ لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

هما دلّتانى من ثمانين قامةً * كما انحط بازٍ أقتم الريش كاسِرُهْ

فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحىٌ يُرَجَّى أم قتيلٌ نحاذِرُهْ

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا * وأقبلتُ فى أعجاز ليلٍ أبادِرُهْ

أبادر بوابَيْنِ قد وُكِّلا بنا * وأحمر من ساج تبِصُّ مسامِرُهْ (١)

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلّا سترتها وسترت نفسك؟ (٢) خذ هذه الألف، والحق بأهلك.

١٥ ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا * حينَ الزيارةِ فارجعى بسلامِ

تُجْرى السواك على أغرَّ كأنه * بَرَدٌ تحدر من مُتُون غَمامِ

(١) مب: وأسمر. وفى الديوان (١: ٢٥٥ — ٢٦٢) خلاف فى ترتيب الأبيات وبعض الكلم.

٢٠ (٢) كذا فى ف. وفى بقية الأصول: هلا سترت عليك وعليها.

لو كان عهدك كالذى حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير رمام(١)

إنى أواصل من أردتُ وصاله * بحبالِ لا صلِفٍ ولا لَوّام

قال : نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف والحق بأهلك . ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم كُثَيِّر؟ فقال : هأنذا . فقالت : أنت القائل : ٥

وأعجبنى ياعَزُّ منك خلائق * كرام إذا عُدّ الخلائق أربعُ

دنوُّك حتى يطمعَ الطالبُ الصِّبا * ودفعك أسباب الهوى حين يَطمع(٢)

وقطعُك أسبابَ الكريم ووصلك الـ * لئيم وخَلّات المكارم ترفع(٣)

فوالله ما يدرى كريم مماطَلٌ * أينساك إذ باعدتِ أم يتَضرعُ(٤)

١٧٤/١٤

قال : نعم . قالت : مَلَّحْتَ وشَكَّلْتَ . خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك . ١٠

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أيكم نُصَيْب؟ قال : هأنذا . قالت : أأنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نُصَيْب * لقلت بنفسىَ النَّشَأُ الصِّغارُ

بنفسى كل مهضوم حشاها * إذا ظُلِمَتْ فليس لها انتصار

قال : نعم . قالت : ربيتنا صغارا ، ومدحتنا كبارا . خذ هذه الأربعة الآلاف، والحق بأهلك . ١٥

(١) رمام : كذا فى ف ، مب . يريد المتقطع . وفى بقية الأصول : لمام .

(٢) كذا روى البيت فى ف ، مب . وفى بقية الأصول :

دنوّك حتى يدفع الجاهل الصبا * ورفعك أسباب المنى حين يطمع

(٣) البيت عن ف وحدها . ٢٠

(٤) أم يتضرع : كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أو يتصدع .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت : يا جميل، مولاتى تُقْرِئك السلام، وتقول لك : والله مازلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك :

ألا ليتَ شعرى هل أبيتن ليـلةً * بوادى القُـرَى إنى إذا لسـعيدُ

لكل حـديثٍ بينهن بشاشة * وكلُّ قتيـل عندهن شهيـد

٥ جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف(١) الدينار، والحق بأهلك .

تحكيم الرواة إياها فى شعر الشعراء

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال : حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبى عبد الله الزبيرىّ قال :

اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية ١٠ الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال : صاحبى أشعر . فحكموا سكينة بنت الحسين بن علىّ عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقادَون(٢)، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذى كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حِينَ(٣) الزيارةِ فارجِعى بسـلامِ

١٥ وأىُّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قَبّح الله صاحبك، وقَبّح شعره ! ألا قال : فادخلى بسلام !

(١) كذا فى مب . وفى بقية الأصول : هذه الألف الدينار .

(٢) يتقادون : كذا فى ف، مب . أى يتبارون فى التفاخر بأصحابهم . وفى الأصول : يتهادون . يريد : يتهادون الشعر، أى يفخر به بعضهم على بعض . (انظر اللسان : قدا) .

(٣) حين : كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول والديوان : وقت .

ثم قالت لراوية كُثيِّر : أليس صاحبُك الذى يقول :

يَقَــرّ بعينى ما يقَــرُّ بعينهــا * وأحسن شىء ما به العــين قَرّتِ

فليس شىء أقرّ لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن يُنكَح؟ قَبَح الله صاحبك، وقبح شعره ! ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركَتْ عقــلِى معى ما طلبتُهــا * ولكن طِلابيها لمــا فات من عقلى ٥

فمــا أرى بصاحبك من هوًى ، إنما يطلب عقله ، قَبَح الله صاحبَك وقَبَح شعره ! ثم قالت لراوية نُصَيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهــيم بدعد ما حييت فإن أَمُت * فيا حَرَبًا(١) من ذا يهيم بها بعــدِى

فما أرى له همة إلّا من يتعشقها بعده ! قَبَحَه الله وقبح شعره ! ألا قال :

أهــيم بدعد ما حييت فإن أَمت * فلا صَلَحت دعد لذى خُلّة بعدى ١٠

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبُك الذى يقول :

مِن عاشقين تواعدا وتراســلا(٢) * ليــلا إذا نجــمُ الثريا حَلّقــا

باتا بأنعــيم ليــلة وألذها * حتى إذا وضَح الصــباحُ تفرّقا

قال : نعم، قالت : قَبَحه الله وقبح شعره ! ألا قال : تعانقا .

قال إسحاق فى خبره : فلم تُثْن على أحد منهم فى ذلك اليوم، ولم تقدِّمه . ١٥

قال : وذكر لى الهيثم بن عدىّ مثل ذلك فى جميعهــم إلا جميلا، فإنه خالف هذه الرواية، وقال : فقالت، لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فياليتنى أعمى أصــمُّ تقودنى * بُثينة لا يَخْــفى على كلامهــا

(١) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : فواحزنا .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : تراسلا وتواعدا .

قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبك كان صادقا فى شعره ، كان جميلا كاسمه ، فحكمت له .

* * *

وفى الأشعار المذكورة فى الأخبار أغان تذكر هاهنا نسبتها .

٥ فمنها :

صوت

هما دلتانى من ثمانين قامةً * كما انقض بازٍ أقتم[1] الريش كاسرُهْ

فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحَىٌّ يرجّى أم قتيل نحاذرهْ

عروضه الطويل . الشعر للفرزدق ، والغناء للحَجَبِىّ ، رمَل بالبنصر عن

١٠ الهشامىّ وحبش[2] .

وأخبرنى : أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال : حدّثنا محمد بن سلام عن يونس ، وحدّثنا به اليزيدىّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا محمد بن سلام عن يونس قال :

شعر للفرزدق فى غلامه وقاع

كان للفرزدق غلامان ، يقال لأحدهما وَقّاع ، وللآخر زُنْقَطة . قال : ولوقّاع

١٥ يقول الفرزدق :

تغلغل وقّاعٌ إليها فأقبلت * تخوض خُداريا[3] من الليل أخضرا

لطيف إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى * إذا هو للظبى المَرُوعِ تَقَتَّرا[4]

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أفتخ .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : الهشامى و يونس .

٢٠ (٣) خداريا : كذا فى ف ، مب ، أى مظلما . وفى الأصول : صلابيا .

(٤) انغل : دخل . وفى الديوان : انسل . وتقتر : تهيأ وتلطف . وفى الديوان (٢ : ٤٢٧) : للطنء المخوف تقترا . والطنء : الريبة .

وله يقول أيضا :

فأبْلَغهنّ وحىَ القولِ عنى * وأدخل رأسه تحت القِرامِ
أُسَيِّد ذو خُرَيِّطةٍ نهارا * من المتلقِّطى قَرَدِ القُمامِ (١)
فقلن له نواعدك الثريا * وذاك إليه مجتمعُ الزِّحامِ

صوت (٢)

ثلاث واثنتان فهن خمسٌ * وسادسة تميل مع السَّنامِ
خرجن إلىّ لم يطمثن قبلى * فهُنّ أصح من بيض النعامِ
فبتن بجانبىّ مُصَرَّعاتٍ * وبت أفُضُّ أغلاق الختامِ (٣)

فى هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع ، خفيف رَمل بالبنصر عن الهشامىّ ، وفيها هَزَج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أن الهزج لفُلَيح ، وأن لحن ابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى .

شعر للفرزدق وهو بالمدينة

أخبرنى أبو خليفة قال : حدّثنا محمد بن سلام ، قال : قال الفرزدق وهو بالمدينة :

هما دلتانِى من ثمانين قامةً * كما انقض باز أقتم الريش كاسِرُهْ
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحَىٌّ يُرَجّى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنا * ووليت فى أعجاز ليل أبادره (٤)
أبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا * وأحمرَ من ساجٍ تبِص مسامِرُهْ
وأصبحت فى القوم الجلوس وأصبحت * مُغَلَّقة دونى عليها دساكِرُهْ (٥)

(١) البيت عن ف ، مب . (٢) كلمة (صوت) : عن مب وحدها .
(٣) البيت عن ف ، مب . (٤) البيت عن ف ، مب . (٥) البيت عن ف ، مب .

قال : فأنكرتْ ذلك قريش عليه ، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية ، وأجّله ثلاثة أيام ، فقال :

يا مَرْوَ إنّ مطيتى محبوســـة * ترجو الحِباءَ [1] وربهـا لم ييأسِ

وأتيتـــنى بصحيفةٍ مختـومةٍ * أخشى علىّ بها حِباءَ النِّقْرِسِ

ألقِ الصحيفة يافرزدقُ لاتكن * نكداءَ مثلَ صحيفـة المتلمسِ [2]

١٧٦ / ١٤

وقال فى ذلك :

وأخرجـــنى وأجّلـــنى ثلاثا * كما وُعدت لمهلِكِها ثمـــودُ

وذكر ذلك جرير فى مناقضته إياه ، فقال :

وشبهتَ نفســك أشقى ثمـودٍ * فقـالوا ضَلَلْتَ ولم تهتـــدِ

يعنى تأجيل مروان له ثلاثا . وقال فيه أيضا جرير :

تدليتَ تزنى من ثمـانين قامةً * وقَصّرتَ عن باع العلا والمكارم

وهما قصيدتان .

الفـرزدق ينشـد سليمان من أشعاره

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز قال : حدّثنا عُمر بن شـبة قال : قال سليمان ابن عبد الملك للفرزدق : أنشدنى أجود شعر قلته ، فأنشده قوله :

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ * وأنكرت من حَدْراء ما كنت تعرفُ

(١) الحباء : كذا فى مب . وفى بقية الأصول : الغناء .

(٢) كذا روى الشطر الثانى فى ف ، مب . وفى بقية الأصول :

* فى الصحف مثـل صحيفة المتلمس *

فقال له : زِدنى . فأنشده قوله :

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى الشَّمام[1]

فقال له سليمان : ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة ؛ أقررتَ بالزنا عندى وأنا إمام، ولابد لى من إقامة الحد عليك . قال : إن أخذت فىّ بقول الله عز وجل لم تفعل . قال : وما قال الله عز وجل؟ قال : قال : « والشعراء يتّبعُهُم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون » . فضحك سليمان، وقال : تلافيتها ودرأتَ عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنية ، وخَلَع عليه .

حادث للفرزدق يخشى أن يعيره به جرير

أخبرنى هاشم[2] بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبى عبيدة، قال : نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب ، فأنزلوه وأكرموه ، وأحسنوا قِراه، فلما كان فى الليل دبّ إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها ، فصاحت، فتبادر القوم إليها ، فأخذوها من يده وأنبوه، فجعل يفكر واهتم ، فقال له الرجل الذى نزل به : مالك ؟ أتحب أن أزوجك من هذه الجارية . فقال : لا ، والله . ما ذلك بى ، ولكنى كأنى بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر ، فقال فىّ :

وكنتَ إذا حللتَ بدار قوم * رحلتَ[3] بخَزْية وتركت عارا

فقال له الرجل : لعله لا يفطُن لهذا . فقال : عسى أن يكون ذلك . قال : فوالله ما لبثوا[4] أن مر بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه ، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل ، وفيها هذا البيت بعينه .

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : مع السنام ، وقد مرت .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : هشام .

(٣) ف : ظعنت .

(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : ما بعد .

ومنها :

صـــوت

من شعر جرير

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا * حِين الزيارةِ فارجعي بســلامِ (١)

تُجْــرِي السواكَ على أغرَّ كأنه * بَرَد تحــدَّر من متون غَمام

٥ هيهاتَ منزلُنا بحَـوِّ سُــوَيْقةٍ * ممن يَحِــلّ بواطن الآجام (٢)

إقـر السلام على سُعادَ وقل لهـا * لَوماً تـــردّ رســولنا بســلام (٣)

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج : ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي.
وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضا ولم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى.

١٧٧ / ١٤

وذكره عمرو بن بانة أيضا لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة، وذكر عليّ
١٠ ابن يحيى أن فيــه لابن سريج ثقيل أول في الثـاني والثالث، وأنكر ذلك حبش، (٤)
وقال : هو بالوسطى. قال عليّ بن يحيى : ومن النـاس من ينسبه إلى سِياط.
وذكر حبش أن فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر، وللغريض (٥) ثاني ثقيل بالوسطى.
ومنها (٥) :

صـــوت

١٥ مِن عاشقين تراســلا وتواعدا (٦) * بِلِقًّا إذا نجـــم الـثريا حَلّقــا

بعثـا أمامهما مخافــة رقبـــة * رَصَــدًا فمـــزّق عنهما ما مَزّقا

باتا بأنعـــم ليـــلة وألذها * حــتى إذا وضح الصبـاحُ تفـرقا (٧)

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي.

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول : وقت الزيارة. (٢) ف، مب : منزلنا بجزع برام.
٢٠ والآجام : كذا في مب. وفي ف : الأحام. وفي بقية الأصول : الأحلام، وهو تحريف.
(٣) لوما : كذا في مب. وفي بقية الأصول : يوما. (٤) ف، مب : ووافقه حبش.
(٥ — ٥) العبارة عن ف، مب. (٦) تراسلا وتواعدا : كذا في ف. وفي مب :
تواعدا وتراسلا. وفي بقية الأصول : تزايلا وتواعدا. وفي ف : ملثا، في موضع : بلقا.
(٧) وضح : كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول : برق.

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

سكينة تسأل الفرزدق من أشعر الناس

وروى أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنىّ، عن أبى يعقوب الثقفىّ، عن عامرٍ الشعبىّ؛ وذكر أيضا أبو عبيدة معمر بن المثنى :

أن الفرزدق خرج حاجا، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سُكَينة بنت الحسين عليه السلام مسلما، فقالت له : يافرزدق، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذى يقول :

بنفسىَ من تجنُّبـــه عزيزٌ * علىّ ومن زيارته لِمَـامُ

ومن أُمسِى وأصبِح لا أراه * ويَطْرُقُنى إذا هجعَ النِّيَـامُ

قال : والله لئن أذنتِ لى لأسمعنك أحسن منـه . قالت : أقيموه ، فأُخرِجَ[1] . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يافرزدق، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادنى اســـتعبارُ[2] * ولزرت قـــبرَكِ والحبيب يزارُ

كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها * كُتِم الحديث وعفَّتِ الأسرارُ

لا يُلْبِث القـرناءَ أن يتفرقوا * ليــلٌ يكُرّ عليهـــم ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لى لأسمعنك أحسن منه . فأمرت به فأخرج؛ ثم عاد إليها فى اليوم الثالث، وحولها مولَّدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأُعجِب بها . فقالت : يافرزدق، من أشعر الناس؟ فقال: أنا . فقالت : كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول :

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : قالت : لا أحب ، فاخرج عنى .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : لهاجنى استعبار .

إن العيون التى فى طرفها مَرَض * قتلننا ثم لم يُحْيِين قتلانا
يَصْرعن ذا اللب حتى لاحَرَاك به * وهن أضعفُ خلق الله أركانا

فقال : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن لى عليكِ حَقّا عظيما . ضربتُ إليك من مكة أريد التسليم عليك ، فكان فى دخولى إليك تكذيبى ومنعك إياى أن أسمعك(١) ، وبى ما قد عِيل معه صبرى ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإن أنا مت فمرى أن أُدرج فى كفنى ، وأدفن فى حِرِ تلك الجارية ، يعنى الجارية التى أعجبته ، فضحكت سُكينة ، وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذا بَرْيطتها ، وأمرت الجوارى أن يدفَعْن فى أقفائهما ، ثم قالت : يافرزدق ، أحسنْ صحبتها ، فإنى آثرتك بها على نفسى .

١٧٨/١٤

موت سكينة والصلاة عليها

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قالا : حدثنا علىّ بن محمد النوفلىّ(٢) ، قال : حدثنى أبى عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بنى هاشم :

أنه لم يصلَّ على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سكينة بنت الحسين عليه السلام ، فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه ، فآذنوه بالجنازة ، وذلك فى أول النهار فى حر شديد ، فأرسل إليهم : لا تُحدثوا حدثا حتى أجىء فأصلى عليها ، فوضع النعش فى موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه ، فقال : لا تحدثوا فيها شيئا حتى أجىء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء ، كل ذلك يرسلون إليه ،

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : فكان جزائى منك تكذيبى ومنعى من أن أسمعك .
(٢) كذا فى ف . وفى مب : محمد النوفلى . وفى الأصول : أحمد بن على النوفلىّ .

فلا يأذن لهم حتى صليت العَتَمة ولم يجىء، ومكث الناس جلوسا حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعا جمعا وينصرفون، فقال علىّ بن الحسين عليه السلام: من أعان بطيب رحمه الله! قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظن قوم، أن تُنْتن. قال: فأُتِى بالمجامر، فوضعت حول النعش، ونهض ابن أختها محمد ابن عبد الله العُثمانى، فأتى عطّارا كان يعرف عنده عُودا، فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به، فسُجِر حول السرير، حتى أصبح وقد فُرِغ منه، فلما صُلِّيت الصبح أرسل إليهم: صلوا عليها وادفِنوها. فصلى عليها شَيْبةُ بن نِصاح [1].

وذكر يحيى بن الحسين فى خبره: أن عبد الله بن حسن هو الذى ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

* * *

صـــوت

وأنا الأخضرُ من يعرفنى * أخضرُ الجِلدة من بيت العَرَبْ [2]

من يساجلْنى يساجلْ ماجدا * يملأ الدلوَ إلى عَقْد الكَرَبْ [3]

إنما عبد مناف جوهر * زَيَّن الجوهرَ عبدُ المطلبْ

كل قوم صيغة من فضة * وبنو عبد مناف من ذَهَبْ [4]

نحن قوم قد بنى الله لنا * شرفا فوق بُيوتات العربْ

بنبى الله وابنى عمه * وبعباس بن عبد المطّلبْ

(١) شيبة بن نصاح، بكسر النون: مولى أم سلمة، المدنى القاضى القارئ (ت ١٣٠).
(٢) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: فى بيت.
(٣) ف: إلى حدّ الكرب.
(٤) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: من تبرهم.

الشعر للفضل بن العباس اللَّهَبِىّ ، والغناء لمعبد، ثقيل أوّل بالبنصر، فى الأوّل والثانى والثالث . ولابن محرز فى الأوّل والثانى خفيف ثقيل أوّل مطلق فى مجرى البنصر . وذكر يونس أن فيهما لمعبد ومالك وآبن محرز وآبن مِسْجَح وآبن سريج خمسة ألحان . وذكر الهشامى أن لحن ابن سريج رَمَل ، ولحن مالك خفيف رَمَل ، ولحن معبد خفيفُ ثَقيل ، ولحن آبن محرز ثَقيل أوّل . وذكر آبن المكىّ أن الثقيل الأوّل لمالك . وذكر عمرو بن بانة فى كتابه الثانى أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل . وذكر الهشامىّ [(١)] أن فيه رملا آخر بالوسطى لأبى سعيد مولى فائد، ولأبى الحسن مولى سكينة، فى الثالث والرابع، خفيف ثقيل [(١)] . وذكر حبش أن لآبن صاحب الوضوء [(٢)] فى الأوّل والثانى ثانىَ ثقيل بالبنصر ، ولآبن سريج ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر حماد عن أبيه : أن لابن عائشة فيهما لحنا ، ووافقه آبن المكىّ . وذكر أنه خفيف رَمَل . قال : وقيل [(٣)] إنه لدُحْمان [(٣)] . وذكر آبن خرداذبه أن لخُليدة [(٤)] المكية فى الرابع والثالث خفيفَ رمل ، وفى الخامس والسادس والأوّل رَمَل ، يقال إنه لإبراهيم ، ويقال إنه لإسحاق . والخامس والسادس من هذه الأبيات ، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللهبى ، فليس من القصيدة التى فيها :

* وأنا الأخضر من يعرفنى *

(١ — ١) العبارة عن ف ، مب .

(٢) كذا فى ف ، مب . وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (الأغانى ٣ : ١١٦) . وفى بقية الأصول : لابن الحاجب الصولى .

(٣ — ٣) العبارة عن ف ، مب .

(٤) لخليدة المكية : كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : لخويلد .

لكن من قصيدة له أوّلها :

شاب رأسى ولِداتى لم تشبْ * بعـد لهو وشباب ولَعِبْ

شيبَ المَفْـرِقِ منى وبـدا * فى حفافَىْ لحيتى مثلُ العطَبْ

فى هذين البيتين لهاشم ونُقَيلة[1] خفيفُ رَمَل بالوسطى ، والقصيدة التى فيها :

وأنا الأخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة من نسل العرب ٥

أوّلها قوله :

طَرِبَ الشيخُ ولا حينَ طَرَبْ * وتصابِى وصِبا الشيخ عَجَبْ

(١) ونقيلة : كذا فى ف . وفى مب : لهاشم بن زنقطة . وهى ساقطة من بقية الأصول .

٢
١٥

أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

اسمه ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، وآسمه عبد العزى بن عبد المطلب آبن هاشم بن عبد منـاف . وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة . ولذلك قال .

٥

* وأنا الأخضر من يعرفني *

وهو هاشميّ الأبوين ؛ أمه بنت العباس بن عبد المطلب .

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيديّ ، عن عمه عبيد الله ، عن آبن حبيب . وإنمـا أتاه السواد من قِبل أمه : جدّته[1] ، وكانت حبشية .

وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم زوج عُتبة إحدى بناته . فلما بعثه الله تعـالى نبيـا ، أقسمت عليـه أم جميل أن يطلقها . فجـاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمـد ، أُشهد من حضر أني[2] قد كفرت بربك ، وطلقت ابنتك . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الله عليه كلبا من كلابه يقتله . فبعث الله عز وجل عليه أسدا فافترسه[3] .

١٠

---

(١) جدته : بدل من أمه .

(٢) كذا في ف ، مب . وفي الأصول : أشهد أني نصراني . تحريف .

١٥

(٣) خالف بعض المؤرخين أباالفرج فيمن أكله الأسد ، وصرحوا بأنه عتيبة بن أبي لهب ، لاعتبة . قال السهيلي في الروض الأنف (٢ : ٨١) : وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة ابن أبي لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة . فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما ، حين نزلت : « تبت يدا أبي لهب » . فأما عتيبة فدعا عليه النبي صلى الله عليـه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه ، فافترسه الأسد من بين أصحابه ، وهم نيام حوله . وأما عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فأسلما ، ولهما عقب .

٢٠

قتـل السبع عتبة بدعوة النبى عليه

أخبرنى الحسن بن القاسم البجلىّ الكوفىّ قال : حدّثنا علىّ بن إبراهيم ابن المعلَّى قال : حدّثنى الوليد بن وهب، عن أبى حمزة الثمالى، عن عِكرمة قال :

لما نزلت : «والنجم إذا هوى» ، قال عتبة للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك . قال : فقال ابن عباس : فخرج إلى الشأم فى ركب فيهم هَبَّار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة، وهى مَسْبَعة، نزلوا ليلا، فافترشوا صفا واحدا، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حَجْرة ؟ لا، والله، لا أبيت إلا وسطكم . فبات وسْطَهم . قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشمّ رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه، فانتشب(١) أنيابه فى صدغيه، فصاح : أىْ قوم، (٢)قتلنى دعوة محمد(٢)، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات فى أيديهم .

٣/١٥

أخبرنى الحسن بن الهيثم قال : حدّثنا على بن إبراهيم قال : حدّثنى الوليد ابن وهب، عن أبى حمزة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مثله . إلا أنه قال : قال عتبة : أنا برىء من الذى « دنا فتدلَّى » . قال : وقال هَبَّار : فضغمه الأسد ضَغْمة، فالتقت أنيابه عليه .

بين الأحوص والفضل

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عدىّ . وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدى فى "كتاب الجوابات" قال : حدّثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنى، إلا أن رواية ابن النطاح أتم، واللفظ له، قال :

(١) ف : فالتقت . مب : فالتمت إلى أنيابه .

(٢ — ٢) ف ، رمب : قتلنى قتلنى ، دعونى أسمت به .

مرّ الفضل اللّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد، وقد ٱجتمع الناس عليه، فحسده، فقال له : يا أحوص إنك لشاعر، ولكنك لا تعرف الغريب، ولا تُعرب . قال : بلى، والله إنى لأبصر الناس بالغريب والإعراب، فأسألك(١) ؟ قال : نعم . قال :

ما ذاتُ حَبْــلٍ يراها الناس كلهمُ * وَسْــطَ الجحيم فلا تخفَى على أحدِ

٥ كل الحبالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ * وحبلها وَسْطَ أهلِ النار من مَسَدِ

فقال له الفضل بن العباس :

ماذا أردتَ إلى شتمِى ومَنْقَصتِى * ماذا أردت إلى حمّـالةِ الحطبِ؟

أَذْكَرْتَ بنتَ قُروم ســادةٍ نُجُبٍ * كانت حليلةَ شيخ ثاقبِ النَّسبِ

فانصرف عنه .

١٠ قال ٱبن النطاح :

بين الفضل والحزين الديلى

وحُدِّثت أن الحزين الدِّيلى(٢) مرّ بالفضــل يوم جمعة، وعنــده قوم ينشدهم، فقال له الحــزين : أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصــلاة ؟ فقال الفضل : ويْلَك ياحزين ! أتتعرض لى، كأنك لا تعرفنى . قال : بلى والله، إنى لأعرفك، ويعرفك معى كل من قرأ سورة « تَبّت يدا أبى لهب » . وقال يهجوه :

١٥ إذا ما كنت مفتخِــرا بجَــد * فعَــرِّج عن أبى لهبٍ قليــلا

فقــد أَخزَى الإله أباك دهرا * وقلّد عِرســه حبــلا طويلا

فأعرض عنه الفضل، وتكرم عن جوابه . وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه .

بينه وبين الفرزدق

حدّثنى الحسن بن على قال : حدّثنا القاسم بن محمد الأنبارىّ قال : حدّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال :

٢٠ (١) فأسألك : كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : أفتسمع .

(٢) كذا فى الأصول . والصواب : الدؤلى، نسبة إلى الدئل، بضم فكسر، فرع من كنانة قريش، وإليــه ينسب أبو الأسود الدؤلى المتوفى ســنة ٦٩ وليس الحزين الشاعر منسوبا إلى الديل، بالدال المكسورة والياء، لأن هــذه قبيلة من عبد القيس . وهو عمرو بن عبيــد بن وهب الكنانى الشاعر، كما فى تاج العروس (حزن) .

دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عُتبة ينشد :

من يساجِلْنى يساجِلْ ماجدا * يمـلأ الدلو إلى عَقْـدِ الكَرَبْ

فقال الفرزدق : مَن المنشِد ؟ فأُخبِر به، فقال : مايساجلُك إلا من عَضَّ بظْر أمه .

حدّثنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ ، قال : حدّثنا محمد بن الحكم ، قال :

سأل الوليد فأعطاه وسليمان فحرمه

قدم الوليد بن عبد الملك حاجًّا إلى مـكة وهو خليفة ، فدخل عليه الفضـل آبن العباس بن عتبة ، فشكا إليـه كثرة العيال ، وسأله فأعطاه مالا و إبلا ورقيقا . فلما مات الوليد وَلِىَ سليمان فحج ، فأتاه فسأله ، فلم يعطِه شيئا ، فقال :

ياصاحب العِيسِ التى رُحِلت * محبوسـة لعشـيةِ النَّفْـرِ

امرر على قبر الوليـدِ فقل له * صـلَّى الإله عليـك من قـبر

يا واصـل الرَّحِم التى قُطِعت * وأصابها الجَفَوات فى الدهر

إنى وجدت الخلَّ بعدك كاذبا * فبرِئت من كذِبٍ ومن غَدْر

ولقد مررت بنسـوةٍ يندبنه * بيضِ السواعدِ من بنى فِهـر

تبـكى لسـيدها الأجل وما * يبكين من نابٍ ولا بَـكْر

يبكينـه ويقلن : سَـيِّدَنا * ضـاع الخـلافةُ آخر الدهر (١)

ماذا لقيتُ، جزِيتَ صالحـة * من جفوةِ الإخوان لو تدرى

كان منقطعا إلى الوليد وسأله أن يفرض لجاره

أخبرنى وكيع بهذا الخبر، قال : حدّثنى محمد بن على بن حمزة قال : حدّثنا أبو غسان قال : أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبى ثابت، قال :

(١) كذا روى البيت فى ف ، مب ، وفى الأصول : يندبنه ... تاج الخلافة .

كان الفضل بن العباس منقطعا إلى الوليد بن عبد الملك ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه ، فقال :

يا راكب العيس التى وُقفت * للنفْرِ يوم صبيحةِ النحرِ [(١)]

وذكر الأبيات . قال : وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كل سنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بقى شارب الريح . قال : وما شارب الريح؟ قال : حمارى ، افرض له شيئا . ففرض له خمسة دنانير ، فأخذها ولم يكن يطعمه ، فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار ، وعلقها فى عنقه [(٢)] ، وجاء بها إلى القاضى ، فأضحك منه الناس .

كان الفضل بخيلا

حدثنا اليزيدى ، قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ ، قال : حدثنى أبو الشكر مولى بنى هاشم ، كوفى ظريف ، قال :

كان الفضل بن العباس بخيلا ، فقدم على بن عبد الله بن العباس حاجا ، فأتاه فى منزله مسلما عليه ، فقال له : كيف أنت ، وكيف حالك ؟ قال : بخير ، نحن فى عافية . قال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإنى لأشتهى هذا العنب ، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج . فغمز غلاما له ، فذهب فأتاه بسَلة عظيمة من عنب ، فجعل يغسل له عنقودا عنقودا ويناوله ، فكلما فعل ذلك قال : بَرّتك رحم .

كان يسأل علف حماره

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال : حدثنا الزبير بن بكار عن عمه ، قال :

كان الفضل بن العباس بخيلا ، وكان ثقيل البدن ، إذا أراد أن يمضى فى حاجة استعار مركوبا ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعض

(١) كذا روى البيت فى ف ، مب ، وفى الأصول : يا صاحب ... صبيحة النصر .
(٢) أى علقها الرجل فى عنق نفسه .

بنى هاشم : أنا أشترى لك حمارا تركبه، وتستغنى عن العاريّة . ففعل ، وبعث به إليه ، فكان يستعير له سرجا إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجا . فلما طال عليه ذلك، اشترى سرجا بخمسة دراهم، وقال :

ولما رأيت المال مَأْلف أهله * وصان ذوى الأخطار[1] أن يتبذلوا

رجعت إلى مالِى فأعتبت بعضه * فأعتبنى إنى كذلك أفعل[2]

ثم قال للذى اشترى له الحمار : إنى لا أُطيق عَلَفه ، فإما أن تبعث إلىّ علفه وإلا رددته . فكان يبعث إليه بعلَف كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضا أن يطلب من كل أحد يأنس به علفا لحماره، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير، حتى هَزَل وعطِب . فرفع الحزينُ الكِنانىّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، وكتب فى رأسها قصة حمار الفضل اللهبى، وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس، ويعلفه التبن، ويبيع الشعير، ويأخذ ثمنه، ويسأل أن يُنصَف منه . فضحك لما قرأ الرقعة ، وقال : لئن كنت مازحا إنى لأراك صادقا . وأمر بتحويل حمار اللهَبى إلى إصطبله، ليعلِفه ويُقضِمه، فإذا أراد ركوبه دُفِع إليه .

أخبرنى وكيع قال : حدّثنى محمد[3] بن سعد الشامىّ، عن ابن عائشة، قال :

كان الفضل اللهبى بغير سرج، فاستعار سرجا ، فمطله الرجل، حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجا ومضى لحاجته، وأنشأ يقول :

* ولما رأيت المال مألف أهله *

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئا .

---

(١) كذا فى ف ، وفى الأصول : الإحسان . ولعله : الأحساب ، بالباء .

(٢) كذا روى البيت فى ف . ومعنى الإعتاب هنا طلب العتبى ، وهى الرضا ، يريد أنه طلب من ماله أن يرضيه فأرضاه . وفى مب : فعاتبت بعضه . وفى الأصول : فكاتبت بعضه ... فأنجبنى . تحريف .

(٣) كذا فى مب . وفى بقية الأصول : سليمان .

بيتان له في مدح بني هاشم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال : كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر ، فأفاضوا في ذكر بني هاشم ، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فمن مُنشدٍ شعرا ، ومتحدث حديثا ، وذاكرٍ فضيلة من فضائل بني هاشم . فقال أبي : قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العباس اللَّهَبي في بيت قاله ، ثم أنشد قوله :

ما بات قومٌ كرام يدّعون يدا * إلا لقومي عليهم مِنَّة ويدُ

نحن السَّنام الذي طالت شَظِيته * فما يخالطه الأدواء والعَمَد

فمن صلى صلاتنا ، وذبح ذبيحتنا ، عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدا عليه ، بما هداه الله عز وجل إلى الإسلام به ، ونحن قومه ، فتلك مِنة لنا على الناس .

وفي هذين البيتين غِناء لابن محرز ، هَزَج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة .

وقوله « وطالت شظِيته » ، الشظية : الشَّظَى[1] ، قال دريد بن الصمة :

سليم الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شنِج النَّسا * أمين القُوى نهدٌ طويل المقلَّدِ

والعَمَد[2] : داء يصيب البعير من مُؤْخِر سنامه إلى عجزه ، فلا يُلْبِثه أو يقتله .

قدم على عبد الملك ومدحه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، قال :

---

(١) في اللسان : الشظية : كل فلقة من شيء ، والقطعة المرتفعة في رأس الجبل ، جمعها : شظايا . وهذا المعنى هو المناسب لبيت الفضل . أما الشظى فعظيم دقيق إذا زال عن موضعه شظى الفرس ، أي تألم له . وهذا المعنى مناسب لشعر دريد بن الصمة . ويبدو أن أبا الفرج خلط بين المعنيين .

(٢) العمد : مصدر عمد البعير (بكسر الميم) أي ورم سنامه من عض القتب والحلس (انظر اللسان) .

قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، على عبد الملك بن مروان ، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزيادىّ : والله ما أسمع شعرا ، فلما كان العشىّ راح إليه الفضل ، فوقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين :

أتيتك خالا وابن عم وعمة * ولم أك شَعْبا لاطه بك مِشعب (١)

فصِل واشجاتٍ بيننا من قرابة * ألا صِلةُ الأرحام أبقَى وأقرب ٥

ولا تجعلنِّى كامرئ ليس بينه * وبينكُم قربى ولا متنسَّب

أتحدب من دون العشيرةِ كلها * فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادىّ : هذا ، والله يا أمير المؤمنين ، الشعر ! فقال عبد الملك : النَّخْس يكفيك البطئ (٢) . وجعل يضحك من استرسال الزيادىّ فى يده (٣) ، وأحسن صلته .

عطية المهدى للأحيحى

وأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى النوفلىّ قال : حدّثنى عمى قال : ١٠

٦/١٥

لما قدم الفضل اللّهَبىّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها . فلما قدم الأُحيحى (٤) على المهدىّ فمدحه ، قال المهدى لمن حضر : كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهَبىّ لما مدحه ، فما أعلم هاشميا مدحه غيره ؟ فقيل له : أعطاه عشرة آلاف درهم . قال : فكم أعطاه الوليد ؟ ١٥ قالوا : مثل عطية أبيه . فأمر للأُحَيحىّ بثلاثين ألف درهم .

---

(١) لاطه : ألصقه ، وفى الشعر تعريض بزياد بن أبيه وقصة استلحاقه .

(٢) هذا مثل ، معناه أن الحث يحرك البطىء الضعيف ، ويحمله على السرعة . (الميدانى ٢ : حرف النون) .

(٣) كذا فى الأصول ، ومعنى العبارة غامض .

(٤) الأحيحى : شاعر ، ولعله ينسب إلى أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية . ٢٠

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال :
حدّثني أحمد بن معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال :

خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان
بالشام ، فخرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب له ، ومعه بغلة تُجنَب ، فحدا حادى
٥ عبد الملك به ، فقال :

يأيها البكر الذى أراكا * عليك سهلَ الأرضِ فى ممشاكا
ويلَك هل تعلم من علاكا * إن ابن مروان على ذُراكا
خليفة الله الذى امتطاكا (١) * لم يَعْلُ بكرا مثلُ من علاكا

فعارضه الفضل اللّهبى ، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس ، فقال :

١٠ يأيها السائل عن عليّ * سألت عن بدر لنا بدريّ
أغلبَ فى العلياء غالبيّ (٢) * ولينِ الشيمة هاشميّ
* جاء على بكر له مَهْرِيّ *

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال : أهذا مجنون آل أبى لهب؟ قال : نعم . فلما أعطى
قريشا مر به اسمه فحرمه ، وقال : يعطيه عليّ . هكذا رواية عُمر بن شبة .

١٥ وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن على بن محمد بن النوفليّ عن عمه : بينه وبين سليمان

أن سليمان بن عبد الملك حج فى خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ،
ودخل الفضل اللّهبيّ يستقى ، فجعل يرتجز ويقول :

يأيها السائل عن عليّ * سألت عن بدرٍ لنا بدريّ
مقدَّم فى الخير أبطحيّ * ولينِ الشيمةِ هاشميّ
٢٠ زمزمَنا بوركتِ من ركيّ * بوركتِ للساقى وللمسقيّ

(١) ف : اصطفاكا . (٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أغلب فى العلياء غلابى .

فغضب سليمان، وهمّ بالفضل . فكفّه عنه علىّ بن عبد الله، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فأخذه من يده كالمتعجب، ثم قال : نعم إنه يستحب، ووضعه فى يده ولم يشربه . فلما ولى الخلافة وجد لقيه الفضل، فلم يعطه شيئا .

نسخت من كتاب ابن النطاح، قال :

حسد الحارث بن خالد المخزومى له

ذكر أبو الحسن المدائنى أن الحارث بن خالد المخزومىّ، كان يحسد الفضل اللهبى على شعره ويعاديه، لأن أبا لهب كان قامر جده العاصىَ بن هشام على ماله فقَمَره، ثم قامره على رِقّه فقمَره[1]، فأسلمه قَيْنا، ثم بعث به بديلا يوم بدر، فقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فكان[2] إذا أنشد شيئا من شعره يقول : هذا شعر ابن « حَمّالة الحطب » . فقال الفضل فى ذلك :

ماذا تحاول من شتمى ومَنقصتى * ماذا تُعيّرُ من حمالة الحطبِ
غراء سائلة فى المجد غُرتها * كانت حليلة شيخ ثاقبِ النسب
إنا وإن رسول الله جاء بنا * شيخ عظيم شئُونِ الرأس والنشبِ
يا لعن الله قوما أنت سيدهم * فى جلدة بين أصل الثِّيل[3] والذنب
أبا القيون توافينى تفاخرنى * وتدعى المجد قد أفرطتَ فى الكذب
وفى ثلاثةِ رهطٍ أنت رابعهم * توعدنى واسطا جرثومةَ العرب
فى أسرة من قريش هم دعائمها * تشفِى دماؤهمُ للخيْل والكَلَب
أما أبوك فعبدٌ لستَ تنكره * وكان مالكه جدى أبو لهب
النبعُ عيدانُنا والمجدُ شيمتنا * لسنا كقومك من مَرْخ ولا غَرَب

(١) قمره : غلبه . (٢) الضمير يرجع إلى أبى لهب، كما هو ظاهر من البيت الثامن .
(٣) الثيل : وعاء قضيب البعير والتيس، وقد يقال للإنسان .

داينه عقرب حناط فهجاه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثني عمي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي، قال:

كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْرَبُ حَنّاط قد داين الفضل اللَّهَبي فمطله، ثم مر به الفضل وهو يبيع حنطة له، ويقول:

٥ جاءت بها ضابطة التُّجَّارِ * صافيــة كقطـع الأوتارِ

فقال الفضل:

قد تَجَرت عَقْرَبُ في سوقنا * يا عجبًا للعقــربِ التاجرهْ
قد صافتِ[1] العقربُ واستيقنت * أنْ مالها دنيا ولا آخرهْ
فإن تعـدْ عادت لما ساءها * وكانتِ النعلُ لها حاضرهْ
١٠ إنّ عدُوا كيدُه في استِهِ * لَغيرُ ذي كيدٍ ولا نائرهْ[2]
كل عــدو يُتّقَى مقبــلا * وعَقْرب تُخْشَى من الدابرهْ
كأنها إذ خرجت هَوْدجٌ * شَدّت قُواه رُفْعة باكرهْ

مفاخرته مع عمر ابن ربيعة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشي عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه، ١٥ والروايتان كالمتفقتين:

أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له:

لا أنعم الله بقَيْن عينا * تحيــة السخط إذا التقينا

أأنت لا أم لك القائل:

---

٢٠ (١) لعله من صاف عن الشيء: إذا عدل عنه، يريد عدلت عن الإيذاء. ويقال: أصاف الله عني شر فلان، أي صرفه وعدل به (انظر اللسان). وفي مب: ضاقت.

(٢) النائرة: العداوة والشحناء.

صـــــوت

نظـرت إليهـا بالمحصَّب مِن مِنًى * ولى نظـــر لولا التحــرُّج عارِمُ

فقلت : أشمس أم مصابيح بِيعــةٍ * بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيـدةُ مَهْوَى القُرطِ إمّا لنوفـل * أبوها وإما عبـــدُ شمس وهاشِمُ[1]

الغناء لابن سريج : رمل بالوسطى من رواية عمْرو بن بانة ، ومن رواية حماد ابن إسحاق عن أبيه . ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق : ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر[2] ، أوّله :

* بعيدة مهْوَى القرط إما لنوفل *

وفى لحن معبد خاصة قوله :

ومد عليها السجف يوم لقيتها * على عجِـلٍ تُبّاعها والخــوادم

وتمـام الشعر :

فـلم أستطعها غير أنْ قد بدا لنـا * عشـية راحت كفُّها والمعـاصمُ

معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحَى * عصاها ، ووجه لم تَلُحْـه السَّمائم

نرجع إلى سياقة الخبر :

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله ! ما ألأمك ! أما كانت لك فى بنات العرب مندوحة عن بنـات عمك ! فقال عمر : بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم ، على شَحْط الدار ، ونأْى المزار . فقال له عبد الملك : أراك مرتدعا عن ذلك؟ فقال : إنى إلى الله تعالى تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوبَ الله عليك ، وسيحسن جائزتك . ولكن أخبرنى عن منازعتك اللَّهَبِىّ فى المسجد الجـامع ،

(١) هاشم ليس معطوفا على (لنوفل) بالجر ، وإنما هو مرفوع على أنه خبر مبتدأ ، تقديره : وإما أبوها عبد شمس وهاشم .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : الوسطى .

فقد أتانى نبأ ذلك، وكنت أحب أن أسمعه منك . قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس فى المسجد الحرام، فى جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل ابن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت :

وأصبح بطنُ مكة مقشعِرًّا * كأن الأرضَ ليسَ بها هِشام[1]

فأقبل علىّ وقال : يا أخا بنى مخزوم، والله إن بلدة تَبحبح[2] بها عبد المطلب، وبُعِث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر بها بيت الله عز وجل، لحقيقة ألا تَقْشَعِرّ لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ من يقول :

إنما عبد مناف جوهر * زَيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلب

فأقبلت عليه فقلت : يا أخا بنى هاشم، إن أشعر من صاحبك الذى يقول :

إن الدليل على الخيراتِ أجمعِها * أبناءُ مخزومَ[3]، للخيرات مخزومُ

فقال لى : أشعر والله من صاحبك الذى يقول :

جبريلُ أهدَى لنا الخيراتِ أجمعَها * إذ أمَّ هاشمَ[3] لا أبناءَ مخزوم

فقلت فى نفسى : غلبنى والله . ثم حملنى الطمع فى انقطاعه علىّ، فخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذى يقول :

أبناء مخزومٍ الحريقُ إذا * حركته تارة[4] ترى ضَرَما

يَخرج منه الشَّرارُ معْ لَهَبٍ * من حاد عن حَرِّه فقد سلِما

(١) هو هشام بن إسماعيل المخزومى أمير الحجاز .

(٢) تبحبح : تمكن فى المقام والحلول .

(٣) مخزوم وهاشم : اسمان للقبيلتين، فلذلك منعا من الصرف .

(٤) فى بدائع البدائه لعلى بن ظافر ص ١٥ : « حركت نيرانه » .

فوالله ما تلعثم[١] أن أقبل علىّ بوجهه فقال : يا أخا بنى مخزوم ، أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمٌ بحر إذا سما وطما[٢] * أخمد حَرّ الحريق واضطرما
واعْلَم وخير المقال أصدقُه * بأنّ من رام هاشماً هُشِما

قال : فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساختْ بى ، ثم تجلدت عليه فقلت : يا أخا بنى هاشم ، أشعر من صاحبك الذى يقول :

أبناءُ مخزومَ أنجمٌ طلعتْ * للناس تجلو بنورها الظُّلَما
تجود بالنَّيل قبل تُسْأَله * جُوداً هنيئا وتضربُ البُهَما[٣]

فأقبل علىّ بأسرع من اللحظ[٤] ، ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمُ شمسٌ بالسَّعْدِ مَطْلَعها * إذا بَدَت أخفت النجومَ معَا
اختار منها ربّى النبىَّ فمن * قارَعها[٥] بعد أحمدٍ قُرِعا

فاسودّت الدنيا فى عينى ، ودِير بى ، وانقطعت ، فلم أُحِرْ جوابا . ثم قلت له : يا أخا بنى هاشم ، إن كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يسعنا مفاخرتك . فقال : كيف ؟ لا أمّ لك ، والله لو كان منك لفخرتَ به علىّ . فقلت : صدقتَ وأستغفر الله ، إنه لموضع الفَخار . وداخلنى السرور لقطعه الكلام ، ولئلا ينالنى عوز[٦] عن إجابته فأفتضح . ثم إنه ابتدأ بالمناقضة ، فأفكر هنيهة ، ثم قال : قد قلتَ فلم أجدْ بُدًّا من الاستماع ، فقلت : هات . فقال :

---

(١) ما تلعثم : ما توقف . (٢) بدائع البدائه : همى . ومضارعه يهمى .
(٣) جمع بهمة ، وهو الشجاع ينبهم أمره على قرنه ، فلا يدرى من أين يصيبه .
(٤) بدائع البدائه : أسرع من البرق . (٥) كذا فى ف . وفى الأصول و بدائع البدائه : قارعنا .
(٦) كذا فى ف ، مب . فى بدائع البدائه : عجز عن إجابته . وفى الأصول : خور عن إجابته .

نحنُ الذين إذا سما لِفَخارهم * ذو الفخر أقعده هناك القُعْدُدُ[1]

افخَر بنا إن كنتَ يوما فاخرا * تَلْقَ الأُلَى فخروا بفخرك أُفْرِدوا

قلْ يابن مخزومٍ لكل مفاخرٍ * منا المباركُ ذو الرسالة أحمد

ماذا يقول ذوو الفَخار هُنا لكُمْ * هَيهاتَ ذلك ، هل يُنال الفرقَدُ

فحَصِرت والله وتبلّدت ، وقلت له : إن لك عندى جوابا فأنظرنى . وأفكرت مَلِيّا ، ثم أنشأت أقول :

لا فَخْرَ إلا قد علاه محمدٌ * فإذا فخرتَ به فإنى أشهدُ

أَنْ قد فخرتَ وفُقْتَ كلَّ مفاخرٍ * وإليك فى الشرف الرفيع المَعْمدُ

ولنا دعائم قد بناها أوّلٌ * فى المكرمات جرى عليها المَوْلدُ

من رامها حاشَى النبيِّ وأهله * بالفخر غطمطه الخليجُ المُزْبد[2]

دعْ ذا ورُحْ لِغناء خَوْدٍ بَضّةٍ * مما نطقتَ به وغَنَّى مَعْبدُ

معْ فتية تَنْدى بطونُ أكفهم * جُودا إذا هَرَّ[3] الزمانُ الأنكَدُ

يتناولون سُلافة عانيّة * طابت[4] لشاربها وطاب المَقْعَد

فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أجابنى بجواب كان أشد على من الشعر . قال لى : يا أخا بنى مخزوم ، أريك السُّهَا وتريني القَمَر — قال أبو عبد الله اليزيدىّ[5] : أدُلُّك على الأمر الغامض ، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح . وهذا مَثَلٌ — أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح ، وهى الخمر المحرمة ؟ فقلت له : أما علمت أصلحك الله

(١) القعدد : اللئيم الخامل القاعد عن المكارم . وفى بدائع البدائه : الزمان القعدد .

(٢) بالفخر : كذا فى ف ، مب و بدائع البدائه . وفى الأصول : فى الأرض . وغطمطه : اضطربت به أمواجه . (٣) هر : ساء خلقه واشتد . وفى بدائع البدائه : غلج الحرون الأنكد . ويقال غلج الفرس : خلط فى سيره واضطرب . (٤) بدائع البدائه : لذت .

(٥) هو محمد بن العباس اليزيدى النحوى (ت ٣١٠ هـ) . ومن لفظه نقل أبو الفرج هذا الخبر ؛ كما سيأتى فى آخره . وفى الأصول : الزبيرى . تحريف . والتصويب عن بدائع البدائه ، لعلى بن ظافر .

أن الله عز وجل يقول فى الشعراء : « وأنهم يقولون مالا يفعلون » . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله قوما منهم ، فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء ، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها ؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر . فقلت : أصلحك الله ، لا أجد للمستخذى شيئا أصلح من السكوت . فضحك وقال : أستغفر الله . وقام عنى .

قال : فضحك عبد الملك حتى استلق ، وقال يا بن أبى ربيعة ، أما علمت أن لبنى عبد مناف ألسنةً لا تطاق ، ارفع حوائجك . قال : فرفعتها فقضاها ، وأحسن جائزتى وصرفنى[1] .

واللفظ فى هذا الخبر لمحمد بن العباس[2] .

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتى ممن ذكرت صنعته فى هذا الخبر

خليدة المكية

منهم خُليدة المكيـة ، وهى مولاة لابن شمّاس ، كانت هى وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك .

فأخبرنى الحِرْمىّ بن أبى العلاء والطُّوسىّ قالا : حدّثنا الزبير بن بكار ، عن عمه قال :

كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية[3] ، وكان محمد ابن هشام يصنع الطعامَ الرقيق ، فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل ، فيفطُن هشام ، فيقول : لقد حدث شىء ، ثم يقوم محمد ، فيتسلّل القوم إليه ، وجاءت

(١) قال على بن ظافر فى بدائع البداهة ص ١٧ تعليقا على هذه القصة : « وأحسب الحكاية مصنوعة ، لأن أشعارها ضعيفة » . (٢) هو أبو عبد الله اليزيدى (انظر ترجمته فى هامش ص ١٨٩) . (٣) كذا فى ف . وفى الأصول : وبنو ناجية . تحريف .

خُليدة المكية ، فصعِدُوا غُرفة ، فلما غَنّت إذا حَفْـز[1] ونفس ، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد :

يا قـدمىّ ألحقانى بالقومْ * لا تَعدَانى كَسَلا بعد اليومْ

فلمـا رآهم ، قال : أحسبه قـد جلس معهم . وقال لخُليدة : غنى . فغنت . فقال لها : اكتبي فى صدرك « قل هو الله أحد والمعوّذتين » لا تصيبك العين .

كان ابن جامـع يطرب لغنـائها

أخبرنى على بن عبـد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْدَاذَبه قال : حدّثنى إسحاق ابن إبراهيمَ الموصلىّ ، عن الفضل بن الربيع قال :

ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكية ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر :

فتنَت كاتبَ الأميرِ رِياحا[2] * يا لقـومٍ خُلَيـدة المكيهْ

أرسل إليها محمـد ابن عبد الله بن عمرو ابن عثمان يخطبها

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه ، قال : حدّثنى عمر بن شبة قال :

بلغنى أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليـه . فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسـترها ، ثم وثبت ، فقالت : إنما ظننتك بعض سفهائك ، ولكنى ألبس لك ثياب مِثلك ، ثم أخرج إليك . ففعلت . وقالت : قل . قال : أرسلنى إليك مولاى ، وهو من تَعلمين بين رسـول الله صلى الله عليـه وسلم و بين علىّ وعثمان ، وهو ابن عم أمير المؤمنين ، يخطِبك . وقالت : قـد نسبته فأبلغت ، فاسمع نسبى أنا ، بأبى أنت .

---

(١) الحفز : الدفع ، وتتابع النفس فى الصدر . وفى الأصول : صفر .

(٢) كذا فى ف . وفى الأصول : رباحا .

إن أبى بِيع على غير عَقْد الإسلام ولا عهده، فعاش عبدا، ومات وفى رجله قيد، وفى عنقه سلسلة، وعلى الإباق والسرقة؛ وولدتنى أمى على غير رِشدة، وماتت وهى آبقة، فأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحا مُباحا، أو زنا صُرَاحا، فهلم إليه، فنحن له. فقال: إنه لا يدخل فى الحرام. قالت: ولا ينبغى أن يستحيىَ من الحلال. فأما نكاح السِّر فلا. والله لا فعلته، ولا كنت عارا على القِيان. قال: فأتيت محمدا فأخبرته، فقال: ويلك! أتزوجها مُعْلِنا وعندى بنت طلحة بن عُبيد الله! لا. ولكن ارجع إليها، فقل لها تختلف إلىّ أردد بصرى فيها، لعلى أسلو. فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت، وقالت: أما هذا فنعم. لسنا نمنعه منه.

* * *

صـــوت

رُبَّ ليـلٍ ناعمٍ أحييتُـه * فى عفافٍ عند قبّاءِ الحشَى
ونهار قد لهونا بالتى * لا نرى شبها لها فيمن مَشَى
لِطلوعِ الشمس حتى آذنت * بغروب عند إبان العِشَا[(١)]
لِسُلَيمَى ما دعت قُمْريّة * بهديل فوق غصن من غَضَى
وعُقارٍ قهوةٍ باكرتُها * فى ندامَى كمصابيح الدُّجَى
وجواد سابح أقحمته * حَوْمة الموت على زُرق القَنا

(١) رواية الشطر الثانى فى الأصول: «لغروب أنت تهوى من تشا».

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد، فيما ذكر الزُّبير بن بكّار . وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ وخالدُ بن كُلثوم : أنه لابنه خالد بن المهاجر . والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق ؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان ، أحدهما هزج خفيف بالسبابة ، في مجرى البنصر، عن إسحاق وابن المكي ، والآخر رمل بالبنصر، عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر ، عن ابن المكيّ . قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر ، نشيد[1] ، ووافقه عمرو والهشامى ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز ، والمعمول عليه الرواية الثانية .

(١) كذا في «ب» . وفي بقية الأصول : « نشيد مسجح » .

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه، وأخبار ابنه خالد

اسمه ونسبه

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة ابن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وكان الوليد بن المغيرة سيدا من سادات قريش ، وجوادا من جُوَدائها (١) . وكان يلقب بالوَحيد . وأمه صَخرة بنت الحارث ابن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجِيلة ، ثم من قَسْر . ولما مات الوليد ابن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة ، لإعظامها إياه ، حتى كان عام الفيل ، فجعلوه تاريخا . هكذا ذكر ابن دأب .

وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبى بكر المؤَمَّلىّ ، أنها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين ، إلى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة ، فأرّخوا بها .

بلاء خالد فى الإسلام

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغَناء فى حروبه المحل المشهور ، ولقّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيف الله ، وهاجر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل الفتح و بعد الحُدَيْبِية هو وعمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لما رآهم : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكة مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان أوّل من دخلها فى مُهاجِرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مُؤْته . فلما قُتل زيد بن حارثة وجعفر ابن أبى طالب وعبد الله بن رَواحة ، ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم ، انحاز بهم ، وحامَى عليهم حتى سلموا ، فلقّبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيف الله .

حدّثنا بذلك أجمع الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ عن الزبير بن بكار .

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : أجوادها ، وهما بمعنى .

وكان خالد يوم حنين فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه بنو سليم ، فأصابته جراح كثيرة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين ، فنفث على جراحه ، فاندملت ونهض . وله آثار فى قتال أهل الرِّدَّة ، فى أيام أبى بكر رضى الله عنه مشهورة ، يطول ذكرها . وهو فتح الحِيرة ، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو ابن بُقَيلة ، فكلمه خالد ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائى . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامى . قال : ابن كم أنت؟ قال : ابن رجل وامرأة . قال : فأين أقصى أثرك ؟ قال : منتهى عمرى . قال : أتعقِل ؟ قال : نعم ، وأُقَيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتق بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لأمر ما اختارك قومك ، ما هذا فى يدك؟ قال : سَمُّ ساعة . قال : وما تصنع به؟ قال : أردت أن أنظر ما تردنى به : فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومى عدت إليهم ، وإلا شربته ، فقتلت نفسى ، ولم أرجع إلى قومى بما يكرهون . فقال له خالد : أرنيه . فناوله إياه . فقال خالد : باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجللته غشية ، ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه . فرجع ابن بُقيلة إلى قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

أخبرنى بذلك إبراهيم بن السرى ، عن يحيى التميمى ، عن أبيه ، عن شعيب ابن سيف . وأخبرنى به الحسن بن على ، عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقدى .

وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التى بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل ، فرضوا به وبإمارته .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم ، فأخذ خالد شعره ، فجعله فى قلنسوة له ، فكان لا يلقى جيشا وهى عليه إلا هزمه .

وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم الحديث، وحُمل عنه. ورآه النبىّ صلى الله عليه وسلم مُتَدلّيا من هَرْشَى فقال : نِعْم الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسىّ والحَرَمىّ قالا : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبى عون ، عن أبى سعيد المقبرىّ[1]، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك له . ٥

قال الزبير : وحدّثنى محمد بن سَلّام ، عن أبان بن عثمان قال :

ما صنعه النساء عند موت خالد

لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا وضعت لِمّتها على قبره ، يعنى حلقت رأسها ، ووضعت شعرها على قبره .

قال ابن سَلّام : وقال يونس النحوى : إن عمر رضى الله عنه قال حينئذ :

دعوا نساء بنى المغيرة يَبكين أبا سليمان ، ويُرِقن من دموعهن سَجْلا أو سجلين ، ما لم يكن نقع أو لقلقة . ١٠

قال : والنقع : مد الصوت بالنحيب . واللقلقة : حركة اللسان بالولولة ونحوها .

قال الزبير، فيما ذكره لى من رويت عنه : حدّثنى محمد بن الضّحاك عن أبيه :

كان خالد أشبه الناس بعمر

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان أشبهَ الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمرُ سَحَرا ، فلقيه شيخ ، فقال له : مَرْحبا بك يا أبا سليمان ، فنظر إليه عمر ، ١٥ فإذا هو عَلْقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة : عزلك عمر ابن الخطاب ؟ فقال له عمر : نعم . قال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ما عندى إلا السمع والطاعة .

---

(١) كذا فى ف . وفى مب : سعد . وفى بقية الأصول : سعيد المقبرى .

فلما أصبح عمر دعا بخالد ، وحضره علقمة بن عُلاثة ، فأقبل على خالد ، فقال له : ماذا قال لك علقمة ؟ قال : ما قال لى شيئا . قال : اصدُقْنى . فحلف خالد بالله ما لقيه ، ولا قال له شيئا . فقال له علقمة : حِلاً[1] أبا سليمان . فتبسم عمر ، فعلم خالد أن علقمة قد غلِط ، فنظر إليه ، وفَطَن علقمة ، فقال له : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعفُ عنى ، عفا الله عنك . فضحك عمر وأخبره الخبر . ٥

أخبرنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدّثنا المدائنى ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد ، وعن أبى ذئب[2] ، عن أبى سهيل أو ابن سهيل :

١٣ / ١٥

دس معاوية لعبد الرحمن بن خالد من يقتله

أن معاوية لما أراد أن يُظهر العهْد ليزيد ، قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كَبِرت سنه ، ورق جِلده ، ودق عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها ، ودس ابن أُثال الطبيب إليه ، فسقاه سمّا فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر ابن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكة ، وكان أسوأ الناس رأيا فى عمّه ، لأن أباه المهاجر كان مع علىّ عليه السلام بصفّين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه : هاشمىّ المذهب ، ودخل مع بنى هاشم الشِّعْب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزُّبير عليه ، فألقى عليه زِق خمر ، وصبّ بعضه على رأسه ، وشنّع عليه بأنه وجده ثَمِلا من الخمر ، فضربه الحدّ . فلما قُتِل عمه عبد الرحمن مرّ به

١٠

١٥

---

(١) حلا : أى تحلل من حلفك .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : سليمان بن أبى ذئب .

عُروة بن الزبير، فقال له : ياخالد، أتدع ابن أُثال ينْقِى[1] أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مُسْبِل إزارك، تجره وتخطر فيه متخايلا ؟ فحمِى خالد، ودعا مولى له يدعى نافعا، فأعلمه الخبر، وقال له : لابد من قتل ابن أُثال ؛ وكان نافع جَلْدا شهما .

فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أُثال يُمْسِى عند معاوية، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج . فقال خالد لنافع : إياك أن تعرض له أنت ، فإنى أضربه ، ولكن احفظ ظهرى ، واكْفِنى من ورائى ، فإن رابك شىء يريدنى من ورائى فشأنك . فلما حاذاه وثَب عليه فقتله ، وثار إليه مَن كان معه . فصاح بهم نافع فانفرجوا ، ومضى خالد ونافع ، وتبعهما من كان معه ، فلما غَشَوْهما حملا عليهم ، فتفرقوا ، حتى دخل خالد ونافع زُقاقا ضيقا ، ففاتا القوم . وبلغ معاويةَ الخبر، فقال : هذا خالد بن المهاجر، اقلبوا الزُّقاق الذى دخل فيه . ففُتّش عليه ، فأُتِى به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيرا ، قتلت طبيبى . قال : قتلت المأمور وبقى الآمِر . فقال له : عليك لعنة الله ! أما والله لو كان تَشَهَّد مرة واحدة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت إلا به . ثم أمر بطلبه فوُجد ، فأُتى به ، فضربه مِئَة سوط . ولم يهج خالدا بشىء أكثر من أن حبسه ، وألزم بنى مخزوم دية ابن أُثال ، اثنى عشر ألف درهم . أدخل بيتَ المال منها ستة آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجرى فى دية المعاهَد ، حتى ولِىَ عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذى يأخذُه السلطان لنفسه ، وأثبتَ الذى يدخل بيت المال .

وخالد بن المهاجر الذى يقول :

---

(١) ينـقى : أى يستخرج المخ من العظام . يريد أن يعبث بأعضاء الزبير بعد قتله إياه ؛ لأنه لا يعبأ بأحد من أهله . والكلمة فى ف غير واضحة تماما ، وقد تقرأ : يفنى ، أو يق ، ولا معنى لها هنا . وانظر الكلمة مرة ثانية فى صفحة (٢٠٠ سطر ٢) .

صـــوت

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العَنْسِ * والرحلِ ذى الأنساعِ والحِلسِ
سَيْرَ النهارِ ولستَ تاركه * وتُجِدُّ سَيرا كلما تمسى

فى هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده فى شعر المهاجر، ولا أدرى أهو له أم ألحقه به المغنون، لحنان : ثقيل أوّل ، وخفيف ثقيل . ذكر يونس أن أحدهما لمالك ، ولم يذكر طريقة لحنه ، ووجدته فى جامع غناء معبد ، عن الهشامىّ . ويحيى المكى له فيه خفيف ثقيل . وهكذا ذكر علىّ بن يحيى أيضا ، ولعله رواه عن ابن المكىّ . وإن كان هذا لمعبد صحيحا ، فلحن مالك هو الثقيل الأول . وذكر حبش، وهو ممن لا يحصّل قوله : أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

١٤/١٥

خالد يحرض عروة ابن الزبير على قتل ابن جرموز

قال : ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال فى الحَبْس :

إمّا خُطَاىَ تقارَبَتْ * مَشْىَ المقيَّدِ فى الحِصارِ
فبما أُمَشِّى فى الأبا * طِحِ يقتفى أثرى إزارى
دع ذا ولكنْ هل تَرَى * نارا تُشَبُّ بذى مُرار(١)
ما إن تُشَبُّ لِقُرَّة * للمصطلين ولا قُتارِ
ما بالُ ليلِكَ ليس يَنْـ * ـقُصُ طُولَه طولُ النهارِ
لتقاصُرِ الأزمانِ أم * غَرَضِ(٢) الأسيرِ من الإسارِ؟

(١) ذو المرار : أرض كثيرة المرار ، وهو حمض أو شجر من أفضل العشب وأضخمه ، إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها ، فبدت أسنانها (تاج العروس) .

(٢) الغرض : مصدر غرض : إذا ضجر وقلق .

قال : فبلغت أبياتُه معاوية، فرق له وأطلقه . فرجع إلى مكة . فلما قدمها لقِى عروة بن الزبير، فقال له : أما ابن أُثال فقد قتلتُه، وذاك ابن جُرموز يُنْفِى[1] أوصالَ الزّبير بالبصرة ، فاقتله إن كنتَ ثائرا . فشكاه عروة إلى أبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى يعقوب بن نعيم قال : حدّثنى إسحاق بن محمد قال : حدّثنى عيسى بن محمد القَحْطَبِىّ قال : حدّثنى محمد ابن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

غنى إبراهيم ابن المهدى فى شعر للمهاجر

غنى إبراهيم بن المهدىّ يوما بحضرة المأمون وأنا حاضر :

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ * والرحلِ ذى الأقتابِ والحِلْسِ

قال : وكانت لى جائزة قد خرجت، فقلت : تأمر سيدى يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت علىّ مكان جائزتى ، فهو أحب إلىّ منها ؟ فقال له : يا عم ، ألق هذا الصوت على محمد . فألقاه علىّ حتى إذا كدت أن آخُذه قال : اذهب فأنت أحذقُ الناس به . فقلت : إنه لم يصلح لى بعد . قال : فاغدُ غدا علىّ . فغدوت عليه ، فأعاده ملتويا[2] ، فقلت له : أيها الأمير ، لك فى الخلافة ما ليس لأحد ؛ أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعمّ الخليفة ، تجود بالرغائب ، وتبخل علىّ بصوت ؟ فقال : ما أحمَقك ! إن المأمون لم يستبقنى محبة لى، ولا صلة لرحمى، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندى ، ولكنه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمقالته . فقال : إنا لا نكدِّر على أبى إسحاق عفونا عنه، فدعه . فلما كانت

(١) انظر التعليق على هذه الكلمة فى (ص ١٩٨ : سطر ١) . (٢) ف ، مب : متلونا .

أيام المعتصم نشط للصَّبوح يوما ، فقال : أحضروا عمِّى . فجاء فى دُرّاعة بغير طَيْلَسان ، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّا ، فقال : يا عمّ غَنِّنى :

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ * والرحلِ ذى الأقتاب والحِلسِ

فغنّاه . فقال : ألقه على محمد ، فقال : قد فعلت ، وقد سبق منى قول ألا أعيدَه عليه . ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضُر .

* * *

صــــوت

أقفرَ بعــد الأحبّـة البـلَدُ * فهْو كأنْ لم يكنْ به أحدُ

شجـاك نُؤْىٌ عفَت معـالمُهُ * وهامدٌ فى العِــراص مُلتبِدُ

أمُّك عَنْســية مهـذَّبة * طابت لهـا الأمَّهات والقَصَد(١)

تُدعى زهـيرية إذا انتسبتْ * حيث تلاقى الأنسابُ والعَدَد

الشعر لحمزة بن بيض ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن عباد ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى وعمرو وابن المكىّ .

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : والنجد . والقصد : اسم جنس جمعى واحده قصدة بالتحريك ، وهى من كل شجرة ذات شوك ، أن يظهر نباتها أول ما ينبت . يريد طابت أمهاتها ومنابتها .

أخبار حمزة بن بيض (*) ونسبه

هو شاعر إسلامى خليع

حمزة بن بِيض الحَنفىّ : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، كوفىّ خليع ماجن، من فحول طبقته . وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبى صُفْرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، و بلال بن أبى بُرْدة . واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما، ولم يدرك الدولة العباسية .

تكسبه بالشعر

أخبرنى عمى قال : حدّثنا أبو هفان قال : أخبرنى أبو محلم عن المفضل قال :

أخذ حمزة بن بِيض الحنفىّ بالشعر ألف ألف دِرهم، من مال وحُملان (١) وثياب ورقيق وغير ذلك .

بلال بن أبى بردة يمزح معه

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد، قال : حدّثنى أبو توْبة، قال :

قدم حمزة بن بِيض على بِلال بن أبى بُردة، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بِيض الحنفىّ، فدخل الغلام إلى بلال، فقال : حمزة بن بِيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه، فقال : اخرج إليه فقل : حمزة بن بِيض ابن مَن ؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك . فقال : ادخل فقل له : الذى جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد، تسأله أن يهب لك طائرا، فأدخلك (٢) وناكك، ووهب لك طائرا (٢) . فشتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة،

(*) ضبطه ابن برى والمطرز بكسر الباء، وضبطه ابن حجر بالفتح . وقال الفراء : إنه جمع أبيض و بيضاء (عن تاج العروس) .

(١) الحملان : الدواب التى تحمل الهبات خاصة .

(٢ — ٢) هذه العبارة فى الأصول، وسقطت من ف . والسياق بعدها يقتضيها .

فأخبره بالجواب . فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلما رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك قبّحه الله ؟ قال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدّ الجواب ، قال : فأبى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحص برجله ، وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادخل . فدخل فأكرمه ، ورفعه ، وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

قال : وأراد بقوله (ابن بيض ابن مَنْ ؟) قول الشاعر فيه :

أنت ابن بيض لعمرى است أنكره * وقد صدقت ، ولكن مَن أبو بيض ؟

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بن الحسن الأحول ، عن الأثرم ، عن أبى عمرو ، وأخبرنى وكيع قال : حدّثنى عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان ، قال : حدّثنى أبو الحسن الشّيبانى قال : حدّثنى شعيب بن صفوان ، قال :

يمدح مخلد بن يزيد فيثيبه

قدم حمزة بن بيض على مَخْلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت ، فأنشده قوله فيه :

أتيناك فى حاجة فاقضها * وقل مرحبا يجب المرحبُ

ولا تكِلَنّا إلى معشر * متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك فى الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والمغرب

وفى أدب منهمُ ما نشأتَ * ونعْم لعمرك ما أدّبوا[1]

بلغت لعَشر مضت من سنيـ * ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب

فهمَّك فيها جسام الأمور * وهمُّ لِداتك أن يلعبوا

(١) البيت ساقط من ف ، مب .

وجُدْتَ فقات ألا سائل * فيعطَى ولا راغبٌ يرغب
فمنــك العطيــة للسائلين * وممن ينوب بك أن يَطلُبــوا[1]

١٦/١٥ فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها . قال وكيع فى خبره : وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها . وقال أيضا فى خبره : فحسده الكميت . فقال له : يا حمزة، أنت كمُهْدِى التمر إلى هَجَر، قال : نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر . ٥

مرضـــه

أخبرنى علىّ بن سليمان قال : حدّثنى محمد بن يزيدَ النحوىّ، قال : قال الجاحظ : أصــاب حمـــزةَ بن بِيض حُصْرٌ[2]، فدخل عليــه قوم يعودونه وهو فى كرب القُولَنْج، إذ ضرط رجل منهم، فقال حمزة : من هذا المنعَم عليه ؟

نبوءة شعرية له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى محمد بن القــاسم بن مِهــرويه قال : قال على بن الصباح : حدّثنى هشام بن محمد، عن الشَّرْقىّ، قال : ١٠

زعم هشام بن عروة أن عبد الرحمن بن عنبسة مَرّ فإذا هو بغلام أَصبَح الغلمان وأحسنهم، ولم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له : يتيم من أهل الشام، قدم أبوه العــراق فى بَعْث[3] فقُتِــل، و بقى الغلام هاهنا، فضمه ابن عنبسة إليــه، وتبناه . فوقع الغــلام فيما شاء من الدنيا، ومرّ يوما على بِرذون ومعه خدم على ابن بِيض، وحول ابن بِيض عِياله فى يوم شات، وهم شُعْث غُبْر عُراة، فقــال ابن بِيض : من هذا ؟ فقيل : صَدَقة يتيم ابن عنبسة . فقال : ١٥

يَشْــعَث صِبيانُنا وما يَتِمــوا * وأنت صافى الأديم والحــدقهْ
فليت صِــبيانَنا إذا يَتِمــوا * يلقَون ما قد لقيت يا صدقهْ

---

(١) البيت عن ف، مب . (٢) الحصر : احتباس البطن أو البول .
(٣) البعث : الجيش . ٢٠

عوّضك الله من أبيـك ومن * أمك فى الشام بالعـراق مِقَهْ
كفَـاك عبد الرحمن فَقْدَهما(١) * فأنت فى كُسـوة وفى نَفَقَـهْ
تظل فى دَرْمـكٍ(٢) وفاكهــة * ولحم طير ما شئت أو مرقَهْ
تأوى إلى حاضن وحاضـنة * زادا على والديك فى الشـفقهْ
فكل هنيئـا ما عاش ثم إذا * مات فَلَغْ فى الدماء والسرقـهْ
وخالِف المسـلمين قِبلتهـم * وضَـلّ عنهم وخادِنِ الفسقه
واشتر نهد التليل ذا خصَـلٍ * لصـوته فى الصهيل صَهْصَلَقه(٣)
واقطع عليه الطريق تُلْفَ غدا * رَبَّ دنانيرَ جمـةٍ ورِقَـهْ(٤)

٥

فلما مات عبد الرحمن، أصابه ما قال ابن بيض أجمع : من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأُخذ وصُلِب .

١٠

أخبرنى أحمـد بن عبيد الله بن عمـار قال : حدّثنى النوفلىّ عن أبيـه . قال ابن عمـار : وأخبرنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ ، قال : حدّثنى أبى عن أبى سفيان الحميرىّ قال :

نبوءة أخرى

خرج حمـزة بن بيض يريد سـفرا ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة ، كثيرة الأهل والمواشى ، من الشاءِ والبقر، كثيرة الزرع ، فلم يصنعوا به خيرا، فغدا عليهم، وقـال :

١٥

لعن الإله قرية يممتهـا * فأضافنى ليـلا إليهـا المغربُ
الزارعين وليس لى زرع بهـا * والحالبين وليس لى ما أحلُب

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : همهما . (٢) الدرمك : الدقيق الأبيض .
(٣) النهد : المرتفع . والتليل : العنق . والصهصلقة : شدة الصوت .
(٤) الرقة : الدراهم المضروبة .

٢٠

فلعل ذاك الزرع يُودِى أهلُه * ولعل ذاك الشاء يوما يَجْرب

ولعل طاعونا يصيب علوجها * ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

١٧/١٥

قال : فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون، فأباد أهلها، وخربت إلى اليوم . فمر بهم ابن بيض، فقال : كَلَّا، زعمتُ أنى لا أُعْطَى مُنْيَتِى . قالوا : وأبيك لقد أعطيتها، فلو كنت تمنيت الجنة كان خيرا لك . قال : أنا أعلم بنفسى، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكنى أرجو رحمة ربى عز وجلّ .

٥

يهجو من لم يحسن ضيافته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلَّابِىّ قال : قال ابن عائشة :

خرج ابن بيض فى سفر، فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس، وألقوا لِبغلته تبنا، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته، فقال :

١٠

أُحَسِّبها ليلة أدلجتُها * فكلى إن شئت تِبْنا أو ذرى

قد أتى ربَّكِ خبزٌ يابس * فتعزَّى معه واصطبرى (١)

الفرزدق يفحمه

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدى، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال : حدّثنا المدائنى، قال :

قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق : أيُّما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقنى، ولكن نكون معا . فأيُّما أحب إليك، أن تدخل إلى بيتك، فتجد رجلا قابضا على حِرِ امرأتك، أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بد من جوابه، والبادى أظلم، بل أجدها قابضة على أيره، قد أَغَبته (٢) عن نفسها .

١٥

(١) رواية الشطر الثانى فى الأصول عدا ف، مب :

* فتغذى وتعزى واصبرى *

(٢) أغبته : أخرته وأبعدته .

٢٠

جنبه

نسخت من كتاب أبى إسحاق الشايمينى[1] : قال ابن الأعرابى :

وقع بين بنى حنيفة بالكوفة، وبين بنى تميم شر، حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بيض : ألا تأتى هؤلاء القوم، فتدفعهم عن قومك، فإنك ذو بيان وعارضة ؟ فقال :

٥ ألا لا تلمنى يا بن ماهان إننى * أخاف على فخّارتى[2] أن تحطّما
ولو أننى أبتاع فى السوق مثلها * وجدّك[3] ما باليت أن أتقدّما

مفاضلة بين ناسك وشارب للنبيذ

قال : وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم، واستودع مثلها رجلا نبيذيا، فأما الناسك فبنى بها داره، وتزوّج النساء، وأنفقها وجحده . وأما النبيذىّ فأدّى إليه الأمانة فى ماله، فقال

١٠ حمزة بن بيض فيهما :

ألا لا يغرّنك ذو سجدة * يظل بها دائبا يخدع
كأن بجبهته جلبة[4] * يسبح طورا ويسترجع
وما للتقى لزمت وجهه * ولكن ليغترّ مستودِع
فلا تنفرنّ من اهل النبيذ * وإن قيل يشرب لا يقلع
١٥ فعندك علم بما قد خبر * تُ إن كان علم بهم ينفع
ثلاثون ألفا حواها السجود * فليست إلى أهلها ترجع
بنى الدار من غير ما ماله * وأصبح فى بيته أربع
مهائر[5] من غير مال حواه * يقاتون أرزاقهم جوّع

---

(١) الشايمينى : كلمة غير واضحة فى الأصول . ولم نجد الاسم فى المراجع . (٢) يريد : رأسى .
٢٠ (٣) ف ، ب : وعيشك . (٤) الجلبة : قشرة رقيقة تعلو الجرح عند البرء ، شبه بها أثر السجود .
(٥) مهائر : أى حرائر يمطين المهر عند التزوّج بهن . ولسن إماء مملوكات .

وأخبرنى بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصَّحّاف ، قال : حدّثنا قَعْنب بن المحرز ، قال : حدّثنا أبو عبيدة والأصمعى ، وكَيسان بن المعرف ، فذكروا نحو هذا الخبر ، إلا أنه حكى أن حمزة بن بِيض هو الذى استودع الرجلين المال ، وقال :

وأدى أخو الكأس ما عنده * وما كنت فى ردها أطمع

١٨ / ١٥

نقيضة بينه وبين أبى الجون السحيمى

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدّثنى أحمد بن محمد ، عن ابن داجة ، قال :

اختصم أبو الجَون السُّحَيمى وحمزة بن بِيض ، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابى ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة وقال :

غَمَّضتُ فى حاجة كانت تؤرقنى * لولا الذى قلتَ فيها قلَّ تغميضى

فقال : وما الذى قلت لك ؟ قال :

حلفت بالله لى أن سوف تنصفنى * فساغ فى الحلق ريقى بعد تجريضى

قال : وأنا أحلف لأنصفنك . قال :

سل هؤلاءِ إلى ماذا شهادتهم * أم كيف أنت وأصحابَ المعاريضِ

قال : أُوجعهم ضربا . فقال :

وسل سُحيما إذا وافاك أجمعُهم * هل كان بالشرّ حوض قبل تحويضى

قال : فقضى له . فأنشأ السحيمى يقول :

أنت ابن بِيض لعمرى لستُ أُنكره * حقا يقينا ، ولكن من أبو بيِض؟

إن كنت أنبضت لى قوسا لترمينى * فقد رميتك رميا غير تنبيض

أو كنت خَضْخضت لى وطْبا لتسقينى * فقد سقيتك محضا غير ممخوض

قال : فوجَم حمزة وقُطِع به . فقيل له : ويلَك ! مالك لا تجيبه ؟ قال : وبِم أجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطلب بن هاشم أبو بِيض ما نفعنى ذلك ، بعد قوله : ولكن من أبو بيض؟

وأخبرني بهذا الخبر ابن دُريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله. وقال فيه: إن المخاصم له أبو الحويرث السُّحَيمي.

يمدح يزيد بن المهلب في السجن فيكافئه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرنا السَّكْن بن سعيد، عن محمد ابن عباد، قال:

٥ دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلب السجن، فأنشده:

أُغلِق دون السماح والجود والنـ ـجدة باب حديدُه أَشِبُ

ابنُ ثلاث وأربعين مضت * لا ضَرِع واهن ولا نَكِب[1]

لا بَطِر إن تتابعت نِعَم * وصابر في البلاء محتسِب

بَرَّزْتَ سبقَ الجواد في مَهَل * وقصَّرتْ دون سعيك العرب

١٠ فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا منزل لك[2]، ثم رفع مقعدا تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهبا غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه، فقال له سرا: خذه ولا تُخْدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني

١٥ دينارا، فأردت أن أردّه عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة، فإذا فَص ياقوت أحمر، كأنه سِقط زَنْد، فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق، لَيُعْلَمَنّ أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفا، فلما قبضت المال وصار الفَص في يده، قال لي:

١٩/١٥

(١) الضرع: بفتح الراء وكسرها: الضعيف الجبان. وفي ف: لا سرف. وفي مب: لاورع.

٢٠ والنكب، بكسر الكاف: من يعدل عن الشيء كسلا أو جبنا. (٢) ف، مب: ولا منزل لك.

والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف فى قلبى جمرة، فلما رأى تغير وجهى قال : إنى رجل تاجر، ولست أشك أنى قد غممتك. قلت : إى والله وقتلتنى . فأخرج إلىّ مائة دينار، فقال : أنفق هذه فى طريقك، لتتوفر عليك تلك .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد بن إسحاق : قرأت على أبى : ٥

دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلَّب، وهو فى حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه :

أصبح فى قيدك السماحة والـ * ـحاملُ للمعضلات والحَسَبُ
لا بطـرٌ إن تتـابعت نعـمٌ * وصابرٌ فى البـلاء محتسِبُ

فقال له : ويحك أتمدحنى على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لئن كنتَ هكذا لطالما أثنَيْت على الثناء، فأحسنت الثواب والرِّفْد، فهل بأس أن نُسلفك الآن . قال : أما إذ جعلته سَلَفا فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك . وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال : قاتله الله ! يعطى فى الباطل، ويمنع الحق، يعطى الشعراء، ويمنع الأمراء . ١٠

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدّثنا عبد الأول بن مَزيد، قال : حدّثنا العُمَرى عن الهيثم بن عدىّ، قال : أخبرنى مَخْلد بن حمزة بن بِيض قال : ١٥

يمدح سليمان بن عبد الملك فيكافئه

قدم أبى على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله إليه ، فأنشـده :

ساس الخـلافةَ والداك كلاهمـا * من بين سَخْطة ساخط أو طائـع
أبواك ثم أخـوك أصبح ثالثـا * وعلى جبينـك نُور مُلْك الرابـع ٢٠

سَرَّيتَ خوف بنى المهلّب بعدما * نظروا إليك بسَمّ موتٍ ناقِع
ليس الذى ولاك ربُّك منهمُ * عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفا .

أخبرنى عمى قال : حدّثنا عبد الله بن عمرو قال : حدّثنى جعفر بن محمد العاصمىّ قال : حدّثنى عُيينة بن المنهال قال : حدّثنى الهيثم بن عدىّ قال : حدّثنى أبو يعقوبَ الثقفىّ قال :

يغار من الكميت لمدحه مخلد بن يزيد ومكافأته إياه

قال لى حمزة بن بيض : لما وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أباه على خراسان ، وكان واليها وله ثمانى عشرة سنة ، وقد مدحه بقصيدته التى أوّلها :

* هلا سألتَ معالم الأطلالِ *

وهى التى يقول فيها :

يمشين مشى قطا البطاح تأوُّدا * قُبَّ البطون رواجح الأكفالِ

وقصيدته التى يقول فيها :

* هلا سألت منازلا بالأبرقِ *

أعطاه مِئة ألف درهم ، سوى العُروض والحُمْلان ، فقدِم الكوفة فى هيئة لم يُرَ مثلها، فقلت فى نفسى : واللهِ لأنا أولَى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد، وإنى لحليفه وناصره فى العصبية على الكميت ، وعلى مُضَر جميعا . فهيأت لمخلد مديحا على روىّ قصيدَتَى الكميت وقافيتيهما ، ثم شخصت إليه ، فلما كان قبل خروجى إليه بيوم ، أتتنى جماعة من ربيعة فى خمس ديات عليهم لمضَر فى البدو، فقالوا : إنك تأتى مَخْلدا وهو فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تُؤْثر على نفسك، ولكن

إذا فَرَغ من أمرك، فأعلمه تَمشانا إليك، ومسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا . فلما قدمت على مخلد خُراسان أنزلنى، وفَرَش لى، وأخْدَمنى، وحمانى، وكسانى ، وخلطنى بنفسه ، فكنت أسمُر معه ، فقال لى ليلة : أعليك دين يابن بيض ؟ قلت : دعنى من مسئلتك إياى عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها ، و إلا لم أدخل الكوفة، ولم أعيَّر بتقصيرك بى عنه . فضحك ، ثم قال لى : بل أزيدك على ما أعطيت الكميت . فأمر لى بمئة ألف درهم، كما أعطى الكميت ، وزادنى عليه، وصنع بى فى سائر الألطاف كما صنع به ، فلما فرغت من حاجتى أتيته يوما ومعى تذكرة بحاجة القوم فى الديات ، فلما جلس أنشدته :

أتيناك فى حاجة فاقضها * وقُلْ مرحبًا يجب المَرحَبُ
ولا تَكِلَنَّا إلى معشر * متى يعِدوا عِدة يكذِبوا
فإنك فى الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والمغرب
وفى أدب منهم ما نشأْتَ * ونِعْم لعمرُك ما أدَّبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سنيـ * ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب
فهمُّك فيها جِسام الأمورِ * وهمُّ لِداتك أن يلعبوا

فقال: مرحبا بك وبحاجتك، فما هى ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت : حَمالات فى ديات . فتبسم ، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم. فقلت: أوَ غير ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قلت : أُدَلّ على قبر المهلّب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسم ، ثم قال : زده ياغلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت : بل أدَل على قبر المهلب ، فقال : زده ياغلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدنى عشرة آلاف،

حتى بلغت سبعين[1] ألفا . فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بى، فقلت : وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاءك . فقال مَخلد : أما والله لو أقمت على كلامك ، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

مجلس المأمون والنضر بن شميل

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى النضر بن شميل، قال :

دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْو وعلىّ أطمار مترعبلة[2] ؛ فقال لى : يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين فى مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حَرّ مرو لا يُدفَع إلا بمثل هذه الأخلاق . فقال : لا . ولكنك رجل متقشِّف . فتجارَيْنا الحديث ، فقال المأمون : حدّثنى هُشَيم بن بَشير[3]، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز » . هكذا قال : سَداد بالفتح . فقلت : صدق ، يا أمير المؤمنين . حدّثنى عوف الأعرابىّ عن الحسن، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان فيه سِداد من عَوَز » ، وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا ، وقال : السَّداد لحن يا نضْر عندك ؟ قلت : نعم هاهنا يا أمير المؤمنين ؛ وإنما هُشَيم لَحّن، وكان لحانة، فقال : ماالفرق بينهما؟ قلت : السَّداد : القصد فى الدِّين والطريقة والسبيل . والسِّداد : البُلْغة، وكل ما سددت به شيئا فهو سِداد . وقد قال العَرْجى :

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا * ليوم كريهة وسِداد ثغرِ

٢١/١٥

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : تسعين . (٢) ممزقة .
(٣) ف ، مب : هشيم بن يسار . وانظره فى خلاصة الخزرجى .

قال : فأطرق المأمون مليّا ، ثم قال : قبّح الله من لا أدب له ! ثم قال : أنشدنى يا نضر أخلب بيت للعرب . قال : قلت : قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين :

تقول لى والعيون هاجعة : * أقم علينا يوما ، فلم أقم
قالت : فأىّ الوجوه؟ قلت لها : * لأىّ وجه إلا إلى الحكم؟
متى يقل حاجبا سرادقه : * هذا ابن بيض بالباب ، يبتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلا (١) * فهات إذ حلّ أعطنى سلمى

فقال المأمون : لله درك ، كأنما شق لك عن قلبى! فأنشدنى أنصف بيت للعرب . قال : قلت : قول أبى عروبة المدنى (٢) :

إنى وإن كان ابن عمى عاتبا (٣) * لمزاحم من خلفه وورائه
ومفيده نصرى وإن كنت امرأ (٤) * متزحزحا عن أرضه وسمائه
وأكون والى سره وأصونه * حتى يحين علىّ وقت أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه * قرنت صحيحتنا إلى جربائه
وإذا دعا باسمى ليركب مركبا * صعبا قعدت له على سيسائه
وإذا أتى من وجهه بطريفة * لم أطلع ممّا (٥) وراء خبائه
وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل : * يا ليت أن علىّ حسن ردائه

فقال : أحسنت يا نضر ، أنشدنى الآن أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عبدل الأسدىّ :

---

(١) أسلمت : أسلفت . يريد أنه قدم إليه مديحه ولم يأخذ جائزته . ومقتبلا : مستأنفا . وسلمى : سلفى ، يريد جائزتى . وفى الأصول : * هات أدخان ذا وأعطنى سلمى *

(٢) كذا فى ف ومعجم الأدباء لياقوت «ترجمة النضر بن شميل» . وفى مب : ابن أبى عروبة . وفى هامشها : المزنى . وفى طبقات النحو يين للزبيدىّ ص ٥٧ : «عروبة المدنى» . ونسبت هذه الأبيات فى الحماسة إلى الهذيل بن مشجعة البولانى «شرح التبريزى» طبعة الأميرية ٤ : ١٠٤ . (٣) ف ، مب : غائبا . (٤) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : وإن كان . (٥) ف والأصول : فيما .

إنى امرؤ لم أزل، وذاك من اللـ * ـه قديما ، أعلّم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بىَ الدا * ر وإن كنت ما زحا طربا
لا أجتوى خُلّة الصديق ولا * أُتبع نفسى شيئا إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الـرِّ * زق بنفسى وأُجْمِل الطلبا
٥ وأحلب الـثرة الصفى ولا * أَجهَد أخلاف غيرها حلَبا
إنى رأيت الفتى الكريم إذا * رغّبتـه فى صنيعـة رغِبا
والعبد لا يطلب العَـلاء ولا * يعطيك شيئا إلا إذا رهِبا
مثلُ الحمار المُوَقَّع السَّوْءِ لا * يُحسن مَشْيا إلا إذا ضُرِبا(١)
قد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما * شـد بِعيس رحلا ولا قتَبا(٢)
١٠ ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطية والر * حل ومن لا يزال مغتربا
ولم أجد عُدّة الخلائق إلّا * الدِّين لما اعتبرتُ والحَسَبا(٣)

فقال: أحسنت يا نضر! وكتب لى إلى الحسن(٤) بن سهل بخمسين ألفا، وأمر خادما بإيصال رقعة، وتنجيز ما أمر به لى، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، وقال لى : يا نضْر، أنت الملحِّن لأمير المؤمنين؟ قلت : لا، بل لهشيم . قال : ١٥ فذاك إذنْ، وأطلق لى الحسين ألفَ درهم، وأمر لى بثلاثين ألفا .

٢٢ / ١٥

عبد الملك بن بشر يعبث به

أخبرنى الحسين بن يحيى، قال : حدّثنا حماد عن أبيه، قال : بلغنى أن حمزة بن بيض الحنفى كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان، وكان

---

(١) الموقع : الذى فى ظهره سحج، وقيل فى أطراف عظامه، من الركوب؛ وربما انحص عنه الشعر، ونبت أبيض . وفى اللسان : الموقع الظهر . وفى الأصول : لا يحمل شيئا .

٢٠ (٢) القتب : الرحل . (٣) فى الأصول عدا ف، مب : لما اختبرت .

(٤) فى الأصول عدا ف، مب : الفضل .

عبد الملك يعبث به عبثا شديدا، فوجه إليه ليلة برسول، وقال: خذه على أى حال وجدته عليها، ولا تدعه يغيرها، وحلّفه على ذلك، وغلّظ الأيمان عليه. فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال: أجب الأمير. فقال: وَيْحَك، إنى أكلت طعاما كثيرا، وشربت نبيذا حُلْوا، وقد أخذنى بطنى. قال: والله لا تفارقنى أو أمضىَ بك إليه، ولو سلَحت فى ثيابك. فجَهَد فى الخلاص، فلم يقدر عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعدا فى طارمة[1] له، وجارية جميلة كان يتحظاها جالسة بين يديه، تسجُر النّد فى طارمته، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه.

قال: فعرضت لى ريح، فقلت: أسرحها وأستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البَخور، فأطلقتها، فغلبت والله ريح النّد وغمرته، فقال: ما هذا يا حمزة! قلت: علىّ عهد الله وميثاقه، وعلىّ المشى والهَدْى إن كنت فعلتها. وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة. فغضب واحتفظ، وخجلت الجارية، فما قدرَت على الكلام، ثم جاءتنى أخرى فسرّحتها، وسطع والله ريحها. فقال: ما هذا ويلك! أنت والله الآفة. فقلت: امرأتى فلانة طالق ثلاثا إن كنت فعلتها. قال: وهذه اليمين لازمة لى إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال: ويلكِ ما قصتكِ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين حِسّا، فزاد خجلها وأطرقت. وطمعت فيها، فسرّحت الثالثة، وسطع من ريحها ما لم يكن فى الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال: خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك، وامض فقد نغصت علىّ ليلتى.

فأخذت والله بيدها، وخرجت، فلقينى خادم له، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت: أمضى بهذه. قال: لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضا

(١) الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسى معرب، عن تاج العروس.

لا تنتفع به بعدها أبدا ، وهذه مِئة دينار ، نخذها ودع الجارية ، فإنه يتحظاها ، وسيندم على هبته إياها لك . قلت : والله لا نقصتك من خمس مِئة دينار . فلم يزل يزايدنى حتى بلغ مِئتى دينار ، ولم تطب نفسى أن أضيعها ، فقلت : هاتها ، فأعطانيها ، وأخذها الخادم .

فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك ، فلما قربت من داره لقينى الخادم ، فقال : هل لك فى مِئة دينار وتقول ما لا يضرك ، ولعله أن ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ الفَسَوات ، ونسبتها إلى نفسك ، وتنفّح[1] عن الجارية ما قرفتها به . قلت : هاتها . فدفعها إلىّ ، ودخلت على عبد الملك ، فلما وقفت بين يديه قلت : ألِى الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ، وتضحك منه ؟ قال : لك الأمان . قلت : أرأيت ليلة حضورى وما جرى ؟ قال : نعم . فقلت : فعلىّ وعلىّ إن كان فسا تلك الفسوات غيرى . فضحك حتى سقط على قفاه . ثم قال : ويلَك ! فلم لم تخبرنى ؟ قلت : أردت بذلك خِصالا ، منها أن قمت فقضيت حاجتى ، وقد كان رسولك منعنى منها ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أن كافأتك على أذاك لى بمثله . فقال : فأين الجارية ؟ قلت : ما برحتُ من دارك ولا خرجتُ حتى سلمتها إلى فلان الخادم ، وأخذت مائتى دينار . فسُرّ بذلك ، وأمر لى بمئتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فِعلك بى ، وتركك أخذ الجارية .

سباق غريب

قال حمزة بن بيض : ودخلت إليه يوما وكان له غلام لم ير الناس أنتن إبطا منه ، فقال لى : يا حمزة ، سابق غلامى حتى يفوح صُنانكما ، فأيكما كان صُنانه أنتن ، فله مِئة دينار . فطمعت فى المائة ، ويئست منها لِما أعلمه من نَتْن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ، فسبقنى ، فسلحت فى يدى ، ثم لطخت[2] إبطى

(١) تدفع . وفى ف ، مب : تنضح ، وهى بمعنى تدفع أيضا . (٢) ف ، مب : طليت .

بالسِّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكما يخبره بالقصة ، فلما دنا الغلام منه فشمه ، وثب ، وقال : هذا والله لا يساجله[1] شيء . فصحت به : لا تعجل بالحكم ، مكانك . ثم دنوت منه ، فألقمت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط دماغه ، وأنا ممسك لرأسه تحت يدى . فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُف أشبه منه بالآباط ! فضحك عبد الملك ، ثم قال : أحكمت له ؟ قال : نعم . فأخذت الدنانير .

رؤيا شعرية

أخبرنى عمى قال : حدثنى جعفر العاصمى قال : حدثنا عيينة بن المنهال ، عن الهيثم بن عدى ، عن أبى يعقوبَ الثقفى ، قال : قال حمزة بن بيض :

دخلت يوما على مَخْلَد بن يزيد ، فقلت :

إنّ المشارق والمغارب كلها[2] * تُجْبَى وأنت أميرها وإمامُها

فضحك ثم قال : مه ؟ فقلت :

أغفيتُ قبل الصبح نومَ مسهَّدٍ * فى ساعة ما كنت قبلُ أنامها

قال : ثم ماذا كان ؟ قلت :

فرأيت أنك جُدت لى بوصيفة * موسومة حَسَنٍ علىَّ قيامُها

قال : قد فعلت . فقلت :

وببَدرة حُملت إلىّ وبغلة * سَفْواء[3] ناجية يصلُّ لجامُها

قال : قد حقق الله رؤياك . ثم أمر لى بذلك كله ، وما عَلِم الله أنى رأيت من ذلك شيئا .

---

(١) ف ، مب : لا يشا كله . (٢) رواية الشطر الأول فى الأصول غير ف :

* ليت المشارق والمعارب أصبحت *

(٣) السفواء : قليلة شعر الناصية ، والسريعة . وفى مب : شقراء . و يصل : يصوت لما فيه من الحلية .

قال مؤلف هذا الكتاب : وقد رُوِى هذا الخبر بعينه لابن عبدلٍ الأسدىّ، وذكرته فى أخباره .

شعره فى ابن عمه الذى حج معه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد، قال : حدّثنا أبو حاتم، قال : حدّثنا عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، قال :

حج حمزة بن بيض الحنفى، فقال له ابن عم له : أُحجِج بى معك . فأخرجه معه، فحوقل[1] عليه بعد نشاطه، فقال ابن بيض فيه :

وذى سِنةٍ لم يدر ما السير قبلها * ولم يعتسف خَرْقا من الأرض مَجْهلا[2]

ولم يدر ما حَلُّ الحبال وعقدُها * إذا البردُ لم يترك لكفيه مَعْملا

ولم يقرِ مأجورا ولا حج حِجة * فيضربَ سهما أو يصاحبَ مِكْتَلا[3]

غدونا به كالبغل ينفض رأسه * نشاطا بناه الخير حتى تفتّلا[4]

ترى المَحْمِل المحسور ناءَ عُرامه * وبابا إذا أمسى من الشر مُقْفَلا[5]

وإن قلت ليلا : أين أنت لحاجةٍ * أجاب بأن لبيك عشرا وأقبلا

يسوق مطىّ القوم طورا وتارة * يقود وإن شئنا حدا ثم جلجلا[6]

فأجّلته خمسا وقلت له : انتظر * رُوَيدا ؛ وأجلنا المطىّ ليذبُلا

---

(١) حوقل : مشى فأعيا وضعف .

(٢) اعتسف الطريق : ركبه على غير هداية ولا دراية . والخرق : الأرض الواسعة يشتد فيها هبوب الرياح . والمجهل : المفازة لا أعلام فيها، أولا يهتدى فيها .

(٣) المأجور : ما يستأجر فى السفر من دابة أو خادم . والمكتل : الزنبيل من خوص . وفى ف، مب : ولم يغز مأجورا ... فيصحب سهما .

(٤) تفتل : اشتد .

(٥) المحمل : كذا فى ف، مب . ولعله يريد دابة المحمل . أو لعل اللفظة محرفة عن : الجمل . والمحسور : المتعب المكدود . وناء : بعد، وهو مقلوب نأى، أو لغة فيه . وعرامه : قوته ونشاطه . وفى غير ف، مب : « وبأبى إذا أمسى من الشر مقبلا » .

(٦) سائق المطى : من يدفعها من خلفها . وقائدها : من يسحبها من قدامها .

فلمـا صدرنا عن زُبالة وارتمت * بنـا العيس منها مَنْقـلا ثم مَنْقلا (١)
ترامت به المَوماة حـتى كأنمـا * يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا (٢)
وحتّى نَبا عن مِزود القوم ضِرْسُه * وعادى من الجهد الثريدَ المرعبلا (٣)
وحتى لَوَ ان الليثَ ليثَ خَفيَّـة * يحاوله عن نفسـه ما تَحلحلا
وحتى لَوَ ان الله أعطاه سؤله * وقيل له : ماتشتهى ؟ قال : محملا
فقلت له لمـا رأيتُ الذى به * وقد خفت أن ينضَى لدينا ويهزِلا
أطعنى وكُلِّ شـيئا، فقال معذِّرا * من الجهد: أطعِمنى ترابا وجندلا
فللموت خير منك جارا وصاحبا * فدعنِى فلا لبيـك ثم تَجَـدلا (٤)
وقال : أقلنى عثرتى وارعَ حرمتى * وقـد فــر منى مرتين ليقفِـلا
فقلت له : لا ــ والذى أنا عبده ــ * أقيـلُك حتى تمسح الركن أوّلا

يعاتب مخلد بن زيد لتأخيره مكافأته فيرضيه

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنى عبد الله بن عمرو بن سعد قال : حدثنى إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى، قال : حدثنى أبو عمر العُمرى، قال : حدثنى عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال :

قدم حمـزة بن بيض على مخـلد بن يزيد بن المهلب ، فـوعده أن يصنع به خيرا ، ثم شُغل عنه ، فاختلف إليه مرارا ، فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عِدته ، فقال ابن بِيض :

أمخلّدَ إن الله ما شاء يصـنع * يجـود فيعطى من يشاء ويمنعُ
وإنّى قـد أملت منـك سحابة * فخالت سرابا فوق بيـداء تلمع

(١) زبالة : موضع من ضواحى المدينة (التاج) . والمنقل : الطريق فى الجبل .
(٢) أى صار دمعه غزيرا كمن يسف الحنظل مع الخزيرة أو الحريرة ، وهى طعام من دقيق ولبن يحلى بالعسل أو التمر . يريد أنه ضجر و بكى من طول السفر ووعورته . (٣) المرعبل : المقطع قطعا كبيرة .
(٤) تجدلا : سقط على الجدالة وهى الأرض ، من الإعياء .

فأجمعت صُرْما ثم قلت : لعله * يثوب إلى أمر جميل فيرجع

فأيأسنى من خير مخلدَ أنه * على كل حال ليس لى فيه مطمع

يجود لأقوام يودون أنه * من البغض والشَّنْآن أمسى يُقَطَّعُ

ويَبْخَل بالمعروف عمن يوَدُّه * فوالله ما أدرى به كيف أصنع؟

٥ أأصرمه فالصُّرم شرٌّ مغبَّةً * ونفسى إليه بالوصال تَطَلَّع

وشتانَ بينى فى الوصال وبينَه * على كل حال أستقيمُ ويَظْلَع[1]

وقد كان دهرا واصلا لى مودةً * ويمنعنى من صرف دهرى أضرع

وأعقبنى صُرْما على غير إحنة * وبخلا وقِدْما كان لى يتبرع

وغيَّره ما غيّر الناسَ قبلَه * فنفسى بما يأتى به ليس تقنع

١٠ ثم كتبها فى قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب؟ قال : لا أعرفه . فأدخل إليه الرجل، فقال : من أعطاك هذا الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدرى، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بِيض ، فأمر به فضُرب عشرين سوطا على رأسه ، وأمر له بخمس مئة درهم ، وكساه ، وقال : إنما ضربناك

١٥ أدبا لك ، لأنك حملت كتابا لا تدرى ما فيه ، لمن لا تعرف ، فإياك أن تعود لمثلها . قال الرجل : لا والله ، أصلحك الله ، لا أحمل كتابا لمن أعرف، ولا لمن لا أعرف . قال له مخلد : احذر ، فليس كل أحد يصنع بك صنيعى ، وبعث إلى ابن بِيض، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال : لا . فحدثه مخلد بقصته، فقال ابن بِيض : والله ، أصلحك الله ، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين

(٢٥/١٥)

٢٠ (١) رواية البيت فى الأصول عدا ف .

بوده * ومعروفه يعدو البريد المفرع

سَوْطا مع الخمس مائة أبدا . فضحك مَخْلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا . قال : أَجَلْ والله ، ولكن من لى بمثلك يُعْتِبُنى إذا استعتبته ، ويفعل بى مثل فعلك ؟ ثم قال :

وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره * كفانى وأعطانى الذى جئت أسألُ

ويُعتِبنى يوما إذا كنت عاتبا * وإن قلت ، زدنى : قال: حقًّا سأفعلُ

تراه إذا ما جئته تطلب الندى * كأنك تعطيه الذى جئتَ تسألُ

فلله أبناءُ المهلّب فتيةً * إذا لَقِحَتْ حرب عَوانٌ تأكّل

هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ * بسُمْر القنا والمشرفيةُ من عل (١)

ترى الموت تحت الخافقات أمامَهُمْ * إذا وردوا عَلُّوا الرماح وأَنْهلوا

يجودون حتى يحسِب الناس أنهم * لجودهم نذر عليهم مُحَلَّل (٢)

غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم * سِمام لأقوام ذُعافٌ مُثَمَّل (٣)

وفَى لىَ أبناءُ المهلّب إنهم * إذا سئلوا المعروف لم يَتَسعَّلوا (٤)

فذلك ميراث المهلّب إنه * كريم نَماه للمكارم أوّل

جرى وجرت آباؤه فتحرّزوا * عن الذمّ فى عَيطاء لا تُتَوَقَّل (٥)

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات ، أمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة أثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ، ونضعف لك . فقال :

(١) كانع : قريب ، متجمع للوثبة ، مترقب . (٢) ف ، مب : محالل .

(٣) ذعاف : قاتل من ساعته . وثمل : سم نقع أياما حتى اختمر . وفى الأصول : صحاة وثمل .

(٤) ف : لم يتنسلوا . مب : يتبسلوا : أى يتجهموا .

(٥) العيطاء : الهضبة المرتفعة . وتتوقل : يصعد فيها .

أَمَخْلَدُ لم تترك لنفسى بُغْيَةً * وزدت على ما كنت أرجو وآمُلُ
فكنتَ كما قد قال مَعْنٌ فإنه * بصير بما قد قال إذ يتمثَّلُ
وَجَدْتُ كثيرَ المالِ إذ ضَنَّ مُعْدِماً * يُذَمُّ ويَلْحاه الصديقُ المؤمَّلُ
وإن أحقَّ الناس بالجودِ مَن رأى * أباه جَواداً للمكارم يَجْزِلُ
تَرُبُّ الذى قد كان قدَّم والد * أغرُّ إذا ما جئته يتهلَّل[(١)]
وَجَدْتَ يزيدًا والمهلَّبَ برَّزا * فقلت : فإنى مثلَ ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية * يُقَصِّر عنها السابق المتمهِّل
فأنت غياث لليتامى وعصمة * إليك جمال الطالبي الخير تُرحل
أصاب الذى رجَّى نداك مُخِيلةً * تصُبّ عزاليها عليه وتَهطِل[(٢)]
ولم تُلْفَ إذ رَجَّوا نوالَك باخلا * تضَن على المعروف والمالُ يُعقَلُ[(٣)]
وموت الفتى خير له من حياته * إذا كان ذا مال يَضَنُّ ويبخل

فقال له مخلد : احتكم . فأبى ، فأعطاه عشرة آلاف[(٤)] دينار وجارية وغلاما وبِرْذَونا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىُّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنى ، قال :

الصداقة بينه وبين حماد بن الزبرقان ٢٦/١٥

كان حمزة بن بِيض شاعرا ظريفا ، فشاتم حمادَ بن الزبرقان ، وكان من ظُرفاء أهل الكوفة ، وكلاهما صاحب شراب ، وكان حماد يُتَّهم بالزندقة ، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا ، فدخلا يوما على بعض وُلاة الكوفة ، فقال لابن بِيض :

(١) مب : « إذا مازرته » . والبيت ساقط كله من ف .
(٢) العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من القربة .
(٣) كذا فى الأصول . وفى ف : يفصل . وفى مب :
* يظل على المعروف والمال يفضل *
(٤) فى الأصول : ألفى دينار .

أراك قد صالحت حمادا ، فقال ابن بيض : نعم ، أصلحك الله ، على ألا آمره بالصلاة، ولا ينهانى عنها .

شعره فى التشوق لأهله لطول مقامه بالبصرة

أخبرنى محمد بن زكريا الصَّحَّاف قال : حدّثنا قَعْنَب بن المحرِز الباهلىّ قال : حدّثنى الهيثم بن عدىّ قال :

٥ قدم حمزة بن بِيض البصرة زائرا لبلال بن أبى بُردة بن أبى موسى، و بينهما مودة منذ الصِّبا، فطال مقامه عنده، فاشتاق إلى أهله وولده، فكتب إلى بلال :

كَلَّتْ رحالى وأعوانى وأحراسى * إلى الأمير و إدلاجى و إمْلاسى (١)

إلى امرئ مُشْبَع مجدا ومكْرُمة * عادية (٢) فهو حالٍ منهما كاسى

فلستُ منك ولا مما مَنَنْتَ به * من فضل ودك كالمرمىّ فى راسى

١٠ إنى و إياك والإخوانَ كلَّهم * فى العسر واليسر لو قيسوا بمقياس

وذاك مما ينوبُ الدهرُ من حَدَث * كالورد فى المَثَل المضروب والآس (٣)

يبيد هذا فيبلَى بعد جدّته * غضًّا وآخره رهن بإيناس (٤)

وأنت لى دائم باقٍ بشاشته * يهتز فى عود لا عَشٍّ ولا عاسى (٥)

فعجل له بلال صلته، وسرّحه إلى الكوفة .

يستكسى سليمان بن عبد الملك فيكسوه

١٥ أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعىّ قال : حدّثنا أبو المُعارِك الضَّبىّ قال : حدّثنى أبو مِسكين قال :

دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

رأيتك فى المنام شننت خزا * علىّ بَنَفْسَجًا وقضيت دينى

فصدق يا فدتك النفس رؤيا * رأتها فى المنام لديك عَيْنى

٢٠

(١) الإملاس : السوق الشديد . (٢) عادية : قديمة متأصلة .

(٣) ف : كالحبل، وهى محرفة عن الجبل، بمعنى الورد يريد أنه كالورد سريع الذبول . وكالآس فى طول خضرته ونضرته، فإن ذبل طرف منه، بقى آخره ناضرا، صالحا للشم والإيناس .

(٤) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : وغابره رهن بإيناس .

(٥) العش من الشجر : اللئيم المنبت، ومن النخل القليل السعف . والعاسى : اليابس .

فقال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكسوة ، واشْنُن عليه كل ثوب خَزٍّ بَنَفْسَجِيٍّ فيها : نخرج كأنه مِشْجَب[١] . ثم قال له : كم دَينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها .

* * *

٥ صـــوت

من سره ضرب يُرعبِلُ بعضه * بعضا كمعمعة الأَباء المُحْرَق[٢]
فليأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها * بين المَذاد وبين جِزْع الخَنْدَق

ويروى : يُمَعْمِع بعضه بعضا . والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها . والمأسدة : الموضع الذى تجتمع فيه الأُسْد . وتُسَنّ : تحدّ . يقال : سيف مسنون.
١٠ والمَذاد : موضع بالمدينة . والخندق : يعنى به الخندق الذى احتفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة . والشعر لكعب بن مالك الأنصارىّ . والغناء لابن محرز : خفيف رَمَل ، بإطلاق الوَتَر فى مَجرى الوُسطى ، عن إسحاق وعمرو .

(١) المشجب : ما تعلق عليه الثياب من أعواد متشابكة .
١٥ (٢) يرعبل : يقع بعضه على بعض . والأباء : القصب . واحدته : أباءة .

أخبار كعب بن مالك الأنصارى ونسبه

نسبه
٢٧/١٥

هو كعب بن مالك بن أَبِى كعب . واسم أبى كعب : عمرو بن القَيْن بن كعب ابن سواد . وقيل : القَيْن بن سواد (هكذا قال ابن الكلبىّ) بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة ابن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد ابن الغوث . ٥

أسرة شاعرة محدثة

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين ، وهو بَدْرىّ عَقَبِىّ . وأبوه مالك بن أبى كعب بن القَين شاعر ، وله فى حروب الأوس والخزرج ، التى كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر . وعمه قيس بن أبى كعب شهد بدرا ، وهو شاعر أيضا ، وهو الذى حالف جُهينة على الأوس . وخبره فى ذلك يذكر فى موضعه ، بعد أخبار كعب وأبيه . ١٠

ولكعب بن مالك أصل عريق[1] ، وفرع طويل فى الشعر : ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر[2] ، والزُّبير بن خارجة بن عبد الله ابن كعب شاعر ، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب أبو الخطّاب شاعر ، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر ، وكلهم مجيد مُقَدَّم . ١٥

وعُمِّر كعب بن مالك ، وروَى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا ، وكل بنى كعب بن مالك قد روَى عنه الحديث .

(١) فى الأصول : أصيل .

(٢) « وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر » : هذه العبارة ساقطة من ف ، مب . ٢٠

فمما رواه ابن ابنه بَشير[1] عن أبيه عنه : حدّثنى أحمد بن الجَعْد قال : حدّثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال : حدّثنا عتّاب[2] بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهرىّ قال : كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه : أن كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده، لكأنما تنضحونهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشعر » . ٥

ومما رواه عنه ابنه عبد الله : أخبرنى أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة قال : حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال : حدثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أبى ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى المغرب ، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النَّبل حين يرمون . ١٠

ومما رواه ابنه محمد: أخبرنى أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثنا محمد بن سابق قال : حدثنا إبراهيم بن طِهمان ، عن أبى الزُّبير ، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدّثه : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه وأوس ابن الحَدَثان[3] أيام التشريق ، فنادى :

« إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأيام مِنًى أيام أكل وشرب » . ١٥

(١) ف : بشر . ونظنه محرفا ، لاتفاق أكثر الأصول على « بشير » .

(٢) كذا فى ف، مب . وفى بعض الأصول : « غياث » .

(٣) الحدثان ، بفتح الحاء والدال ، كذا ضبطه فى التاج وقال : أوس بن الحدثان بن عوف ابن ربيعة النصرى ، صحابى مشهور من هوازن، نادى أيام منى : « إنها أيام أكل وشرب » . روى عنه ابنه مالك . والحدثان : اسم منقول من حدثان الدهر، أى صروفه ونوائبه . اهـ . ٢٠

هواه مع عثمان ابن عفان

ويقال : كان كعب بن مالك عثمانيا، وهو أحد من قَعَد عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فلم يشهد معه حروبه، وخاطبه فى أمر عثمان وقَتَلَته خطابا نذكره بعد هذا فى أخباره، ثم اعتزله . وله مَراثٍ فى عثمان بن عفان رحمه الله، وتحريض للأنصار على نُصْرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك، منها قوله :

فلو حُلْتُمُ من دونه لم يزل لكم * يَدَ الدهرِ عِزٌّ لا يبوخُ ولا يَسْرى

ولم تَقْعدوا والدار كابٍ دُخانُها * يُحَـرَّق فيها بالسعير وبالجمر

فلم أرَ يوما كان أكثر ضَيْعةً * وأقربَ منه للغَواية والنُّكْر

يعاون عثمان ويرثيه

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال: حدثنا أبو غسانَ دَماذ، عن أبى عبيدة قال:

كان كعب بن مالك الأنصارىّ أحد من عاون عثمانَ على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يُغْمدوا سيوفهم انصرف، ولم يرَ أن الأمر يخلُص إليه، ولا يَجْرى القوم إلى قتله؛ فلما قُتِل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنشدهم :

مَنْ مُبلِغُ الأنصارِ عنِّى آيةً * رُسُلا تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا

أن قد فَعَلْتم فَعْلةً مذكورة * كَسَتِ الفُضُوح وأبدَتِ الشَّنْآنا (١)

بقعودكم فى دوركم وأميركم * تُحْشَى ضواحى داره النيرانا

بينا يرجِّى دفعَكم عن داره * مُلِئت حَريقا كابيًا ودُخانا

حتى إذا خَلَصوا إلى أبوابه * دخلوا عليه صائما عطشانا

يعلُون قُلَّته السيوفَ وأنتمُ * متلبِّثون مكانكم رِضوانا (٢)

(١) الشنآن : البغضاء . وفى ف ، مب : الذلانا ، أى الأذلاء .

(٢) رضوانا : مصدر رضى، فى محل الحال : أى راضين . وفى ف : إخالكم صوانا .

الله يَعلم أنني لم أرضَه * لكمُ صنيعا يوم ذاك وشانا

يا لَهْفَ نفسى إذ يقول: ألا أرَى * نَفَرا من الأنصار لى أعوانا

واللهِ لو شهد ابن قيسٍ ثابتٌ * ومعاشرٌ كانوا له إخوانا

يعنى ثابتَ بن قيس بن شَمّاس .

٥ وأبو دُجانة وابنُ أرقم[1] ثابتٌ * وأخو المَشاهد من بنى عَجْلانا

أبو دجانة : سِماك بن خَرَشة . وابن أرقم : ثابت البلوىّ . وأخو المَشاهد من بنى عَجْلان : مَعْن بن عَدىّ ، عقَبِىّ .

ورِفاعة العُمَرىُّ وابن مُعاذِهم * وأخو مُعَاوِىَ لم يخف خذلانا

رفاعة: ابن عبد المنذر العُمَرىّ . وابن معاذ: سعد بن معاذ . وأخو معاوية : المنذر

١٠ ابن عمرو الساعدىّ، عقَبِى بَدْرىّ .

قومٌ يَرَوْن الحق نصرَ أميرِهم * ويَرون طاعةَ أمره إيمانا

إن يُتْرَكوا فَوْضَى يرَوْا فى دينهم * أمْرًا يُضَيِّق عنهمُ البُلْدانا

فَلَيَعْلمِنَّ الله كعبَ وَليِّه * ولَيَجْعلَنَّ عَدُوَّه الــذُّلّانا

إنى رأيت محمدا إختاره[2] * صِهرا وكان يَعُدُّه خُلْصانا

١٥ مَحْضَ الضرائب ماجدا أعراقُه * من خير خِنْدِفَ مَنصِبا ومكانا

عَرَفَتْ له عُلْيَا مَعَدٍّ كلُّها * بعدَ النبىّ المُلْكَ والسلطانا

من مَعْشَر لا يغدرون بجارهم * كانوا بمكة يَرْتَعون زمانا

يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارهم * فيهم ويُرْدُون الكُماة طِعانا

(١) فى هامش مب : ابن أقرم .

٢٠ (٢) قطع همزة «اختاره» لضرورة الشعر . والخلصان : الصديق الخالص ، يستوى فيه المفرد والجمع .

فـلو أنكم مـع نصركم لنبيـكم * يوم اللقـاء نصـرتم عثمانا!
أنسيتم عهـد النبيّ إليـكم * ولقـد ألظّ ووكّد الأيمانا[1]

قال : فجعل القوم يبكون، ويستغفرون الله عز وجل .

يناقض راجزا من قريش فى حداء لها

أخبرنى أحمـد بن عبد العزيز الجوهرىّ، وحبيبُ بن نصر المهلبىّ قالا : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا أبو عامر، عن ابن جُرَيج، عن هشام بن عُروة، عن أبيه قال : ٥

رجز راجز من قريش[2] برسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :

لم يغـذُها مُـدٌّ ولا نصيفُ * ولا تُمَـيراتٌ ولا تعجيف[3]
لكن غذاها اللبنُ الخـرِّيفُ * والمَحْضُ والقارصُ والصَّريفُ

قال : فاحتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُد والتمر، فقالوا لكعب بن مالك : انزل، فنزل، فقال : ١٠

لم يغـذها مُـدٌّ ولا نَصيفُ * لكن غذاها الحنظلُ النَّقيفُ
ومَـذْقة كطُرّة الخنيف * تبيتُ بين الزّرْب والكَنيف[4]

٢٩ / ١٥

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اركبا .

أخبرنى الجوهرىّ والمُهلَّبى قالا : حدثنا عُمَر بن شَـبَّة قال : حدثنا هَوذة ابن خليفة قال : حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سِيرين، فى حديث طويل قال : ١٥

(١) ألظ : ألح . (٢) هو سلمة بن الأكوع، كما فى (اللسان : عجف) .
(٣) المد : مكيال . والنصيف : نصفه . والتعجيف : حبس الدواب عن الطعام حتى تهزل . أو هو حبس الدابة عن الطعام وهو له مشته، ليؤثر به غيره (اللسان) .
(٤) المذقة : الشربة من اللبن الممزوج . والطـرة : الحاشـية . والخنيف : نوع غليظ من أردأ الكتان . شـبه بحاشيته اللبن الممزوج فى لونه، لتغير لونه وذهابه بالمزج . والزرب : الحظيرة تأوى إليها الأغنام . والكنيف : الموضع الساتر . يريد أنها تعلف فى الحظائر والبيوت، لا بالكلأ فى المراعى . ويلاحظ أن البيتين الأخيرين من الرجز فيهما إقواء . ٢٠

المهاجون لقريش من شعراء الأنصار

كان يهجوهم يعنى قريشا، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . وكان حَسّان وكعب يعارِضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، و يعيرانهم بالمثالِب، وكان عبد الله بن رواحة يعيِّرُهم بالكفر، و ينسبُهم إليه ، و يعلم أن ليس فيهم شيء شرّ من الكفر، فكانوا ٥ فى ذلك الزمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رَواحة ، فلما أسلموا وفقِهوا الإسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رَواحة .

يستأذن الرسول فى هجاء قريش

أخبرنى الجوهرىّ والمهلّبىّ قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله ابن بكرٍ السَّهمىّ قال : حدثنى حاتم بن أبى صَغيرة قال : حدثنا سِماك بن حرب قال :

أُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : إن أبا سفيان بن الحارث ١٠ ابن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة ، فقال : يا رسول الله ائذن لى فيه . فقال له : أنت الذى تقول : فثبّت الله ؟ قال : نعم يا رسول الله، أنا الذى أقول :

فثبت الله ما أعطاك مِن حَسَنٍ * تثبيت مُوسَى، ونَصْرا كالذى نَصَرا

فقال : وأنت فعل الله بك مثل ذلك . قال : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله، ائذن لى فيه . فقال : أنت الذى تقول : هَمَّت؟ قال : نعم يارسول ١٥ الله ، أنا الذى أقول :

همت سَخِينةُ أَنْ تغالبَ ربَّها * ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّب[1]

فقال : أما إن الله لم ينس لك ذلك .

---

(١) سخينة : طعام من دقيق وسمن أو دقيق وتمر أغلظ من الحساء . وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها ، حتى سموا سخينة .

أخبرنى الجوهرىّ والمهلبىّ قالا : حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال : حدّثنا عبد الله ابن يحيى مولى ثقيف قال : حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال : حدّثنا مجالد ، عن الشعبىّ قال :

الرسول يحكم بحسن شعره

لما انهزم المشركون يوم الأحزاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم ، ٥ فمن يحمى أعراض المسلمين ؟ فقام عبد الله بن رواحة ، فقال : أنا . فقال : إنك لحسن الشعر . ثم قام كعب فقال : أنا . فقال : وإنك لحسن الشعر .

أخبرنى الجوهرىّ والمهلّبىّ قالا : حدّثنا عُمَر بن شبة قال : حدّثنى محمد ابن منصور قال : حدّثنى سعيد بن عامر قال : حدّثنى جُويرية بن أسماء قال :

حسان أجودهم شعرهم

بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بن رواحة ، ١٠ فقال وأحسن ، وأمرت حسّانا فشفى واشتفى .

أخبرنى الجوهرىّ والمهلبىّ قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى أحمد ابن عيسى قال : حدّثنى عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث : أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبد الله بن أُنَيس عن أمه ، وهى بنت كعب بن مالك :

٣٠/١٥

الرسول يغير كلمة فى شعر له

أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على كعب وهو فى مسجد رسول الله صلى الله ١٥ عليه وسلم يُنْشد ، فلما رآه كأنه انقبض ، فقال : ما كنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

* مُقاتَلُنا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمَةٍ[1] *

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : * مذربة فيها القوانس تلمع *
وهو من قصيدة يجيب بها كعب بن مالك الأنصارى هبيرة بن أبى وهب المخزومى (انظر الشعر الذى قيل ٢٠ فى غزوة أحد فى السيرة لابن هشام ، طبعة الحلبى ٣ : ١٣٩ — ١٤١) . والفخمة : الكتيبة العظيمة . وفى السيرة : (مجالدنا) فى موضع (مقاتلنا) . والجذم : الأصل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل عن جِذمنا، ولكن قل : مُقاتَلُنا عن ديننا .

قال أبو زيد : وحدّثنى سعيد بن عامر قال : حدّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال :

ينشد الرسول ثلاث مرات فى موقف واحد

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب كعب بن مالك ، فخرج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِيهِ ، فأنشده، ثم قال : إِيهِ فأنشده ، ثم قال : إيهِ فأنشده (ثلاث مرات) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَهذا أشدّ عليهم من مَواقع النَّبْل .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعِىّ ، وذكر أنه إسناد شآم، هكذا قال، قال ابن عمار فى الخبر، وذكر حديثا فيه طول، لحسان بن ثابت ، والنعمان بن بشير ، وكعب بن مالك ، فذكرت ما كان لكعب فيه ، قال :

على بن أبى طالب يطرده من المدينة لمعارضته إياه

لما بُويع لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير — وكانوا عثمانية — أنهم يقدّمون بنى أمية على بنى هاشم ، ويقولون : الشأم خير من المدينة . واتصل بهم أن ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه ، فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن عثمان : أَقُتِل ظالما ، فنقولَ بقولك ؟ أم قتل مظلوما ، فنقولَ بقولنا ، ونكِلَك إلى الشبهة فيه ، فالعجب من تيقننا وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال :

كَفَّ يديهِ ثم أغلقَ بابه * وأيقن أن الله ليس بغافلِ
وقال لمن فى داره : لا تقاتلوا * عفا الله عن كل امرئ لم يقاتِلِ
فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ * ـعداوة والبغضاء بعد التواصُلِ
وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ * وولَّى كإدبار النعام الجوافلِ

فقال لهم علىّ عليه السلام: لكم عندى ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأَثَرة، وجزِعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذُرنا به. فقال علىّ عليه السلام: أتردون علىّ بين ظَهْرانَىِ المسلمين، بلا بيِّنة صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا عنى، ولا تجاورونى فى بلد أنا فيه أبدا. فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولى النُّعمان بن بشيرٍ حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد. ٥

أخبرنى عمى قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائنىّ عن عبد الأعلى القرشىّ قال:

قال معاوية يوما لجلسائه: أخبرونى بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه. ١٠
فقال له رَوْح بن زِنباع: قول كعب بن مالك:

بيته فى الشجاعة

نصِل السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا * قِدْما ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَقِ

فقال له معاوية: صدقت.

***

أبوه وشعره

وأما أبوه مالك بن أبى كعب، أبو كعب بن مالك، فإنى أذكر قبل أخباره شيئا مما يغنّى فيه من شعره، فمن ذلك قوله: ١٥

صــــوت

٣١/١٥

لَعَمْـرُ أبيها لا تقـول حليلتى: * ألا فَـرَّ عنى مالك بن أبى كعبِ
وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه * ترى حوله الأبطال فى حَلَقٍ شُهْب

الشعر لمالك بن أبى كعب . والغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر ، عن يونس والهشامى . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى، جميعا عن الهشامى . وزعم ابن المكى أن خفيف الثقيل هو لحن مالك .

الخصومة بين أبيه وبرذع بن عدى

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبى كعب فى حرب كانت بينه وبين رجل من بنى ظَفَر، يقال له بَرْذَع بن عدى .

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصمى عن عيينة بن المنهال ، ونسخته من كتاب أعطانيه على بن سليمان الأخفش :

أن رجلا من طيىء قدم يثرب بإبل له يبيعها، فنزل فى جوار بَرذع بن عدى أخى بنى ظَفَر ، فباع إبله ، واقتضى أثمانها ، وكان مالك بن أبى كعب بن القَين أخو بنى سَلِمة ، اشترى منه جملا ، فجعله ناضحا ، فمطله مالك بن أبى كعب بثمن جمله ، وحضر شخوص الطائى ، فشكا ذلك إلى برذع ، فمشى معه إلى منزل مالك ، ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله ، أو يرده عليه ، فلم يجدا مالكا فى منزله ، ووجدا الجمل باركا بالفناء ، فبعثه برذع ، وقال للطائى : انطلق بجملك ، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا فى دار النَّبيت ، فأمنا ، فارتحل الطائى بالجمل إلى بلاده ، وبلغ مالكا ما صنع برذع ، فكره أن يَنْشَب بين قومه وبين النبيت حرب ، فكف وقد أغضبه ذلك ، وجعل يُسَفِّه برذعا فى جراءته عليه وما صنع ، فقال برذع بن عدى فى ذلك :

أَمِن شَحْط دار من لُبابة تجزعُ * وصرف النوى مما يُشِتُّ ويَجمعُ
وليس بها إلا ثلاثٌ كأنها * مُسَفَّعة أو قد علاهن أَيدع(١)
قد اقتربت لو كان فى قرب دارها * جَداء ولكن قد تضن وتمنع
وكان لها بالمنحَنَى وجُنوبه * مصيف ومشتًى قبل ذاك ومَرْبع

(١) مسفعة : علاها سواد وحمرة . والأيدع : الزعفران .

أتانى وعيد الخزرجىّ كأننى * ذليل له عند اليهودىّ مَضْرَع
متى تَلْقنى لا تلقَ نُهْزَةَ واجد[1] * وتعلمْ أنى فى الهَزاهز أروع
معى سَمْحة صفراء من فَرْع نَبْعةٍ * ولَيْنٌ إذا مسّ الضريبةَ يقطع
ومطّردٌ لَدْنٌ إذا هُزّ متنهُ * متين كخِرْص الذابلات وأهزع[2]
فلا وإلهى لا يقول مجاورى : * ألا إننى قد خاننى اليوم برذع[3]
وأحفظ جارى أن أخاتلَ عِرسه * ومولاى بالنَّكْراء لا أتطلع
وأجعل مالى دون عِرضى إنه * على الوُجْد والإعدام عِرض ممنَّع
وأصبِر نفسى فى الكريهة إنه * لِذِى كل نفس مستقر ومصرع
وإنى بحمد الله لا ثوبَ فاجر * لبِست ولا من خَزْيةٍ أتقنع

فأجابه مالك بن أبى كعب ، فقال :

صوت

هل للفؤاد لدى شَنْباءَ تنويلُ * أم لا نوالٌ فإعراضٌ وتحميل[4]
إن النساء كأشجار نبتن معا * منهن مُرٌّ وبعض المُرّ مأكول[5]
إن النساء ولو صُوّرن من ذهب * فيهن من هفوات الجهل تخبيل

الغناء لسليم ، هَزَج بالوسطى عن الهِشامىّ وبذل .

(١) الواجد : الغاضب الحاقد . وفى الأصول : واحد . الهزاهز : الشدائد ، لا واحد له . والأروع : الشهم الذكى . (٢) الخرص : الرمح القصير السنان . والذابلات : الرماح الدقيقة . والأهزع : الرمح المضطرب المهتز . (٣) رواية ف ، مب :

ولا وإلهى لا يقول محاربى : ألا إننى قد خافنى اليوم برذع

(٤) رواية الشطر الثانى فى ف ، مب :

* أم لا ، فيأس وإعراض وتحميل *

(٥) ف ، مب : وبعض النبت .

إنك إن تنـةَ إحداهن عن خلق * فإنه واجب لا بـدّ مفـعول

ونعجةٍ من نعـاج الرملِ خاذلةٍ * كأن مآقيها بالحسنِ مكحول[1]

ودّعتها فى مُقامى ثم قلت لهـا : * حيـاك ربك إنى عنـك مشغول

وليـلةٍ من جُمادَى قد شربت بها * والزِّق بينى وبين الشَّرج مَعدول[2]

ومُرْجَحِنٍّ[3] على عمـد دَلَفْت به * كأنه رجل فى الصفّ مقتـول

ولا أهاب إذا ما الحرب حَرَّشها الْـ * أبطال واضطربت فيها البهاليـل

أمضى أمامَهُـمُ والموت مكتنِعٌ * قُدْما إذا ما كبا فيها التَّنابيـل[4]

علىَّ فَضْفاضـة كالنِّهى سابغـة * وصارم مثـل لون المِلح مصقول[5]

ولدنةٌ فى يدى صـفراء ثعلبُهـا * بعامل كشهاب النـار موصول[6]

إنى من الخـزرج الغُرِّ الذين هُمُ * أهلُ المكارم لا يلفى لهم جيـل

فى الحرب أنهكَ منهم للعدوّ إذا * شُبّت وأعظمَ نَيلا إن هُمُ سِيلوا

أشبهتُ من والدى عِزا ومَكْرمـةً * و بِرذَعٌ مُدغَم فى الأوس مجهول

نُبِّئتـه يدّعى عزا و يُوعِـدُنى[7] * نُوكًا وعنـدى له بالسيف تنكيل

---

(١) النعجة هنا : كناية عن المرأة . والخاذلة : التى تركت أصحابها أو أولادها وانفـردت . وفى ف : « بالخير مكحول » . وفى مب : « بالحبر » .

(٢) الشرج : مسـيل الماء من الحرة إلى السهل . يريد أنه يشرب مرة ثم يرسـل الزق إلى مسيل الماء البـارد، ليخلط الخمر ببعض مائه .

(٣) المرجحن : المهتز، ولعله يقصد به الرمح، يصفه بالاهتزاز ثم بالطول .

(٤) مكتنع : حاضر دان . وقدما : مخفف، وأصله بضمتين . يريد أتقدم فى الحرب ولا أتأخر . والتنابيل : جمع تنبال، وهو اللئيم الجبان . والبيت ساقط من ف .

(٥) الفضفاضة : يريد بها درعا واسعة . والنهى : الغدير .

(٦) الثعلب : طرف الرمح . والعامل : صدر الرمح الذى يلى السنان .

(٧) ف : عزا ومكرمة .

حيلة مالك فى التخلص من برذع حين حاصره هو وآخرون

قال : ثم إن مالك بن كعب خرج يوما لبعض حاجته، فبينا هو يمشى وحده، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بنى ظَفَر، فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه، فبدَرَهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف، فقام عليه، وأخذ فى يده أحجارا، وأقبلوا حتى دنوا منه، فشاتموه وراموه بالحجارة، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذى جاء منه، كأنه يستبطئ ناسا، فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناسا كانوا معه، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبى كعب فى ذلك :

لعمرُ أبيها لا تقول حليلتى : * ألا فرَّ عنى مالك بن أبى كعْبِ
أقاتل حتى لا أرى لى مُقاتِلا * وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكَرْبِ
أبى لِىَ أن أُعْطَى الصَّغار ظلامةً * جدودى وآبائى الكرامُ أولو السَّلْبِ[1]
همُ يضربون الكبشَ يَبرُق بيضُه * ترى حوله الأبطال فى حَلَق شُهْبِ
وهم أورثونى مجدَهم وفَعالَهم * فأُقسم لا يُزْرِى بهم أبدا عَقْبِى

ويروَى : لا يُخْزِيهِمُ .

وأرعَى لجارى[2] ماحييتُ ذِمامَه * وأعرِف ماحقُّ الرفيق على الصحْبِ
ولا أُسمِع النَّدْمان شيئا يَرِيبه * إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ
اذا ما اعترى بعضُ الندامَى لحاجةٍ * فقولى له : أهلا وسهلا وفى الرحب
اذا أنفدُوا الزِّق الروِىّ وصُرِّعوا * تَشاوَى فلم أقنع[3] بقولهمُ : حَسْبِى
بعثت إلى حانوتها فاستبأتُها * بغير مِكاس فى السَّوام ولا غصْبِ

(١) فى ف ، مب :
أبى لى أن أعطى ظلامة معشرى * جدودى وآبائى الكرام ذوو الشغب
(٢) ف ، مب : على لجارى . (٣) فى الأصول عدا ف : أقطع .

وقلت : اشربوا رِيًّا هنيئا فإنها * كماء القَليب فى اليسارة والقُرب
يطاف عليهم بالسَّدِيف وعندهم * قيانٌ يُلَهِّينَ المَزاهرَ بالضربِ
فإن يصبِروا لِى الدهرَ أَصبِرْهم بها * ويَرحُبْ لهم باعى ويغزرْ لهم شرْبى
وكان أبى فى المَحْل يطعم ضيفه * ويُروِى نداماه ويصبِرُ فى الحرب
ويمنع مولاه ويدرك تَبْلَه * ولو كان ذاك التبلُ فى مركبٍ صعب[1] ٥
إذا ما منعت المال منكم لثروةٍ * فلا يَهْنِنى مالى ولا ينمُ لى كسبى

وقد رُوِى أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبى كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبى كعب، وذُكر له خبر فى ذلك.

قصة منتحلة عن شعر لأبيه

أخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان. قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدثنا العُمَرِىّ، عن الهيثم بن عدىّ، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبى، قال : ١٠

كان رجل من مُراد يُكْنَى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكا، وبنت يقال لها طُرَيْفة، فزوج ابنه مالكا امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك : إنى قد اشتقت إلى أهلى ووطنى، ونحن هاهنا فى جدب وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبى، فنزلت على أهلى، لكان عيشنا أرغد، وشَمْلنا أجمع، فأطاعها، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحىّ كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، وأحدقوا به، ١٥

(١) فى الأصول عدا ف : مطلب.

وقالوا له : استسْلم وسلم الظعينة . فقال : أما وسيفى بيدى وفرسى تحتى فلا،
وقاتلهم حتى صُرِع، فقال وهو يجود بنفسه :

لعمر أبيها لا تقول حليلتى * ألا فرَّ عنى مالك بن أبى كعب

وذكر باقىَ الأبيات التى تقدم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال مؤلف هذا الكتاب : وأحسب هذا الخبر مصنوعا، وأن الصحيح ٥
هو الأول .

صوت

خُيِّرتُ أمرين ضاع الحزم بينهما * إما الضَّياعُ وإما فِتنة عَمَمُ

فقد هممت مِرارا أن أساجلهم (١) * كأْسَ المنيةِ لولا اللهُ والرَّحِمُ ١٠

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمىّ، والغناء لمتيّم الهاشمية، خفيف رمَل، من روايتى
ابن المعتز والهشامىّ .

(١) ف : أخالسهم .

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

نسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . وقد مضى فى عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب . وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد .

مولده ونشأته

٥ وعيسى ممن وُلد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوى النجدة والرأى والبأس والسُّودَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره ، فإنى أبدأ بالرواية فى أن الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعل منكرا أن ينكر ذلك إذا قرأه .

٣٤ / ١٥

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلّبى وعمى قالا : حدثنا عبد الله بن أبى سعد .
١٠ ورأيت هذا الخبر بعد ذلك فى بعض كتب ابن أبى سعد ، فقابلت به ما رwوياه ؛ فوجدته موافقا .

شعره فى خلع المنصور إياه وبيعة المهدى

قال ابن أبى سعد : حدثنى علىّ بن النطاح قال : حدثنى أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال :

لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى، وبايع للمهدىّ ، قال عيسى بن موسى :

١٥ خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزم بينهما * إما صَغار وإما فتنة عَمَمُ

وقد هممت مرارا أن أساقيَهم * كأس المنية لولا اللهُ والرَّحِم

ولو فعلت لزالت عنهمُ نِعَمٌ * بكفر أمثالها تُسْتَنْزَل النِقَمُ

على هذه الرواية فى الشعر، رَوَى من ذَكرت . وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف فى الألفاظ يُغَنَّى .

أنشدنى طاهر بن عبد الله الهاشمىّ قال : أنشدنى ابن بُرَيهة المنصورىّ (١) هذه الأبيات ، وحكى أن ناقدا خادم عيسى كان واقفا بين يديه ليلةَ أتاه خبر المنصور وما دبّره عليه من الخلع ، قال : فجعل يتململ على فراشه ويُهَمْهِم ، ثم جلس فأنشد هذ الأبيات ، فعلمت أنه كان يهمهم بها ، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى ، شفقة عليه .

رؤيا موسى ابن محمد

قال ابن أبى سعد فى الخبر الذى قدمت ذكره عنهم : وحدّثنى محمد بن يوسف الهاشمى قال : حدّثنى عبد الله بن عبد الرحيم قال : حدّثتنى كلثم بنت عيسى قالت : قال موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس :

رأيت فى المنام كأنى دخلت بستانا ، فلم آخذ منه إلا عُنقودا واحدا ، عليه من الحبّ المرصّف ما الله به عليم ، فوُلد له عيسى بن موسى ، ثم وُلد لعيسى من قد رأيت .

قال ابن أبى سعد فى خبره هذا : وحدّثنى علىّ بن مسلم الهاشمىّ قال : حدّثنى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك ، مولى عيسى بن موسى ، قال : حدّثنى أبى قال :

يكره الغناء

كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة ، فأرسل إلىّ ليلة من الليالى ، فأخرجنى من منزلى ، فجئت إليه ، فإذا هو جالس على كرسىّ ، فقال لى : يا عبد الرحمن ، لقد سمعت الليلة فى دارى شيئا ما دخل سمعى قطّ إلا ليلةً بالحُمَيْمَة والليلة ، فانظر ما هو . فدخلت أستقرى الصوت ، فإذا هو فى المطبخ ، و إذا الطباخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود ، فكسرت العود ، وأخرجت الرجل ، وعُدْت إليه فأخبرته ، فحلف لى أنه ماسمعه قطّ إلا تلك الليلةَ بالحُمَيْمة وليلته هذه .

(١) ف : الأنصارى .

يحج الناس بحجه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطُّوسِىّ، قالا : حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثنى عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عُروة، عن أبيها ، قال :

كان عيسى بن موسى إذا حج، يحُج ناس كثير من أهل المدينة : يتعرّضون لمعروفه فيصلهم ؛ قالت : فمر أبى بأبى الشدائد الفزارىّ، وهو ينشد بالمصلَّى :

٥

* عصابة إن حج عِيسى حجُّوا *

* وإن أقام بالعراق دَجُّوا *

* قد لَعِقوا لُعَيقةً فلَجُّوا *

* فالقوم قوم حَجُّهم مُعْوَجُّ *

* ما هكذا كان يكون الحج *

١٠

قال : ثم لقى أبو الشدائد بعد ذلك أبى، فسلم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام علىّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حاجّ بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد :

٣٥ / ١٥

* إنى وربِّ الكعبةِ المبنيَّهْ *

* واللهِ ما هجوتُ من ذِى نيهْ *

١٥

* ولا امرئ ذى رِعَةٍ نقيهْ *

* لكنني أُرْعى على البريهْ *

* من عُصبةٍ أَغْلَوا على الرعيهْ *

* بغير أخلاق لهم سَرِيهْ *

***

صـــــوت

آثار ربع قَــدُما * أعيا جوابا صَمَما

سحت عليــه دِيَمٌ * بمائها فانهــدَما

كان لسُعْدَى علمـا * فصار وَحْشا رِمَمـا

أيامَ سُـعدَى سَقَمٌ * وهْى تداوى السَّقما

الشعر للرّقاشىّ، والغناء لابن المكىّ ، رَمَل بالوُسْطَى ، عن عَمرو بن بانة .

اخبار الرقاشى ونسبه

نسبه ومكانته الشعرية

هو الفضل بن عبد الصمد مَوْلى رقاشِ . وهو من ربيعة ، وكان مطبوعا سهل الشعر ، نقىّ الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس :

وجدنا الفضل أكرم مِن رقاشٍ * لأن الفضل مولاه الرسول

٥ أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه ، لأنه كان أكرم ممن ينتمى إليه ، وذهب أبو نواس إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا مولى من لا مولى له .

وذكر إبراهيم بن تميم ، عن المعلَّى بن حُمَيد :

انقطاعه للبرامكة ووفاؤه لهم

أن الرقاشىّ كان من العجم ، من أهل الرىّ .

وقد مدح الرقاشىّ الرشيدَ وأجازه ، إلا أن انقطاعه كان إلى آل بَرْمَكَ ،

١٠ فأغنَوه عن سواهم .

أخبرنى حبيب بن نصرٍ المهلبىّ قال : حدثنا أحمد بن يزيد المهلبىّ قال : حدّثنى أبى ، قال :

كان الفضل الرقاشىّ منقطعا إلى آل بَرْمَك ، مستغنيا بهم عن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ، ويدونون القليل والكثير

١٥ منها ، تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويها باسمه ، وتحريكا لنشاطه ، فحفِظ ذلك لهم ، فلما نُكِبوا صار إليهم فى حبسهم ، فأقام معهم مدّة أيامهم ، ينشدهم ويسامرهم ، حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر[1] ، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نَشَر منها ما كان مطويا ، وأذاع منها ما كان مستورا ؛ وجرى على شاكلته

(١) سقطت بقية هذا الخبر والذى يليه من أخبار الرقاشى ، من جميع الأصول ما عدا ف ، مب .

بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر[1]، وخرج معه إلى خراسان ، فلم يزل بها معه حتى مات .

مجونه: وكان مع تقدّمه فى الشعر ماجنا خليعا ، متهاونا بمروءته ودينه ، وقصيدته التى يوصى فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة فى الناس ، مبتذلة فى أيدى الخاصة والعامة ، وهى التى أوّلها :

أوصَى الرقاشىُّ إلى إخـوانِهِ * وصـيةَ المحمودِ فى نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ فى شعر أبى نعامة ، من جملة قصيدة له طويلة ، يهجو فيها جماعة ، ويأتى فى وسطها بقصيدة الرقاشىّ .

وقال عبد الله بن المعتز : حدثنى ابن أبى الخنساء، عن أبيه ، قال : لما قال أبو دُلَف :

صـــوت

ناولينى الـرمح قد طا * ل عن الحـرب جَمـامى[2]

مرّ لى شهران مُـذْ لمْ * أرمِ قوما بِسِهـامى

قال الرقاشىّ يعارضه :

جنبينى الـدّرعَ قد طا * ل عن القَصْف جَمامى

واكسِرى المِطْرد والبَـ * ـيْض وأثنى بالحُسـامِ

واقذفى فى لُجَّة البحـ * ـرِ بقوسى وسهـامى

وبتُرسى وبرُمحى * وبِسرجى ولجامى

فبحسبى أن ترَيْنى * بين فِتيـانٍ كـرام

سادةٍ نغـدو مُجِـدّيـ * ـن على حَرْب المـدامِ

(١) يريد طاهر بن الحسين القائد الفارسى الكبير .

(٢) مب : بجمامْ .

واصطفاقِ العودِ والنا * ياتِ فى جوف الظلامِ
هَــزْم أرواح دِنانٍ * لم ننلها باصــطلامِ
نهـزِم الـراح إذا مـا * همَّ قـوم بانهـزامِ
ثم خلِّ الضرب والطعـ * ـن لأجسـاد وهـامِ
لشـقِيٍّ قال : قـد طا * ل عن الحرب جِمـامِى ٥

يرثى العباس ابن محمد البرمكى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى محمد بن موسى ، عن ابن النطاح ، قال : تُوُفِّى العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلْد ، والرشيد بالرُّصافة ، فى يوم جمعة ، فأخرجتْ جنازته مع العصر ، وحضر الرشيد والأمين ، وأُخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان ، وفُرِش للرشـيد فى مسجد هناك ، وجاء الرشـيد فى الحِلق بالأعلام والحِراب ، فصلى عليه ، ووقف على قبره حتى دفن ؛ فلما خرج ١٠ يحيى ومحمـد أخواه من القبر ، قبّلا يد الرشـيد ، وسألاه الانصراف ، فقـال : لا ، حتى يُسَـوَّى عليه التراب ، ولم يزل قائمـا حتى فُرِغ من أمره ، وعزّاهما وأمرهما بالركوب ، فقال الرَّقاشىّ يرثى العباس بن محمد بن خالد بن برمك :

أتحسـبنى باكرتُ بعــدك لذة * أبا الفضلِ أو رَفَّعت عن عاتقٍ سِترا
أوِ انتفعت عينـاىَ بعـدُ بنظـرة * أوَ آدْنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثغـرا ١٥
جفانِى إذن يوما إلى الليـل مؤنسِى * وأضحت يمينى من ذخائرها صفـرا
ولكننى استشعرت ثوب استكانة * وبتُّ كأن الموت يحفِر لى قبرا

غَنَّى فى الأول والثانى من هذه الأبيات الزفّ ، ثانىَ ثقيل بالبنصر ، عن الهشامىّ وعبد الله بن موسى . وفيه ثقيل أوّل مجهول ، أحسـبه لبعض جوارى البرامكة . وفيهما لإبراهيم بن المهدىّ خفيف رمل ، عن عبد الله بن موسى . ٢٠

رثاؤه جعفر البرمكى

ومن ذلك قوله فى جعفر (١) :

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ * يا طيبَ للضيفِ إذ تُدْعَى وللجارِ
إن يُعْدِمِ القطر كنتَ المُزْنَ بارقُه * لمعُ الدنانيرِ لا ما خَيَّل السارى

وقوله :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * إذا لم تصبه فى الحياة المَعَايِرُ
وما أحد حىٌّ وإن كان سالما * بأسلم ممن غيبته المقابرُ
ومن كان مما يُحدِث الدهر جازِعا * فلا بد يوما أن يُرَى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مَقْصَرٌ * وليس على الأيام والدهر غابر
وكل شباب أو جديدٍ إلى البِلى * وكل امرئ يوما إلى الله صائر
فلا يُبْعِدَنْك الله عنّى جعفرا * بروحى ولو دارت على الدوائر
فآليت لا أنفكُّ أَبكيك ما دَعتْ * على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائر

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبى ثابت، عن محمد بن عبد العزيز :

أن الرقاشىّ الشاعر فنِىَ فى حب البرامكة حتى خيف عليه .

حبه البرامكة

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال : حدثنى أبى عن أبى عكرمة ، قال :

وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن موسى، عن إسماعيل ابن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائنى (٢) .

(١) يريد : من مراثى الرقاشى فى البرامكة . وهذا الخبر وما بعده ساقطان من ف ، مب .

(٢) جاء السند الأول لرواية هذا الخبر فى ف ، مب . والسند الثانى فى سائر الأصول ، فجمعنا بينهما ، لما اعتاده المؤلف فى الجمع بين الأسانيد المتكررة من الطرق المختلفة .

رثاؤه جعفر ابن يحيي البرمكي

أنه لما[1] دارت الدوائر على آل برمك، وأُمِر بقتل جعفر بن يحيي وصُلِب، اجتاز به الرَّقاشيّ الشاعر وهو على الجذع، فوقف يبكى أحرّ بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما واللهِ لولا خوف واشٍ * وعينٍ للخليفة لا تنامُ

لَطُفنا حول جِذعك واستلمنا * كما للناس بالحَجَر استلام

فما أبصرتُ قبلك يابن يحيي * حساما قدَّه[2] السيفُ الحسام

٥

على اللذات والدنيا جميعا * ودولة آلِ برمكٍ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إلىّ محسنا، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلت. قال: وكم كان يُجْرِى عليك؟ قال: ألفَ دينار فى كل سنة. قال: فإنا قد أضعفناها لك.

١٠

شعره فى أصدقائه المتفرقين

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف، قال: حدثنا الرِّياشيّ قال: كان الفضل الرَّقاشي يجلس إلى إخوان له يحادثهم، ويألفونه ويأنسون به، فتفرقوا فى طلب المعاش، وترامت بهم الأسفار، فمر الرقاشىّ بمجلسهم الذى كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلا، ثم استعبر وقال:

١٥

لولا التطيُّر قلتُ غيَّركم * ريبُ الزمان فخنتمُ عهدى

درستْ معالمُ كنت آلَفُها * من بعدكمْ وتغيرتْ عندى

أخبرنى محمد بن جعفر الصَّيدلانىّ[3] النحوىّ قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثنى أبو هِفان، عن يوسف بن الدّاية قال:

(١) ف، مب: لما قتل جعفر بن يحيي وصلب ...

٢٠

(٢) كذا فى ف، مب. وفى بقية الأصول: حتفه.

(٣) ف، مب: أحمد.

يعشق بأذنه

كان أبو نواس والفضل الرَّقاشي جالسين، فجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن علىّ، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاءَ نجلاء، زجّاءَ دعجاء، كأنها خُوط بان، أو جَدْل عِنان، فخاطبتها فأجابتنى بأحلى لفظ، وأحسن لسان، وأجمل خطاب. فقال الرقاشىّ: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أوَ تعرِفها؟ قال: لا والله، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

٥

صفاتٌ وظَنٌّ أورثا القلب لوعةً * تضرّم فى أحشاء قلب متـيَّمِ[1]

تُمثِّلها نفسى لعينى فأنثنى * إليها بطرف الناظر المتوسِّمِ

يحمِّلنى حبِّى لها فوق طاقتى * من الشوق دأْبَ الحائرِ[2] المتقسِّمِ

* * *

١٠

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال: حدثنى محمد بن القاسم ابن مهرويه قال: حدثنى عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانىّ قال:

٣٧/١٥

قيل لابن دراج الطفيلىّ أتتطفّل على الرءوس؟ قال: وكيف لى بها؟ قيل: إن فلانا وفلانا قد اشترياها، ودخلا بستان ابن بَزِيع، فخرج يُحْضِر خوفا من فوتهما، فوجدهما قد لَوَّحا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثل قول الرَّقاشِىّ:

١٥

آثار رَبْعٍ قَدُما * أعيا جوابى صَمَمَا

وابن دراج هذا يقال له عثمان، وهو مولًى لكندة، وكان فى زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة، يجرى ذكرها ههنا.

(١) كذا فى ف، مب. وفى بقية الأصول: وحسن. وفى مب: صب متيم.

(٢) ف: الحائن.

٢٠

أخبار ابن درّاج الطُّفَيلى (١)

يخاف الكلب

أخبرنى الجوهرىّ عن ابن مهرويه، عن أبيه قال :

قيل لعثمان بن دراج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إى والله، وإنه للجنة الحاضرة فى الدنيا . قيل له : فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره، تحت أشجاره، وتسبح فى أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . ٥

أخبرنى الجوهرىّ قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الرحيم بن أحمد ابن زيد الحرّانى قال :

سبب عدم إقلاعه عن التطفل

كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابى ، أحد ولد زيد ابن الخطاب، فقال له : ويْحك ! إنى أبخل بأدبك وعلمك، وأصونك وأضَن بك عما أنت فيه من التطفيل، ولى وظيفة راتبة فى كل يوم، فالزمنى وكن مدعوًّا أصلح لك مما تفعل . فقال : رحمك الله أين يُذْهَب بك ؟ فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذ أبيت ذاك ، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإنى فَيْئة لك . قال : أما هذا فنعم . ١٠

يمنع الطفيليين

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابىّ مولاة له ، فقالت : جُعِلْتُ فِداك . زوّجت ابنتى من ابن عمّ لها، ومنزلى بين قوم طُفَيليين، لا آمنهم أن يهجموا علىّ، فيأكلوا ما صنعت، ويبقى من دعوت، فوجِّه معى بمن يمنعهم . فقال : نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد . فقال : مُرِّى بين يدَىّ، وقام وهو يقول : ١٥

ضجت تميمٌ أن تُقَتَّل عامرٌ * يومَ النسار فأُعتِبوا بالصَّيْلم

(١) أثبتنا هذا العنوان عن الأصول غير (ف، مب، فإنهما ذكرتا ابن دراج بلا عنوان) . ٢٠

كيف يصنع بأهل العروس ليدخلوه

قال : وقال الخطابى هذا لابن درّاج : كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يُدْخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم، فيتطيّرون بذلك، فيدخلونى .

سبب صفرة لونه

قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة فى لونك ؟ قال : من الفترة بين القَصْفين، ومن خوفى كل يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع .

٥ أخبرنى أحمد قال : حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد :

صفة بيته

أن ابن دراج صار إلى باب علىّ بن زيد، أيام كان يكتب للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، وقال : ليس هذا وقتك، قد رأيتَ القواد يُحْجبون ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلى سبيلهم ، لأنه يحب أن يرانى ، ويكره أن يراهم، فلم يأذن له . فبيناهما على ذلك إذ خرج علىّ بن زيد، فقال : ما منعك ١٠ يا أبا سعيد أن تدخل ؟ فقال : منعنى هذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب ، فقال : بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ؟ ثم قال : يا أبا سعيد ، ما أهديتَ إلىّ من النوادر ؟ قال : مرت بى جنازة ومعى ابنى ، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول : بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وِطاء ، ولا ضيافة ولا غطاء ، ولا خبز فيه ولا ماء . فقال لى ابنى : يا أبة، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . ١٥ فقلت له : وكيف ويلك ! قال : لأن هذه صفة بيتنا . فضحك علىّ وقال : قد أمرت لك بثلاث مئة درهم . قال : قد وفّر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك . قال : وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس ، فقال : هى عليك مُوَفَّرة كلها ، ونتغدّى معنا .

٣٨/١٥

لذة التطفيل

وعثمان ابن دراج الذى يقول :

٢٠ لذةَ التطفيل دُومى * وأقيمى لا تَرِيمى
أنتِ تشفين غليلِى * وتسلّين همومى

عــود إلى الرقاشي :

خضاب الرقاشي

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا العكلي قال :

دخل الرقاشيّ على بعض أمراء الصدقة، فقال له : قد أصبح خِضابك قانيا. قال : لأني أمسيت له معانيا . قال : وكيف تفعله ؟ قال : أُنْعِم الحناء عَجْنا ، وأجعل ماءه سخنا، وأُرَوِّي شَعْري قبله دُهْنا، فإن بات قَنَا(١) ، وإن لم يفعل أغنى .

٥

* * *

صــــوت

من لِعَين رأت خيالا مطيفا * واقفا هكذا علينا وقوفا

طارقا مَوهِنا ألم لحيا * ثم ولَّى فهاج قلبا ضعيفا

ليت نفسي وليت أنفس قومي * يا يزيد الندى تقيك الحتوفا

١٠

عَتَكِي مُهَلَّبيّ كريم * حاتمي قد نال فرعا منيفا

عروضه من الخفيف، والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي . والغناء لعبد الرحيم الرف(٢)، خفيف رملٍ بالوسطى، عن عمرو .

---

(١) في اللسان : مغلفها بالحناء والكتم حتى قنا لونها : أي احمر ، يقال : قنا لونها يقنو قنوا ، وهو أحمر قان . وفي الأصول : « قني » . والقنو الذي هو حمرة اللون واوي لا يائي .

١٥

(٢) كذا في ف . وفي بقية الأصول : الدفاف .

أخبار رَبيعة الرَّقّى ونسبه

مجمل أخباره

هو ربيعة بن ثابت الأنصارىّ ، ويكنى أبا شَبابة . وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت ، وكان ينزل الرَّقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهدىّ إليه ، فمدحه بعدة قصائد ، وأثابه عليها ثوابا كثيرا ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريرا ، وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته ، بُعده عن العِراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عدِم مفضِّلا لشعره ، مقدِّما له .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا محمد بن داود ، عن ابن أبى خَيْثَمة(١) عن دِعبل قال :

أشعر المحدثين وأسيرهم بيتا

قلت لمروان بن أبى حفصة : من أشعركم جماعة المحدَثين يا أبا السِّمط؟ . قال : أشعرنا أسْيرنا بيتا . قلت : ومن هو ؟ قال : ربيعة الرقىّ الذى يقول :

لَشتانَ ما بين اليزيدينِ فى الندى * يزيد سُلَيم والأغر ابن حاتم

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبىّ ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَمى ، وبعد البيت الذى ذكره مروان :

يزيد سُلَيم سالم المالِ والفتى * أخو الأزدِ للأموال غير مُسالِم

فهَمُّ الفتى الأزدىّ إتلاف مالِه * وهم الفتى القيسىّ جمع الدراهم

فلا يحسَبِ التَّمتام أنى هجوتُه * ولكننى فضلت أهل المكارم

فيابن أُسَيد لا تسامِ ابن حاتم * فتقرعَ إن ساميتَه سِنَّ نادم

هوالبحر إنْ كلّفت نفسك خوضه * تهالكتَ فى موج له متلاطم

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أحمد بن أبى خيثمة .

استشهاد أبى زيد بشعره

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى محمد بن القاسم بن مهرويه، قال : حدثنى أُسَيد بن خالد الأنصارىّ ، قال :

قلت لأبى زيد النحوىّ : إن الأصمعى قال : لا يقال : شتان ما بينهما، إنما يقال : شتان ماهما، وأنشد قول الأعشى :

* شتانَ ما يومى على كُورِها *

فقال : كذب الأصمعىّ ، يقال : شتان ما هما ، وشتان ما بينهما ، وأنشدنى لربيعة الرقىّ ، واحتج به :

لشتانَ ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

وفى استشهاد مثل أبى زيد على دفع مثل قول الأصمعىّ بشعر ربيعة الرقىّ ، كفاية له فى تفضيله .

أغزل من أبى نواس

وذكره عبد الله بن المعتز فقال : كان ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس ، لأن فى غزل أبى نواس بَرْدا كثيرا، وغزل هذا سَليم سهل عذب .

نسخت من كتاب لعمى : حدّثنا ابن أبى فَنَن[1] قال :

جوارى المهدى يشتهين سماعه

اشتهى جَوارِى المهدىّ أن يسمعن ربيعة الرقىّ ، فوجه إليه المهدىّ من أخذه من مسجده بالرقّة، وحُمِل على البريد حتى قُدِم به على المهدىّ، فأُدخل عليه، فسمع ربيعة حِسا من وراء السِّتر، فقال : إنى أسمع حسا ياأمير المؤمنين، فقال : اسكت يابن اللَّخناء ، واستنشده ما أراد ، فضحك وضحكن منه . قال : وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازه جائزة سنية، فقال له :

(١) كذا ف ، مب . وفى بقية الأصول : ابن أبى ذئب .

يا أمير المؤمنين اللـ ـه سمّاك الأمينا[(1)]

سرقونى من بلادى * يا أمير المؤمنينا

سرقونى فاقض فيهم * بجزاء السارقينا

قال : قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة .

يمدح يزيد بن حاتم

وفى يزيد بن حاتم يقول أيضا :

يزيدَ الأزدِ إن يزيدَ قومى * سميّك لا يجود كما تجود[(2)]

يقودُ جماعة وتقودُ أخرى * فترزُقُ من تقود ومن يقود[(3)]

فما تسعون يحفُرها ثلاث * يقيم حسابها رجل شديد

وكفٌّ شثْنة جُمعت لوجْءٍ * بأنكدَ من عطائك يا يزيد

كان السبب فى غضب الرشيد على العباس بن محمد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال : امتدح ربيعة الرقىّ العباسَ بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسْنا ، وهى طويلة يقول فيها :

صوت

لو قيل للعباس يا ابن محمد * قل : (لا) وأنت مخلَّد ما قالها

ما إن أعُدُّ من المكارم خَصْلة * إلا وجدتك عمها أو خالَها

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول :

يا أمين الله إن الـ * ـله سماك الأمينا

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : لا يزيد كما تزيد .

(٣) مب : من تريد ومن يريد . وفى خزانة الأدب للبغدادى (٣ : ٥٣) :

تقود كتيبة ويقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود

وإذا الملوك تسايروا فى بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالها(١)

إن المكارم لم تزل معقولة * حتى حللت براحتيك عِقالها

٤٠/١٥ فى البيت الأول والبيت الأخير خفيف رملٍ بالوسطى، يقال إنه لإبراهيم . ويقال إنه للحسين بن محرِز .

٥ قال : فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجَنّ غيظا(٢)، وقال للرسول : خذ الدينارين، فهما لك، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدرى العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب فى ظهرها :

مدحتك مِدحةَ السيفِ المُحَلَّى * لتجرِىَ فى الكرامِ كما جريتُ

١٠ فهبها مِدحةً ذهبت ضَياعا(٣) * كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

فأنت المرءُ ليس له وفاءٌ * كأنى إذ مدحتك قد رَثَيتُ

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها فى الموضع الذى أخذتها منه . فردها الرسول فى موضعها . فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيرا عنده، يبجّله ويقدمه، وكان قد هَمّ

١٥ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة فى وجهه، فقال : ما شأنك ؟ قال : هجانى ربيعة الرّقىّ . فأحضر، فقال له الرشيد : يا ماصّ كذا وكذا من أمه، أتهجو عمى، وآثر الخلق عندى، لقد هممت أن أضرب عنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، فى أحد من الخلفاء، ولقد بالغت فى الثناء، وأكثرت فى الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها .

٢٠ فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأحب أن ينظر فى القصيدة، فأمر

(١) مب : وأنت هلالها . (٢) ف، مب : غضبا . (٣) ف : ضلالا .

العباس بإحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ساعة ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها ، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر بإحضارها فأُحضرت ، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها ، وأُعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبرّ . ثم قال للعباس : كم أثبتَه عليها؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وجَرِض بريقه ، فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس ، فقال : بحياتى يارقىّ ، كم أثابك؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين . فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر فى وجه العباس بن محمد ، وقال : سَوْءةً لك! أيةُ حال قعدتْ بك عن إثابته؟ أقلة المال؟ فوالله لقد موّلتك جُهدى ؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شىء ، أم نفسك؟ فلا ذنب لى ، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك ، حتى فضحتَ أباك وأجدادك ، وفضحتنى ونفسك . فنكس العباس رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : ياغلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة ، واحمله على بغلة ، فلما حُمل المال بين يديه ، وألبس الخلعة ، قال له الرشيد : بحياتى يارقىّ لا تذكره فى شىء من شعرك تعريضا ولا تصريحا ، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطّراح .

يعبث بالعباس بن محمد

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال : حدثنى أحمد بن أبى فَنَن الشاعر ، قال : حدثنى من لا أحصى من الجلساء :

أن ربيعة الرقىّ كان لا يزال يعبَث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد ، العبث الذى يبلغ منه ، منذ جرى بينهما فى مديحه إياه ما جَرَى ، من حيث لا يتعلق عليه

فيه بشيء، فجاء العباس يوما إلى الرشيد بَرْنِيّة فيها غالية، فوضعها بين يديه، ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدى، اختير عنبرها من شِحْر عمان، ومسكها من مَفاوز التُّبَّت، وبانها من قعر تهامة؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها، والنعت يقصر عنها .

٥ فاعترضه ربيعة، فقال : ما رأيت أعجب منك، ومن صفتك لهذه الغالية، عند من إليه كل موصوف يُجْلَب، وفي سوقه يَنْفُق، وبه إليه يُتَقَرَّب، وما قَدْر غاليتك هذه، أعزك الله، حتى تبلغ فى وصفها ما بلغت، أأجريت بها إليه نهرا، أم حملت إليه منها وِقرا! إن تعظيمك هذا عند من تُجْبَى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة، وتذِل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة، وتُتحفه بطُرَف

١٠ بُلدانها، وبدائع ممالكها، حتّى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خصَصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أَنشدُك الله يا أمير المؤمنين، إلا جعلت حظى من كل جائزة وفائدة توصلها إلىّ مدة سنتى هذه الغالية، حتى أتلقاها بحقها. فقال : ادفعوها إليه، فدُفِعت إليه. فأدخل يده فيها، وأخرج ملئها، وحل سراويله، وأدخل يده فطلى بها استه،

١٥ وأخذ حَفْنة أخرى، وطلى بها ذكره وأُنثَييه، وأخرج حَفْنتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال : يا أمير المؤمنين، مر غلامى أن يدخل إلىّ، فقال : أدخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنية غير مختومة، وقال : اذهب إلى جاريتى فلانة بهذه البرنية، وقل لها : طيبى بها حِرَك واستك وإبطيك، حتى أجىء الساعة وأنيكك، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشِى عليه، وكاد العباس

٢٠ يموت غيظا، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم[1].

(١) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : وأمر الرشيد العباس أن يبعث لربيعة بثلاثين ألف درهم .

شعره يطرز على بساط

وذكر على بن الحسين بن عبد الأعلى، أنه رأى قصيدة لربيعة الرقّىّ مكتوبة فى دَوْرِ بساطٍ من بُسُط السلطان قديم، وكان مبسوطا فى دار العامة بسرّ من رأى، فنسخها منه، وهى قوله :

صــــوت

وتزعم أنى قـد تبدّلتُ خُــلّةً * سِــواها وهـذا الباطل المتقوَّلُ

لحا الله من باع الصديق بغـيره[1] * فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ

سَتصرم إنسانا إذا ما صَرَمتنى[2] * يحبكَ فانظر بعدَه من تبدَّل

فى هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلى، وإلى إبراهيم بن المهدىّ، وفيه لعريب رَمَل من رواية ابن المعتز .

سبب هجائه ليزيد ابن أسيد

وكان سبب إغراق ربيعة فى هجاء يزيد بن اسَيد، أنه زاره [3] يستميحه، لقضاء دين كان عليه [3]، فلم يجد عنده ما أحب ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبىّ، فطَفَّل[4] على قضاء دينه وبره، فاستفرغ ربيعة جُهده فى مدحه، وله فيه عِدة قصائد مختارة، يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه فى قوله :

لشتان ما بين السيزيدين فى الندى * يزيدِ ســليم والأغرّ ابن حاتم

فى قصيدة مدح بها يزيدَ بنَ مَزْيد، وسلَخ بيت الرقىّ، بل نقله وقال :

لشــتان ما بين اليزيدين فى النــدى * إذا عُد فى النـاس المكارمُ والمجـدُ

يزيدُ بنى شَيبانَ أكرم منهـما * وإن غضبت قيسُ بن عَيلانَ والأزْدُ

(١) ف : الحبيب . (٢) ف : صرمته .

(٣–٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : دينا كان عليه ، فاستماحه .

(٤) طفل : ترفق وتلطف .

فـتى لم تلِده من رُعَين قبيـلةٌ * ولا لَخْـمُ تَنميـه ولم تَنْمِـه نَهْـدُ
ولكن نمتـه الغُـرُّ من آل وائلٍ * وبَرَّةُ تَنميـه ومِن بعدها هنـد

ولم يسِرْ فى هذا المعنى شىء كما سار بيت ربيعة .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داودَ بن الجراح قال:
٥ حدثنا محمد بن أبى الأزهر قال :

عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أَسِيد الذى هجاه ربيعة جَوارِىَ ، فاختار جاريتين منهن ، ثم قال للنخاس : أيتهما أحب إليك؟ قال : بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيدِ سـليم والأغرّ ابن حاتم

١٠ فأمر بجر رجله وجواريه .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال :

لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قريش ، فانتسب له أحدهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نَهَكتنا النوائب ، وأجحفت بأموالنا المصائب ، ولنا بك رحِم أنت أولَى من وصلها ، وأمل أنت أحق من صـدقه ، فما بعدك مطلب ،
١٥ ولا عنك مذهب ، ولا فوقك مسئول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر ، فلم يأت بشىء فوصلهما ، وفضل الأول تفضيلا كثيرا ، ثم أقبـل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل :

لشتانَ ما بين اليزيدين فى الندى * يزيدِ سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

تفصيل سبب هجائه ليزيد بن أسيد

قال أحمد بن أبى طاهر: حدثنى أبو دعامة علىّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال :
لما هجا ربيعة يزيدَ بن أُسَيد السُّلَمِىّ ، وكان جليلا عند المنصور والمهدىّ ،
وفضّل عليه يزيد بن حاتم ، قلت لربيعة : يا أبا شَبَابة ، ما حملك على أن هجوت
رجلا من قومك ، وفضلت عليه رجلا من الأزد ؟ فقال : أخبرك .

أملقتُ فلم يبق لى شىء إلا دارِى ، فرهنتها على خمس مِئة درهم ، ورحلت إليه
إلى إرمينية ، فأعلمته ذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولا ، فوهب لى خمس مِئة درهم ،
فتحملت وصرت بها إلى منزلى ، فلم يبق معى كبير شىء ، فنزلت فى دارٍ بكراء ،
فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمى فعل بى هذا الفعل ، فكيف
غيره ؟ ثم حملت نفسى على أن أتيته ، فأُعلم بمكانى ، فتركنى شهرا حتى ضَجِرت ،
فأكريت نفسى من الجمالين ، وكتبت بيتا فى رقعة وطرحتها فى دهليزه ، والبيت :

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخُفَّىْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتم (١)

فوقعت الرقعة فى يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمى ولا أمرى ، فبعث خَلْفى ،
فلما دخلت عليه قال : هيه ، أنشدنى ما قلت . فتمنعت ، فقال : والله لتُنْشِدَنّى ،
فأنشدته فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفيه ، فنُزِعا فحشاهما
دنانير ، وأمر لى بغلمان وجوار وكُسا ، أفلا ترى لى أن أَمدَح هذا وأهجو ذاك !
قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعرى حتى بلغ المهدىّ فكان سبب دخولى إليه .

٤٣ / ١٥

هواه

أخبرنى الحسن بن علىّ الأدَمىّ قال : حدّثنى محمد بن الحسن بن عباد بن
الشهيد القرقيسيانىّ قال : حدثنى عمى عبد الله بن عباد :

أن ربيعة بن ثابت الرقىّ الأسدىّ كان يلقب الغاوى ، وكان يهوى جارية
يقال لها عَثْمة ، أمة لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له ابن مَرّار ، وكان بنو هاشم

(١) مب : من نوال يزيد .

فى سلطانهم قد ولّوه مصر، فأصاب بها مالا عظيما، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته، فأحضره، وعرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لى، فإن كل مبذول مملول، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبى؛ ولكن دعنى أواصلها هكذا، فهو أحب إلىّ.

قال: وقال فيها:

اعتاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ * شوقٌ عَراك فأنت عنه تذودُه

والشوق قد غلب الفؤاد فقاده * والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُه

فى دار مَرّار غزالُ كَنيسة * عَطِرٌ عليه خُزوزه وبُروده

رِيمٌ أغر كأنه من حسنه * صنم يُحَجُّ ببِيعة معبوده

عيناه عينا جؤذر بصريمة * وله من الظبى المربَّب جيده

ما ضرَّ عَثْمة أن تُلِم بعاشق * دنِف الفؤاد متيم فتعودُه

وتَلُدُّه(1) من رِيقها فلربما * نفع السقيم من السّقام لَدودُه

وهى طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

أخبرنى يحيى بن علىّ قال: حدثنى أبى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ، عن أبى بشر الفزارىّ قال:

يمدح معن بن زائدة ويهجوه

لقِىَ ربيعة الرقىّ معن بن زائدة فى قَدْمة قدِمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، وأنشده إياها راويتُه، فلم يَهَشّ له معن، ولا رضى ربيعة لقاءه إياه، وأثابه ثوابا نَزْرا، فرده ربيعة، وهجاه هجاء كثيرا، فمما هجاه به قوله:

معنُ يا معنُ يابنَ زائدةِ الكلْـ * ـب التى فى الذراع لا فى البنانِ

لا تفاخر إذا فخرت بآبا * ئك وافخر بعمك الحَوْفزانِ

(1) تلده: تسقيه اللدود، وهو دواء.

فهشام من وائل فى مكان * أنت ترضى بدون ذاك المكان
ومتى كنت يابن ظَبية ترجو * أن تُثَنِّى[1] على ابنة الغضبان
وهى حَوْراء كالمَهاة هِجانٌ * لهجانٍ وأنت غير هِجان
و بنات السَّليل عند بنى ظبـ * ـية، أفٍّ لكم بنى شيبان
قيل : معن لنا فلما اختبرنا * كان مرعًى وليس كالسَّعْدان

قال أبو بشر : ظَبية التى عيره بها أَمَة كانت لبنى نهار بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك ، وكانت راعية لأهلها ، وهى فى غنمها ، فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة ، ودجاجة بنت عبد الله . قال : و بنت السليل التى عناها : امرأة من ولد الحَوْفزان .

أخبرنى يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبى بشر الفزارىّ ، قال :

هـواه

كان ربيعة الرقىّ يهوَى جارية لرجل من أهل الكوفة ، يقال لها عثمة ، وكان أهلها ينزلون فى جوارِ جُعفىّ ، فقال فيها فى أبيات له :

جُعْفىّ جيرانُها فقد عَطِرت * جعفِىّ من نشرها ورياها

فقال له رجل من جُعفِىّ : وأنا جار لها بيتَ بيتَ ، والله ما شمِمت من دارهم ريحا طيبة قطُّ . فتشمم ربيعة رائحته وقال : وما ذنبى إذا كنتَ أَخْشَم[2] ، والله إنى لأجد ريحها وريح طيبها منك ، وأنت لا تجده من نفسك .

٤٤ / ١٥

أخبرنى يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبى بشر قال :

رقية شعرية

كنت حاضرا ربيعة الرقىّ يوما وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية ، فقالت : تقول لك فلانة : إن بنت مولاى محمومة ، فإن كنت تعرف عُوذة تكتبها لها فافعل . فقال : أُكتب لها يا أبا بشر هذه العُوذَة :

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : تبنى . (٢) الأخشم : الذى لا يجد ريح ما يشم فى أنفه .

تفُو تفُو باسم إلهى الذى * لا يعرِض السقم لمن قد شَفَى

أعِيذ مولاتِى ومولاتَها * وابنتها بعُوذة المصطفَى

من شرّ ما يعرِض من عِلة * فى الصبح والليل إذا أسْدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت، لست أحسِن أن أكتب : تفُو تفُو، فكيف أكتبها ؟ قال : انضح المداد من رأس القلم فى موضعين، حتى يكون كالنفث، وادفع العُوذة إليها، فإنها نافعة . ففعلت ودفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهى لا تتمالك ضحِكا . فقالت له : يا مجنون، ما فعلت بنا ؟ كدنا والله نفتضِح بما صنعت . قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

* * *

صوت

ألا مَنْ يَبن الأَخَويْ * ـنِ أُمُّهما هى الثكلَى

تسائل من رأى ابنيها * وتستشفِى فما تُشْفَى[1]

فلما استيأست رجعت * بعبرة والِهٍ حَرَّى

تتابِعُ بين وَلولة * وبين مدامعٍ تَتْرَى

عروضه من الهزج[2]، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارظ الكِنانية، وتكنى أم حكيم، زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فى ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطاة، أحد بنى عامر بن لؤىّ باليمن .

والغِناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر فى مجرى البنصر . وفيه لحُنين الحِيرىّ، ثانى ثقيل عن الهشامىّ . وفيه لأبى سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق فى مجرى الوسطى .

(١) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : « وتستسق فما تسق » . (٢) هذه العبارة سقطت من ف، مب، وهى فى سائر الأصول . والأبيات ليست من الهزج، لكن من مجزوء الوافر .

ذكر الخبر فى مقتل ابنى عُبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب

أخبرنى بالسبب فى ذلك محمد بن أحمد بن الطّلّاس[(١)] قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا علىّ بن محمد المدائنىّ ، عن أبى مِخْنف ، عن جويرية ابن أسماء ، والصَّقْعَب بن زهير ، وأبى بكر الهذلىّ ، عن أبى عمرو الوقاصىّ :

حملة بسر بن أرطاة فى الحجاز واليمن

أن معاوية بن أبى سفيان بعث بُسْر بن أَرْطاة ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، بعد تحكيم الحكمين ، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ حىّ ، و بعث معه جيشا ، ووجّه برجل من غامد[(٢)] ضم إليه جيشا آخر . و وجّه الضحاك بن قيس الفهرىّ فى جيش آخر ، وأمرهم أن يسيروا فى البلاد ، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يُغيروا على سائر أعماله ، و يقتلوا أصحابه ، ولا يكفّوا أيديهم عن النساء والصبيان . فمضى بُسْر لذلك على وجهه ، حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناسا من أصحاب علىّ عليه السلام ، وأهل هواه ، وهدم بها دُورا من دور القوم . ومضى إلى مكة ، فقتل نفرا من آل أبى لهب ، ثم أتى السَّراة ، فقتل من بها من أصحابه . وأتى نجران ، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثىّ وابنه ، وكانا من أصهار بنى العباس ، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس ، عاملا لعلىّ بن أبى طالب ، وكان غائبا ، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر ، فلم يصادفه بُسْر ، ووجد ابنين له صبيين ، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله ، وذبحهما بيده ، بمُدْية كانت معه ، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية ، وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به . فقصد الغامدىُّ إلى الأنبار ، فقتل ابنَ حسان البكرى ، وقتل رجالا ونساء من الشيعة .

(١) ف : أحمد الطلاس .

(٢) كذا فى الأصول : عامر وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (١ : ١٤٤) أن معاوية وجه رجلا من غامد يقال له : سفيان بن عوف بن المغفل الغامدىّ ، فعلى هذا تكون كلمة «عامر» تصحيفا .

فحدثنى العباس بن علىّ بن العباس النسائى قال : حدثنا محمد بن حسان الأزرق ، قال : حدثنا شبابة بن سوّار قال : حدثنا قيس بن الربيع ، عن عمرو ابن قيس ، عن أبى صادق ، قال :

خطبة لعلى بن أبى طالب يعير فيها أتباعه بالهزيمة

أغارت خيل لمعاوية على الأنبار ، فقتلوا عاملا لعلىّ عليه السلام ، يقال له حسان ابن حسان[1] ، وقتلوا رجالا كثيرا ونساء ، فبلغ ذلك علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه ، فخرج حتى أتى المنبر ، فرقيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

إن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء ، ودُيِّث[2] بالصَّغار ، وسيم الخَسْف . وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه لم يُغْزَ قوم قطُّ فى عُقر[3] دارهم إلا ذلُّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولى وراءكم ظهريا ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد جاء الأنبار ، فقتل عاملى عليها حسان بن حسان ، وقتل رجالا كثيرا ونساء . والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدة ، فينزع حِجْلها[4] ورِعاثها ، ثم ينصرفون موفورين ، لم يُكلَم أحدٌ منهم كلما ، فلو أن امرأً مسلما مات من دون هذا أسفا ، لم يكن عليه ملوما ، بل كان به جديرا . يا عجبا ، عجبا يميت القلب ، ويُشعل الأحزان ، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم و باطلهم ، وفشلكم عن حقكم ، حتى صرتم غرضا ، تُرمَون ولا ترمُون ، وتُغزَون ولا تَغزون ، و يُعصَى الله وترضَون . إذا قلت لكم اغزوهم فى الحر ، قلتم هذه حمارّة القيظ فأمهلنا ، و إذا قلت لكم اغزوهم فى البرد ، قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ فأمهلنا . فإذا كنتم من[5] الحر والبرد تفرُّون ، فأنتم والله من السيف

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول وفى الكامل للمبرد (١ : ١٠٤ رغبة الآمل للرصفى) وسماه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة فى رواية : أشرس ابن حسان البكرى . (٢) ديث : ذلل .
(٣) عقر دارهم : أصلها . (٤) الحجل : الخلخال . والرعاث : جمع رعثة ، وهى الشنف .
(٥) فى الأصول : بين . وفى ف : فى ، وأثبتنا : من ، عن مب ، والكامل للمبرد ، وشرح نهج البلاغة .

أشد فِرارا . يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طَغام[1] الأحلام، وعقولَ ربات الحِجال[2]، وددت والله أنى لم أعرفكم ، بل وددت أنى لم أركم ، معرفة والله جَرَّعت بلاء وندما ، وملأتم جوفى غيظا بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . ويْحَهم ! هل فيهم أشد مراسا لها منى ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نَيَّفْتُ على الستين، ولكن لا رأى لمن لا يطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله تعالى : « لا أَمْلِكُ إلا نَفْسِى وأَخِى » فمُرْنا بأمرك ، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جَمْرُ الغَضَى[3]، وشوك القتاد . قال : وأين تبلغان مما أريد ؟ هذا أو نحوه ، ثم نزل .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنى عمى عبيد الله بن محمد قال : حدثنى جعفر بن بشير قال : حدثنى صالح بن يزيد الخراسانى ، عن أبى مِخنف ، عن سليمان بن أبى راشد ، عن ابن أبى الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال :

رسائل بين على وأخيه عقيل

كتب عَقيل بن أبى طالب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام :

« أما بعد ، فإن الله عز وجل جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه . إنى خرجت معتمرا ، فلقيت عبد الله بن أبى سَرْح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطُّلَقاء ، فقلت لهم ، وعرفت المنكر فى وجوههم : يا أبناء الطُّلَقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديما ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعنى

(١) الطغام : من لا عقل له ، ولا معرفة عنده .
(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت للعروس يزين بالثياب والستور .
(٣) الغضى : نبات من أجود وقود العرب .

القـوم وأسمعتهم . ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعا، فأفٍّ لحياة فى دهر جرّأ عليك الضحاك . وما الضحاك ؟ وهل هو إلا فَقْع بقَرْقَرة[1]، وقد ظننتُ وبلغنى أن أنصارك قد خذلوك، فاكتب إلىّ يابن أمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببنى أبيك وولد أخيك، فعشنا ماعشت، ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقا[2]، وأقسم بالله الأعز الأجل، أن عيشا أعيشه فى هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنىء ولا مرىء ولا نجيع[3] . والسلام » .

فأجابه علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم :

« أما بعد، كلأنا الله وإياك كَلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم علىّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزدىّ بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبى سَرْح مقبلا من قُدَيد، فى نحو من أربعين شابا من أبنـاء الطلقاء، وإنّ بُنَىّ أبى سرح طال ما كاد الله ورسـوله وكتابه ، وصـدّ عن سبيله ، وبغـاها عِوجا، فدع بنى أبى سرح عنك، ودع قريشا وتَرْكاضَهم فى الضـلالة، وتَجْوالهم فى الشقاق ، فإن قريشا قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبـل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجحـدوا فضله ، وبادَوه[4] بالعـداوة، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليـه كل الجهد ، وساقوا إليـه جيش الأحزاب . اللهم فاجز عنى قريشا الجوازى، فقد قطعت رحمى ، وتظاهرت علىّ، والحمد لله على كل حال .

(١) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة، وهى أردؤها . القرقرة : أرض مطمئنة لينـة . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(٢) فواقا ، بفتح الفاء : ما بين الحلبتين من الوقت ، يريد وقتا قصيرا .

(٣) نجيع : هنىء . (٤) باداه بالعداوة : كاشفه بها .

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة ، ولكنه جاء فى خيل جريدة ، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة ، فمر بواقصة وشَرَاف وما والى ذلك الصقع ، فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هاربا ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن فى السير ، وقد طَفَلت[1] الشمس للإياب ، فاقتتلوا شيئا كَلَا ولا[2] ، فولّى ولم يصبر ، وقُتِل من أصحابه بضعة عَشَر رجلا ، ونجا جَرِيضا[3] بعد ما أُخِذ منه بالمُخَنَّق ، فلأْيا بلأْى[4] مانجا .

وأما ماسألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيى ، فإن رأيى قتالُ المُحِلِّين[5] حتى ألقَى الله ، لا يزيدنى كثرةُ الناس حولى عِزَّة ، ولا تفرُّقهم عنى وحشة ، لأنى مُحِق ، والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت على الحق ، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان مُحِقا .

وأما ماعرضته علىّ من مسيرك إلىّ ببنيك وبنى أبيك[6] ، فلا حاجة لى فى ذلك ، فأقم راشدا مهديا ، فوالله ما أحب أن تهلكوا معى إن هلكت ، ولا تحسَبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرِّعا متخشِّعا ، لكنى أقول كما قال أخو بنى سُلَيم :

فإن تسألينى[7] كيف أنتَ فإننى * صبور على ريب الزمان صَلِيب
يعزّ علىّ أن تُرَى بى كآبة * فيشمتَ عادٍ[8] أو يُساءَ حبيب

والسلام » .

(١) طفلت الشمس للغروب : دنت . (٢) كلا ولا : أى مدة قليلة .

(٣) جريضا : مشرفا على الهلاك ؛ من جرض بريقه : إذا ابتلعه على هم وحزن بالجهد .

(٤) اللأى : المشقة والشدة والجهد . ولأيا بلأى ما نجا : أى نجا بعد مشقة وجهد .

(٥) المحلون : الخارجون من الميثاق والبيعة ؛ يعنى البغاة ومخالفى الإمام . ويقال لكل من خرج من إسلام ، أو حارب فى الحرم ، أو فى الأشهر الحرم : محل .

(٦) كذا فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (١ : ١٥٥) وفى الأصول : بنى أبيك وولد أخيك .

(٧) ف : ولا . (٨) عاد : كذا فى ف ، مب وشرح نهج البلاغة . وفى الأصول : باغ .

٤٧
―
١٥

شعر أم حكيم فى طفليها

رجع الخبر إلى سياقة مَقْتل الصبيين

ثم إن بُسْر بن أرطاة كر راجعا، وانتهى خبره إلى علىّ عليه السلام، أنه قتل عبد الرحمن وقُثَم ابنى عُبيد الله بن العباس، فسرّح حارثة بن قُدامة السعدىّ فى طلبه، وأمره أن يُغِذّ السير، فخرج مسرعا، فلما وصل إلى المدينة، وانتهى إليه قتل علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وبيعة الحسن رضى الله تعالى عنه، ركب فى السلاح، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، فقال: والله لتبايعُنّ ولو بأستاهكم. فلما رأى أهلُ المدينة الجِدّ منه بايعوا للحسن، وكر راجعا إلى الكوفة، فأصاب أمَّ حكيم بنت قارظ ولَهٌ على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تُصْغِى إلى قول من أعلمها أنهما قد قُتلا، ولا تزال تطوف فى المواسم، تنشُد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

صوت

يا من أحس بُنَيَّىَ اللذين هما * كالدُّرّتين تَشظَّى عنهما الصدفُ
يا من أحس بنَيَّىَ اللذين هما * سمعى وقلبى، فقلبى اليوم مختَطَف
يا من أحس بُنَيَّىَ اللذين هما * مُخُّ العظام فمخى اليوم مُزْدَهَفُ
نُبئت بُسْرا وما صدّقت ما زعموا * من قولهم ومِن الإفك الذى اقترفوا
أنحى على ودَجَىْ إبنىَّ مُرْهَفَةً * مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
حتى لقِيت رجالا من أرومته * شم الأنوف لهم فى قومهم شرف
فالآن ألعن بُسْرا حقَّ لعنته * هذا لعمر أبى بُسْرٍ هو السَّرَف
من دَلّ والهةً حَرَّى مُدَلَّهة * على صبيين ضلا إذ هوى السلف

الغناء لأبى سعيد مولى فائد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، يقال إنه له أيضا. وفيه لعَرِيب رمَل نشيد.

دعوة على بن أبى طالب على بسر

قالوا : ولما بلغ علىّ بن أبى طالب عليه السلام قتل بُسْر الصبيين ، جزع لذلك جزعا شديدا ، ودعا على بُسْر لعنه الله ، فقال : اللهم اسلُبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلُبه عقله ! فأصابه ذلك ، وفقدَ عَقْله ، فكان يهذِى بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم(1) ، ثم مات لعنه الله . ٥

عبيد الله بن العباس وبسر

ولما كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية ، دخل عليه عُبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة ، فقال له عبيد الله : أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيد الله : أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتَتْنى عندك . فقال بسر : فقد أنبتتك الآن عندى . فقال عبيد الله : ألا سيف ! فقال له بسر : هاك سيفى . فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله ، أخذه معاوية ، ١٠ ثم قال لبسر : أخزاك الله شيخا قد كبرت وذهب عقلك ، تعمد إلى رجل من بنى هاشم قد وَتَرته وقتلت ابنيه ، تدفع إليه سيفك ، إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بى قبلك . فقال عبيد الله : أجل ، والله ، ثم إذن لثنّيتُ(2) به .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرنى محمد بن مسروق قال : ١٥ قال الأصمعىّ :

٤٨/١٥ يمنى يتقم من أبى بسر

سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها :

يا من أحس بُنَيَّىَّ اللذين هما * كالدرتين تشظّى عنهما الصَّدَف

(1) ف : يضربه ما يشاء . مب : يضربه ماشاء حتى مات .

(2) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : وكنت أثنى به . ٢٠

فرقّ لها، فاتصل ببسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادى أوطاس، فقتلهما وهرب، وقال:

يا بسرُ بسرَ بنى أرطاةَ ما طلعت * شمس النهارِ ولا غابت على ناسِ
خيرٍ من الهاشميّين الذين هُمُ * عين الهدى وسِمام الأشوس[1] القاسى
ما ذا أردت إلى طفلى مُدَلَّهة * تبكى وتندب من أثكلت فى الناس
إما قتلتهما ظلما فقد شرِقت * فى صاحبيك قناتى يوم أوطاس[2]
فاشرب بكأسهما ثُكلا كما شربت * أم الصبيّين أو ذاق ابن عباس

***

صوت

صوت لأم حكيم بنت يحيى

ألا فاسقيانى من شرابكما الوَرْدِى * وإن كنت قد أنفدتُ فاسترهِنا بُرْدِى[3]
سِوارِى ودُملوجى وما ملكت يدى * مباح لكم نَهْبٌ فلا تقطعوا وِردى

عروضه من الطويل. والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاصى بن أميّة بن عبد شمس. والغناء لإبراهيم الموصلى، رمل بالوسطى، من رواية عمرو ابن بانة.

(١) الأشوس: الشديد الجرىء فى القتال.
(٢) ف: فى دار ابن عباس.
(٣) هنا تنتهى مصوّرة مب.

ذكر أم حكيم وأخبارها[1]

قد مضى ذكر نسبها .

أمها وجمالها

وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأم حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : الموصِلة بنت المُوصِلة ، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال .

جدتها

وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : سُعْدَى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبى خارجة بن عوف بن أبى حارثة بن لأْم الطائىّ . وكانت سُعدَى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سَلمة ورَيطة . ثم تُوُفِّى عنها ، فخلف عليها طلحة بن عُبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها ، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلم بنوها ، وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا ، فقالت : إنه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة ، لابد من خروجها ، فتزوجها . فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه ، وزينب ، وهى أمّ أم حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد[2] قريش والمطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة على عبد الملك ابن بشر بن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا ، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة :

أتاك البحرُ طَمَّ على قُريشٍ * مُغيرىّ فقد راغ ابنُ بِشر

قال مصعب الزبيرىّ : هو — يعنى المغيرة — مطعم الجيش بمنى ، وهو إلى الآن يطعَم عنه . قال : وكانت أختـه زينب أحسن الناس وجها وقدّا ، وكأن أعلاها

(١) من هنا يبدأ الجزء الخامس عشر من المخطوطة رقم ١٣١٩ أدب . (٢) ف : جوداء .

٤٩/١٥

قضيب ، وأسفلها كثيب ، فكانت تسمى الموصِلة . وسميت بنتها أم حكيم بذلك ، لأنها أشبهتها .

أخبرني[١] عمى قال : حدثنى ابن أبى سعد قال : حدثنى على بن محمد بن يحيى الكنانىّ عن أبيه قال :

حسن جسدها

٥ كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصِلة[١] :

زواجها من يحيى ابن الحكم

قال مصعب : فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم ، فولدت له عبد العزيز ابن أبان ، ثم مات عنها ، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا إلى عبد الملك ، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن : كم الذى تأمُل من عبد الملك؟ والله لا يزيدها على ألف دينار ، ولا يزيدك على خمس مِئة دينار ، ولها عندى خمسون ١٠ ألف دينار ، ولك عندى عشرة آلاف دينار[٢] إن زوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك . فغضب عليه عبد الملك . وقال : دخل علىّ فى خِطبتى . والله لا يخطب على مِنبر مادمت[٣] حيا ، ولا رأى منى ما يحب ، فأسقطه . فقال يحيى : لا أبالى ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبى سعد : وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيِّبى قال : حدثنى ١٥ عبد الملك بن إبراهيم الطلْحىّ :

أنها لما خُطبت قالت : لا أتزوج والله أبدا إلا من يغنى أخى المغيرة . فأرسل إليها يحيى بن الحكم : أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت : نعم . قال : فهى له ، ولك مثلها . فقالت : ما بعد هذا شىء . أرسل إلى أهلك شيئا من طِيب ، وشيئا من كسوة .

٢٠ (١-١) الخبر ساقط من ف . (٢) ف : درهم . (٣) ف : مادام .

قال : ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال : لقد تزوجتْ أَفْوَهَ غليظ الشفتين . فقالت زينب : هو خير من أبى الذِّبّان فمًا ، فما له يعيبه بفمه ؟ وقال يحيى : قولوا له أقبح من فمى ما كَرِهَتْ من فمك .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو غَسّان ، عن عبد العزيز بن أبى ثابت ، عن عمه محمد بن عبد العزيز : ٥

أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها ، وكتب إليه أن يَلْحق به ، وكان بفلسطين أو بالأُردنّ ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربع مئة دينار لزينب ، ولك عندى ثلاثون ألف دينار ، سوى صداق زينب . فقال المغيرة : أَوَتنقل إلىّ المال قبل عقد النكاح ؟ قال : نعم ، فنقل إليه ١٠ المال . فتجهز المغيرة ، وسيَّر ثَقَله ، ثم دخل على يحيى فزوجه ، وخرج إلى المدينة ، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة ، فلما أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن ، بثلاثين ألف دينار ، وأعطاه إياها ، ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى ، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول :

ألا لا أبالى اليوم ما فعل الدهرُ * إذا بقيت لى كعكتان وزينب ١٥

زواج أم حكيم من عبد العزيز ابن الوليد

قال : وكانت زينب تسمى المُوصِلة ، من حسن جسدها ، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، تزوجها فى حياة جده عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما ، عقد فى مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا فى ذلك أشعارا كثيرة يرويها الناس ، فاختير منهم جرير وعدىّ بن الرقاع ، فدخلا ، وبدأ عدىّ لموضعه منهم ، فقال : ٢٠

قَمَرُ السماء وشمسُها اجتمعا * بالسَّعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلَهما * مَن ذا رأى هذا ومن سمعا؟
دام السرور له بها ولها * وتَهَنَّيا طول الحياة معا

٥٠ / ١٥

وقال جرير :

جَمع الأمير إليه أكرم حرةٍ * فى كل ما حالٍ من الأحوال
حَكَمِيَّة علَتِ الروابِىَ كلَّها * بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ * فخرتهمُ بالسَّيِّد المفضال
عبد العزيز ومن يكلِّف نفسه * أخلاقه يلْبَثْ بأكسف بال
هنأتكم بمودّة ونصيحة * وصدقت فى نفسى لكم ومقالى
فلتهنِك النِّعَم التى خُوِّلتَها * ياخير مأمول وأفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعدىّ بن الرقاع بمثلها ، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير . فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة ، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، فملكته وأحبها ، وذهبت بقلبه كل مذهب ، فلم ترض منه إلا بطلاق أمّ حكيم ، فطلقها ، فتزوجها هِشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز ، فتزوج هشام ميمونة أيضا ، وكان شديد المحبة لأم حكيم ، فطلق لها ميمونة ، اقتصاصا لها منها فيما فعلته بها فى اجتماعهما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتك منها؟ فقالت : نعم . فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بنى أمية ، وكان أحد من يطعُن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويغرى الناس به .

كأس أم حكيم

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه. وكأسها الذى كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه[1] يقول الوليد بن يزيد:

صوت

عَلِّلانى بعاتقات الكروم * واسقيانى بكأس أمّ حكيم
إنها تشرب المدامة صِرفا * فى إناء من الزجاج عظيم
جَنِّبونى أذاة كل لئيم * إنه ما علمتُ شرُّ نديم
ثم إن كان فى النّدامَى كريم * فأَذيقوه مَسّ بعض النعيم
ليت حظى من النساء سُلَيْمَى * إن سَلْمَى جَنّتِى ونعيمى
فدَعونى من الملامة فيها * إن من لامنى لغيرُ حليم[2]

عروضه من الخفيف. غناء عمر الوادى[3] من رواية يونس. وفى رواية إسحاق: غناه الغُزَيل أبو كامل: خفيف رمل بالسبابة فى مجرى البنصر.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاما، فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أوَ تصدقه الفاسقَ فى شىء، فتصدقَه فى هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

يزيد بن هشام والوليد بن يزيد يتهاجيان

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فقال:

فحَسْب أبى العباس كأس وقَيْنةٌ * وزِقّ إذا دارت به فى الذوائب
ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك * ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه، و يعيره بشرب أمه الشراب:

(١) نصت كتب اللغة على أن الكأس مؤنثة. وقد جرى المؤلف فى عبارته على تذكيرها. ولعله أراد معنى القدح أو الإناء. (٢) كذا فى ف، وفى الأصول: رحيم. (٣) ف: عمرو بن بانة.

إن كأس العجوز كأس رَواءٌ * ليس كأس ككأس أمّ حكيمِ

إنها تشرب الرّساطون صِرْفا * فى إناء من الزجاج عظيمِ

لو به يشرب البعيرُ أو الفيـ * ـل لظَلاّ فى سكرة وغُموم

ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ * ـق فوافى لذاك غير حليم

أبو شاكر بن هشام وولاية العهد

٥ وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة، ويُكْنى أبا شاكر، وكان هشام ينوِّه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عُروة بن أُذينة — لما وفد على هشام — وفرّق فى الحجاز على أهلها مالا كثيرا، وأحبه الناس ومدحوه :

أتينا نَمُتُّ بأرحامنا * وجئنا بأمر أبى شاكرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى حياة أبيه، وأشاع ذلك وغَنّى فيه،

١٠ وأراد أن يعيره بذلك :

صـــوت

يأيها السائلُ عن ديننا * نحن على دين أبى شاكر

نشربُها صِرْفا وممزوجةً * بالسخن أحيانا و بالفاترِ

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه :

١٥ يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبى شاكرِ

الواهبِ البُزْلِ بأرسانها * ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنىّ :

أن هشاما لما أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبدالله القَسْرىّ، فقال خالد : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ قوله هشاما، فكان سبب

٢٠ إيقاعه به .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن موسى قِمَطر، عن إسماعيل بن مجمع قال :

كأس أم حكيم فى خزائن المأمون والمعتمد

كنا نخرج ما فى خزائن المأمون (١) من الذهب والفضة، فنزكّى عنه، فكان فيما يُزَكّى عنه، قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا . قال محمد بن موسى : سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال : كأس كبير من زجاج أخضر، مَقْمضه من ذهب . هكذا ذكر إسماعيل .

وقد حدثنى على بن صالح بن الهيثم بمثله (٢)، قال : حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائىّ قال :

لما أخرج المعتمد ما فى الخزائن ليباع، فى أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم، فكان كأسا مدوّرا على هيئة القِحْف (٣)، يسع ثلاثة أرطال، فقُوِّم بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله فى الخزانة، مع خساسة قدره، فسألنا الخازن عنه . فقال : هذا كأس أمّ حكيم، فرددناه إلى الخزانة . ولعل الذهب الذى كان عليه أخذ منه حينئذ، ثم أُخرج ليباع .

محمد بن الجنيد الختلى وكأس أم حكيم

قال محمد بن موسى : وذكر لى عُبيد الله بن محمد عن أبى الأغرّ، قال : كنا مع محمد بن الجُنيد الخُتّلىّ أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته :

عَلِّلانى بعاتقات الكروم * واسقيانى بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحَر، فوافاه كتّاب خليفته فى دار الرشيد : إن الخليفة على الركوب . وكان محمد أحد أصحاب الرشيد، ومن يقدِّم دابته، فقال : ويْحكم ! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لى عذرا وأنا سكران . فقالوا : لا بدّ من

(١) ف : كنا نخرج من دار الملوك من الذهب ... (٢) ف : كرحلة .
(٣) القحف : العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة .

الركوب، فركب على تلك الحال؛ فلما قدّم إلى الرشيد دابته، قال له : يا محمد، ما هذه الحال التى أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأى أمير المؤمنين فى الركوب، فشربت ليلى أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره .

فقال له : عُدْ إلى منزلك، فلا فضلَ فيك ، فرجع إلينا وخبّرنا بما جرى ، وقال : خذوا بنا فى شأننا ، فجلسنا على سطح، فلما متَع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذون ، فى يده شىء مُغَطًّى بمنديل، قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا، وقال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم ، لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها فى صَبوحك . فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم ، وقبّلها، وصب فيها ثلاثة أرطال، وشربها قائما ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مئتى دينار ، وغَسَل الكأس، وردّها إلى موضعها، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير، حتى بقى معه أقلُّها .

* * *

الأعشى يهجو علقمة بن علاثة

صــوت

علقمَ ما أنت إلى عامرٍ * الناقضِ الأوتارِ والواترِ (١)

إن تَسُدِ الحُوصَ فلم تعدُهم * وعامر سادَ بنى عامرِ

عهدى بها فى الحى قد دُرِّعت * صفراءَ مثل المُهْرة الضامرِ

قد حجمَ الثدىُ على صدرها (٢) * فى مُشْرِق ذى بهجة ناضرِ

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة أولها :

شاقتك من قتلة أطلالها * بالشط فالوتر إلى حاجر

وهى فى الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطى، مع اختلاف كثير فى الترتيب والألفاظ .

(٢) كذا فى ف والديوان . وفى الأصول : نحرها .

لو أسندت مَيتا إلى نحرِها * عاش ولم يُحْمَل[1] إلى قابر

حتى يقولَ الناس مما رأوا * يا عَجَبًا للميّت الناشر

عروضه من السريع . والشعر للأعشى : أعشى بنى قيس بن ثعلبة ، يمدح عامر ابن الطُّفيل ، ويهجو علقمة بن عُلاثة .

والغناء لمعبد فى الثالث وما بعده ، خفيف ثقيل الأول بالبنصر . وفى الأبيات ٥ لحُنين ثقيل أول مطلق ، فى مجرى البِنْصر ، عن إسحاقَ . وفيها أيضا لحن آخر ذكره فى المجرد ولم يُجَنِّسه ، ولم ينسبه إلى أحد .

(١) كذا فى ف : وفى الأصول والديوان وشرح شواهد المغنى : « ينقل » .

الخبر فى هذه القصة، وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أسانيد هذه القصة

أخبرنى بذلك محمد بن الحسن بن دُرَيد إجازة، عن أبى حاتم، عن أبى عبيدة، ونسخت من روايات ابن الكلبى عن أبيه، ومن رواية [1]دَمَاذ والأثرم عن أبى عبيدة والأصمعىّ[1]، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل، ومن رواية أبى عمرو الشيبانىّ عن أصحابه؛ فجمعت رواياتهم، ولكل امرئ منهم زيادة على صاحبه، ونقصان عنه، واللفظ مشترك فى الروايات، إلا ما حكيته مفردا.

قال ابن الكلبىّ: حدثنى أبى ومُحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفرىّ، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن[1] مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا:

٥٣/١٥

سبب المنافرة بين عامر وعلقمة

أولُ[2] ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وبين علقمة ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص —

وأم عامر: كبشة بنت عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية، فارس الهَرّار، ابن عبادة بن عَقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وأم أبيه الطُّفيل: أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة.

قال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبى سفيان بن هلال ابن النَّخَع سبِيّة، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيْطان بن بكر بن عوف بن النخع مَهيرة —

(١–١) العبارة ساقطة من ف. (٢) مبتدأ، خبره فى أوّل الصفحة التالية.

أن علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول ، فبصُر به عامر، فقال : لم أرَ كاليوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما تثب على جاراتها ، ولا تنازل كَنّاتها[1]؛ يعرّض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم ! والله لفرس أبى « حنوة »[2] أذكر من أبيك، ولفحل أبى « غيهبُ » أعظم ذكرا منك فى نجد . قال : وكان فرسه فرسا جوادا ، نجا عليه يوم بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان ، وكان فحله فحلا لبنى حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

قال الأثرم : وأخبرنى رجل من جهينة بدمشق ، قال : هو الأشعر[3] بن صِرمة .

قال : الأثرم : سمى صِرمة غيهب[4] لسواده .

قال ابن الكلبىّ : فاستعاره منهم يستطرقه[5] ، فغلبهم عليه ، فقال علقمة : أما فرسكم فعارة[6]، وأما فحلكم فغدرة . ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت .

فقال عامر : والله لأنا أكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قصبا .

فقال علقمة : لأنا خير منك ليلا ونهارا .

فقال عامر : لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك .

فقال علقمة : على ما ذا تنافرنى يا عامر ؟

فقال عامر : أنافرك على أنى أنحر منك للّقاح، وخير منك فى الصباح[7]، وأطعم منك فى السنة الشِّياح[8] .

(١) كذا فى الأصول . والكنة : امرأة الابن أو الأخ . ولعل كلمة : تنازل ، محرفة عن « تغازل » . وفى سرح العيون (١٠٧) : ولا تنازل إلا كفاتها . (٢) حنوة : كذا فى نسب الخيل لابن الكلبى ٧٦ والمخصص (٦ : ١٩٦) وتاج العروس « حنو » . وفى الأصول : حيوة . (٣) كذا فى الأصل . ولعله للأشعر . (٤) كذا فى الأصل . ولعل صوابه : وسمى فحل صرمة غيهبا لسواده . (٥) يستطرقه : يتخذه فحلا لنوقه ، ليحسن نتاجها . (٦) عارة : عارية . (٧) فى الصباح : أى عند الغارة على الأعداء . (٨) الشياح : القحط ، يريد السنة المجدبة .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنى جبان ، ولأن تلقى العدو وأنا أمامك ، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك . وأنت جواد والنـاس يزعمون أنى بخيـل ، ولست كذلك ، ولكن أنافـرك أنى خير منـك أثرا ، وأحدُّ منك بصرا ، وأعز منك نفرا ، وأسرح منك ذِكْرا (١) .

فقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضل على بنى مالك فى العـدد ، وبصرى ناقص ، وبصرك صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أُمّة (٢) ، وأطول منـك قِمّـة ، وأحسن منك لِمّـة ، وأجعد منك جُمّة ، وأبعد منك همّة .

قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قضيف ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ، ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى .

فقـال عامر : آباؤك أعمامى ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنى أنافرك أنى خير منك عَقِبا ، وأَطْعَمُ منك جَدْبا .

قال علقمة : قد علمت أن لك عَقِبا فى العشيرة ، وقد أُطْعَمت طيبا (٣) إذ سارت ، ولكنى أنافرك أنى خير منـك ، وأولى بالخيرات منـك ؛ وقد أكثرنا المراجعـة منذ اليوم .

قال : فخرجت أم عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال أبو المنذر : قال أبو مسكين : قال عامر فى مراجعته : والله لأنا أركب منك فى الحُمَـاة ، وأقتل منك للكُماة ، وخير منك للولى والمولاة .

(١) أسرح : أبعد . وفى الأصول عداف : أشرف . (٢) أى أكثر قوما .
(٣) فى بعض الأصول : « طبنا » .

فقال له علقمة : والله إنى أعز منك . إنى لبرّ وإنك لفاجر، وإنى لوفىّ وإنك لغادر، ففيم تفاخرنى يا عامر؟ فقال عامر : والله إنى لأنْزَل منك للقفرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهَبْرة[1]، وأطعن منك للثُّغْرة[2].

54/15 فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر، نَكِد النظر، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر.

5 فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامرا، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بالكِبَر. فقال له علقمة هذا القول.

فقال عامر : عنز وتيس، وتيس وعنز[3]، فذهبت مثلا. نعم على مِئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم، أينا نُفِّرَ عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك،
10 ووضعوا بها رهُنا من أبنائهم، على يدى رجل من بنى الوحيد، فسمى الضَّمين إلى الساعة، وهو الكفيل.

قال : وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد، وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو بَراء، فقال : يا عماه، أعِنِّى. فقال : يابن أخى، سُبَّنى. فقال : لا أسبك وأنت عمى. قال :
15 فسُبَّ الأحوص. فقال عامر : ولا أسب والله الأحوص وهو عمى، فقال : فكيف إذن أعينُك، ولكن دونك نعلى، فإنى قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعا، فاستعن بها فى نفارك.

(١) القطعة المجتمعة من اللحم.

(٢) ف : للنبرة. ولعل صحتها : للنثرة، بمعنى الخيشوم وما والاه.

20 (٣) يريد : مثلى ومثلك كالعير والتيس، أو كالتيس والعنز، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز.

اختيار الحكم بينهما

وجعلا منافرتهما إلى أبى سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئا ، وكره ذلك لحالها وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتى البعير الأدرم[1] ، تقعان بالأرض . قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاكما اليمين . وأبى أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبى جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة ٥ ابن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال :

يالَ قريش بيِّنوا الكلاما * إنا رضينا منكم الأحكاما
فبيِّنوا إن كنتمُ حكّاما * كان أبونا لهمُ إماما
وعبد عمْرٍو منع الفِئاما * فى يوم نَحْرٍ مُعْلَمٍ إعلاما
ودَعْلَجٌ أقدمه إقداما * لولا الذى أجشمهم إجشاما
١٠ * لاتخذتْهم مَدْرجِ نَعاما *

قال : فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا .

وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئا . فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعَتِّب الثَّقَفى، فردهما إلى حَرْملة ابن الأشعر المُرِّى ، فردهما إلى هَرِم بن قُطْبة بن سنان بن عمرو الفَزارى، فانطلقا ١٥ حتى نزلا به .

هرم بن قطبة يحكم بينهما

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى : إنهما ساقا الإبل معهما ، حتى أشْتَتْ وأربعت ، لا يأتيان أحدا إلا هاب أن يقضى بينهما ؛ فقال هرم : لعمرى لأحكمن بينكما ، ثم لأفصلن ، ثم لست أثق بواحد منكما ، فأعطيانى موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلّما لما قضيت بينكما ، وأمرهما

٢٠ (١) الأدرم : الذى تراكب لحمه وشحمه حتى غطى عظامه ، والذى ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، أو الذى لا أسنان له .

بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببنى الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور، ينحرون فى كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بنى مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، ولم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنيـة إلا وجدت الأحوص مُنيخا بها، وكره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر[1] فيما كره من منافرتهما، ودعاء عامر إياه أن يسير معه:

أأُومر أن أَسُبَّ أبا شُريح * ولا والله أفعـلُ ماحييتُ

ولا أُهـدِى إلى هرم لِقاحا * فيُحيِي بعـد ذلك أو يُميتُ

أُكَلَّف سعىَ لُقمان بن عاد * فيـال أبى شُرَيْح ما لقيتُ

قال: وأبو شريح: هو الأحوص. فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما. وقال عبدُ عَمْرِو بن شُرَيح بن الأحوص:

لَحَى الله وَفْدينا وما ارتحلا به * من السَّوءة[2] الباقى عليهم و بالُها

ألا إنما يُرْدى صِفاقَ[3] متينـة * أبى الضيم أعلاها وأُثبتَ حالُها

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبِى الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غنىّ: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بنى مالك تنافر بنى الأحوص ومعهم القباب والجُزُر، وليس معك شىء تطعمه النـاس! ما أسوأ ما صنعت! فقـال عامر لرجلين من بنى عمه: أحصيا كل شىء مع علقمة من قُبة أو قِدْر أو لَقحة. ففعلا. فقال عامر: يا بنى مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخَصُوا بمثـل

(١) المراد به عامر بن مالك أبو براء، وهو عم عامر بن الطفيل.

(٢) ف: النبوة. (٣) ف * ألا إنما تردى صفاه متينا *

الشعراء مع المتنافرين

ما شَخَصوا به، ففعلوا . وثار مع عامر لَبِيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطيئة وفتيان من بنى الأحوص، منهم السِّنْدرىّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سُراقة ابن قَتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد :

يا هرِما وأنت أهلُ عدلِ * إن نُفِّر(1) الأحوص يوما قبلى

٥ ليذهبَنَّ أهلُه بأهلى * لا تجمعَنَّ شكلَهم وشكلى

* ونسلَ آبائهم ونسلِى *

وقال أيضا :

إنى امرؤ من مالك بن جعفرِ * علقمَ قد نافرت غيرَ مُنْفَرِ

* نافرتَ سَقْبا من سِقاب العَرْعَر *

١٠ فقال لحافةُ بن عوف بن الأحوص :

نهنهْ إليك الشعرَ يا لَبيدُ * واصْدُد فقد ينفعك الصُّدود

ساد أبونا قبل أن تَسودوا * سُؤْدُدُكم مُطَّرف زَهيد

وقال أيضا :

إنى إذا ما نُسى الحياءُ(2) * وضاع يوم المَشهد اللِّواء

١٥ أُنْمَى وقد حُقَّ لىَ النماءُ(3) * إلى ذكور ذِكرها سَناء

إذ لا تزال جَلدةٌ(4) كَوماء * مبقورةً لسَقْبها دعاء

لم يَنْهنا عن نحرها الصفاء * لنا عليكم سُورَة(5) وِلاءُ

* المجدُ والسُؤْدُدُ والعَطاء *

---

(١) ف : ينفر . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : * إنى إذا أكننى الجفاء *

٢٠ (٣) كذا فى ف . وفى الأصول : كهول . (٤) جلدة : كذا فى ف . وهى الناقة الغزيرة اللبن، أو الصلبة القوية على السير . وفى الأصول «جلة» : والسقب : ولد الناقة . ودعاء : كذا فى ف . وفى الأصول : رغاء، وهما بمعنى . (٥) السورة بضم السين : المنزلة الرفيعة .

وقال أيضا :

أنتم هزلتم عامر بن مالك * فى شتوات مضر الهوالك

* يا شر أحياء وشر هالك[1] *

قال : وأنشدها السندرى يومئذ ، ورفع صوته ، فقيل : من هذا ؟ فقال :

أنا لمن أنكر صوتى السندرى * أنا الفتى الجعد الطويل الجعفرى ٥

* من ولد الأحوص أخوالى غنى *

٥٦/١٥ فقال عامر : أجب يا لبيد ، فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأن السندرى كانت جدته أمة اسمها عيساء ، فقال :

لما دعانى عامر لأسبهم[2] * أبيت وإن كان ابن عيساء ظالما

لكيلا يكون السندرى نديدتى * وأشتم أعماما عموما عماعما[3] ١٠

وأنشر من تحت القبور أبوة * كراما هم شدوا على التمائما

لعبت على أكتافهم وحجورهم * وليدا وسمونى مفيدا[4] وعاصما

ألا أينا ما كان شرا لمالك * فلا زال فى الدنيا ملوما ولائما

قال : ووثب الحطيئة ، فقال :

ما يحبس الحكام بالفصل[5] بعدما * بدا سابق ذو غرة وحجول ١٥

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : يا شرنا حيا . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : لأجيبهم .

(٣) عموما : مجتمعين . والعماعم : الجماعات المتفرقة . ورواية الشطر الثانى فى اللسان :

* وأجعل أقواما عموما عماعما *

وشرحه فيه ، أى أجعل أقواما مجتمعين فرقا .

(٤) كذا فى ف ، وفى بقية الأصول : وليدا . ٢٠

(٥) كذا فى الأصول ، وفى ف : بالفضل .

وقال أيضا :

يا عامِ قد كنت ذا باعٍ ومكرمة * لو أن مَسعاة من جاريتَه أَمَمُ
جاريت قَرْما أجاد الأحوصان به * سمحَ اليدين وفى عِرْنينه شَمَمُ
لا يصعُبُ الأمرُ إلّا ريثَ[1] يركبُه * ولا يبيت على مالٍ له قَسَمُ
هابتْ بنو مالك مجدا ومَكْرُمَةً * وغايةً كان فيها الموتُ لو قَدِموا ٥
وما أساءوا فِرارا عن مُجَلِّحةٍ[2] * لا كاهنٌ يَمتَرِى فيها ولا حَكَمُ

رفق الحكم ودهاؤه

قال : وأقام القوم عنده أياما ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرا ، لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر ، قد كنتُ أرى لك رأيا ، وأن فيك خيرا ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلا لا تفخَر أنت وقومُك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ ١٠

قال عامر : أَنْشُدُكَ الله والرَّحِم أن لا تُفَضِّل علىّ علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أُفلح بعدها أبدا . هذه ناصيتى فاجْزُزها ، واحتكم فى مالى ، فإن كنت لا بدّ فاعلا فسوّ بينى وبينه . قال : انصرف ، فسوف أرى رأيى . فخرج عامر وهو لا يشك أنه يُنَفِّره عليه .

ثم أرسل إلى علقمة سِرّا ، لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : ياعلقمة ، والله إن كنتُ لأحسب فيك خيرا ، وأن لك رأيا ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك . أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غَناء ، وأحمدُهم لِقاء ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أَنْشُدك الله والرَّحِم ألّا تُنَفِّر علىّ عامرا . اجْزُز ناصيتى ، واحتكم فى مالى ، ١٥

(١) ف : حيث .
(٢) المجلحة : المصيبة التى تستأصل كل شىء . وفى ف : مجلجلة ، أى مدوية بعيدة الذكر . ٢٠

وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بينى وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيى . فخرج وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامرا .

قال أبى : وسمعت أن هَرِما قال لعامر حين دعاه : يا عامر ، كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرم ؟ قال : لأنه أنجل منك عَيْنا فى النساء ، وأكثر منك نفيرا عند ثورة الدعاء . قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أكثر منك نائلا فى الثّراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامرا ؟ قال : ولم يا هَرِم ؟ قال : هو أنفذ منك لسانا ، وأمضى منك سِنانا . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال : نعم . هو أقتل منك للكُماة ، وأفك منك للعُناة .

دهاء الحكم

قال : ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إنى قائل غدا بين هذين الرجلين مَقالة ، فإذا فعلتُ فليطرُدْ بعضكم عَشْرَ جَزَائر فلْيَنْحَرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، فلينحَرْها عن عامر ، وفرِّقوا بين الناس ، لا تكون لهم جماعة .

وأصبح هَرِم ، فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لَبِيد فقال :

يا هرِمَ ابنَ الأكرمين مَنصِبا * إنك قد وُلِّيتَ حُكما مُعْجِبا
فاحكم وصوِّب رأس من تصوّبا * إن الذى يعلو علينا تُرتُبا[1]
لخَيِّرُنا عما وأما وأبا * وعامرٌ خيرهما مُرَكَّبا
* وعامر أدنى لقيس نسبا *

الفصل فى المنافرة

فقام هرم فقال : يا بنى جعفر ، قد تحاكمتما عندى ، وأنتما كركبتى البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم .

(١) ترتبا : أبدا ، أو جميعا .

وعمّد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر، فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشرا، وعن عامر عشرا، وفرقوا الناس، فلم يفضّل هرم واحدا منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهما ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شرا.

سبب انضمام الأعشى إلى عامر

٥ قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخُفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفَره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال:

عَلْقَمَ ما أنت إلى عامرٍ * الناقِضِ الأوتارِ والواتِرِ

ثم أتمها بعد النِّفار. فلما بلغ علقمةَ ما قال الأعشى، وأشاع فى العرب أن هرما
١٠ قد فضّل عامرا، توعّد الأعشى، فقال الأعشى:

* لعمرى لئن أمسى من الحىّ شاخصا *

الخليفة عمر وهرم بن قطبة

قال ابن الكلبى: حدّثنى أبى قال: فعاش هرم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطاب رضى الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أىّ الرجلين كنت مفضلا لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة، ولبلغتْ شِعاف
١٥ هَجَر. فقال عمر: نِعم مستودعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم، مثلُك هذا فليَسُد العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم.

قال مؤلف الكتاب[1]:

إسلام علقمة

وقد أدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب. فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومى إلى بنى كلاب ليوقع بهم، وعلقمة يومئذ

٢٠ (١) كذا فى ف، وفى بقية الأصول: «قال أبو الفرج الأصبهانى».

رئيسهم، هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه، فأعلمه أنه قد نَزَع عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمّنه . هكذا ذكر المدائنىّ .

وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك .

حدثنا محمد بن جرير الطبرىّ قال: حدثنا السرىّ بن يحيى، قال: حدثنا شعيب ابن إبراهيم، عن سَيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال : ٥

كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومن لافّها [(١)] ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم، ثم خرج بعد فتح الطائف ، حتى لحق بالشام مرتدا، فلما تُوفى النبى صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعا، حتى عسكر فى بنى كعب، مقدّما رجلا ومؤخرا أخرى ، و بلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه، فبعث إليه سَرِيّة، وأمّر عليها القَعقاع بن عمرو، وقال : يا قعقاع، سر حتى تغير على علقمة بن علاثة، ١٠ لعلك تأخذه لى أو تقتله . واعلم أن شفاء النفس الحُوْص ، فاصنع ما عندك . فخرج فى تلك السرية حتى أغار على الماء الذى عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رحل ، فسابقهم على فرسه مراكضة ، وأسلم أهله وولده ، واستبى القعقاعُ امرأة علقمة و بناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبى بكر رضى الله عنه، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره، ١٥ وكانوا مقيمين فى الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك . وقالوا لأبى بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة ، فقبل ذلك منه .

٥٨ / ١٥

نهى النبى حسان عن إنشاده هجاء علقمة

أخبرنا الحَرَمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا عمرو ابن عثمان قال :

(١) لا فها : كذا فى ف . وفى الأصول : والاها . وهما بمعنى واحد . ٢٠

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما حدّث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ويُصغِى إليهم ويتبسم ، فبينا هم يوما على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب ، إذ سمع حسانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بنى قيس بن ثعلبة ، علقمةَ ابن عُلاثة ، ومديحه عامر بن الطفيل :

علقمَ ما أنت إلى عامرٍ * الناقضِ الأوتارِ والواترِ

إن تَسُد الحُوص فلم تَعْدُهمْ * وعامرٌ سادَ بنى عامر

ساد وألفَى رهطه سادة[1] * وكابرا سادوك عن كابرِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُفَّ عن ذكره يا حسان ، فإن أبا سفيان لما شعَّث[2] منى عند هرقل ، ردّ عليه علقمة ، فقال حسان بن ثابت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، من نالتك يدُه فقد وجب علينا شكره .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا المدائنى ، عن أبى بكر الهذلىّ قال :

الحطيئة وعلقمة ابن علاثة

لما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحطيئة من حبسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لى كتابا إلى علقمة بن عُلاثة ، لأقصده به ، فقد منعتنى التكسب بشعرى . فقال : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إن علقمة ليس بعاملك ، فتخشى أن تأثم ، وإنما هو رجل من المسلمين ، تشفع له إليه . فكتب له بما أراد ، فمضى الحطيئة بالكتاب ، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره ، فوقف عليه ، ثم أنشد قوله :

لعمرى لنعم المرءُ من آل جعفرٍ * بحَورانَ أمسى أعْلَقَتْه الحبائلُ

فإن تحىَ لا أملَل حياتى وإن تمت * فما فى حياةٍ بعد موتك طائل

وما كان بينى لو لقيتُك سالما * وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : قومه .
(٢) شعث منى : عابنى .

فقال له ابنه : يا حطيئة ، كم ظننت أن علقمة يعطيك ؟ قال : مِئة ناقة . قال : فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها . فأعطاه إياها .

علقمة وخالد وعمر بن الخطاب

أخبرنى الحَرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدثنى عمر ابن أبى بكر قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد والضحاك بن عثمان قالا :

لمـا قدم علقمة بن عُلاثة المدينة ، وكان قد ارتد عن الإســلام ، وكان لخالد ٥ ابن الوليد صديقا ، لقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد فى جوف الليل ، وكان عمر يُشَبَّه بخالد ، وذلك أن أمه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، فسلم عليه ، وظن أنه خالد ، فقال : أَعَزَلَك؟ قال : كان ذلك . قال : والله ما هو إلا نفاسةٌ عليك ، وحسد لك . فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك؟ قال : مَعاذ الله ، إن لعمر علينـا سمعا وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه . فلما أصبح ١٠ عمر رضى الله عنه أذن للناس ، فدخل خالد وعلقمة ، فجلس علقمة إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيهِ يا علقمة ، أأنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد ، فقال : يا أبا سليمان ، أفعلتها ؟ قال : ويْحك والله ما لقيتك قبل ما ترى ، وإنى لأراك لقيت الرجل . قال : أُراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعتَ إلا خيرا . قال : أجل . فهل لك أن أولِّيك حَوْران؟ ١٥ قال : نعم . فولاه إياها ، فمات بها . فقال الحطيئة يرثيه :

٥٩ / ١٥

رثاء الحطيئة علقمـة

لَعمرى لنعم الحىُّ من آل جعفرٍ * بحَوْران أمسى أقصدته الحبائل
لقد أقصدَتْ جُودا ومجدا وسؤددا * وحلما أصيـلا خالفته المجاهـل
فإن تَحى لا أَمْلَلْ حياتى وإن تمت * فمـا فى حياةٍ بعـد موتك طائلُ

وفى أول هذه القصيدة التى رَثَى بها الحطيئة علقمة غِناء نسبْته : ٢٠

صـــــوت

أرى العِيسَ تَخْدِى بين قَوٍ فضارجٍ * كما لاح فى الصبح الأَشاءُ الحوامِلُ
فأَتبعتهـــمْ عيـنَىَّ حتى تفرقَتْ * مع الليل عن ساق الفريدِ الجمَائل
فلأْيا قصرتُ الطرفَ عنهم بجَسرةٍ * أمـــونٍ إذا واكلتُهـا لا تواكِلُ

٥ غنى فى هذه الأبيات سائب خاثر ثانىَ ثقيل بالوُسْطَى ، من رواية حماد بن إسحاق والهشامىّ .

* * *

صـــــوت

رثاء لأبى العباس الأعمى فى بنى أمية

لَيتَ شـعرى أفاحَ رائحـةُ المسـ * ـكِ وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسِى
١٠ حينَ غابَتْ بنو أُمَيّـة عنـه * والبهاليـلُ من بنى عبـد شمسِ
خُطَـباءٌ على المنـابر فُرْسـا * نٌ عليهـا وقالةٌ غـيرُ خُرْسِ

إخال : أظن . خِلْت كذا وكذا ، فأنا إخاله : إذا ظننته ، وخال علىّ الشىءُ يَخيل : إذا شككت فيه . وليت شعرى : كلمة تقولها العـرب عند الشىء تحبُّ علمه ، وتسأل عنه .

١٥ وأخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال : حدثنى عُمَر بن شَـبّة قال : سأل رجل أبا عبيدة : ما أصل "ليت شعرى"؟ فقال : كأنه قال : ليتنى شَعَرْت بكذا وكذا ، ليتنى علمت حقيقته .

الشعر لأبى العباس الأعمى ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالبنصر فى مجراها .

أخبار أبى العباس الأعمى

نسبه

هو السائب بن فَرُّوخ مولى بنى لَيث . وقيل إنه مولى بنى الدِّيل، وهذا القول هو الصحيح .

ذكر محمد بن معاوية الأَسَدىّ، عن المدائنىّ والواقدىّ :

أن أبا العباس الأعمى الذى يَروى عنه حَبيب بن أبى ثابت، مولى جَذِيمة بن علىّ ابن الدِّيل[1] بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بنى أمية المعدودين، المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذى يقول فى أبى الطفيل عامر بن واثلة، صاحب علىّ بن أبى طالب عليه السلام :

لعمرك إننى وأبا طُفَيلٍ * لمختلفان، والله الشهيدُ
أرى عثمانَ مهتديا ويأبى * متابعتى وآبَى ما يريد

أخبرنى بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبى سعد .

روايته الحديث

وقد رَوَى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث ، وروى عنه عطاء، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبى ثابت[2] .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبى العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر، قال : إنما جَمْعٌ[3] منزل تُدْلِج منه إذا شئت .

(١) ف : على وبنى الديل . وفى نكت الهميان للصفدى : مولى لبنى جذيمة بن عدى بن الديل . نقله عن المرزبانى فى معجمه . (٢) قال الخزرجى فى الخلاصة : السائب بن فروخ المكى أبو العباس الشاعر . عن عبد الله بن عمرو وابن عمر . وعنه حبيب بن أبى ثابت ، وعمرو بن دينار . وثقه أحمد . وزاد الصفدى فى نكت الهميان : وروى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .
(٣) جمع : اسم للمزدلفة .

قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن دَلان(١) الحَيْشي ، قال : حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدّثنا أبو ضمرة قال : حدّثني أبو الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي ذئب ، عن أبي العباس ، عن سعيد بن المسيب قال : قال علي بن أبي طالب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٥ إسباغ الوضوء على المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، يغسل الخطايا غسلا .

حدّثني : أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال : حدّثنا أبو قِلابة قال : حدّثنا بشر بن عمر قال : حدّثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال :

سمعت أبا العباس السائب بن فَرُّوخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمرو ،

١٠ قال :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد ، فقال : أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهِدْ .

لقاؤه المنصور في طريقهما إلى الشام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجي بُجرجان قال : حدّثني مسلم

١٥ ابن الوليد الأنصاريّ قال : سمعت يزيد بن مزيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهديّ يقول : سمعت المنصور يقول :

خرجت أريد الشأم أيام مَروان بن محمد ، فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به ، فاستنشدته إياه ، فأنشدني :

٢٠ ليتَ شِعري أفاح رائحة المسـ * ـك وما إن إخال بالخَيف إِنسِي

حين غابت بنو أميّةَ عنه * والبهاليلُ من بني عبْد شمسِ

خطباءَ على المنابر فُرْسا * نَ عليها وقالةً غيرَ خُرْسِ

(١) كذا في ف . وفي بقية الأصول : بلان .

لا يُعابون صامتين وإن قا * لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْس
بحُلوم إذا الحلوم تقضّتْ[(١)] * ووجوه مثل الدنانير مُلْسِ

ويروى مكان « تقضت » : اضمحلت . قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العَمَى قد أدركنى ، وافترقنا . فلما أفضت الخلافة إلىّ خرجت حاجا ، فنزلت أمشى بجَبلى زَرُود ، فبصُرت بالضرير ، ففرّقت من كان معى ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفنى ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان . فقال : أوّهْ :

لقاؤه المنصور فى طريق الحج

آمتْ نساءُ بنى أميّة منهمُ * وبناتُهُمْ بمَضيعةٍ أيتامُ
نامتْ جدودُهم وأُسْقِط نجمهمْ * والنجم يَسْقُط والجدود تَنام[(٢)]
خَلَتِ المنابرُ والأسرّةُ منهمُ * فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبى أنت ؟ قال : أغنانى أن أسأل أحدا بعده . فهممت بقتله ، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عينى ، فبدا لىَ فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنما البيداء بادت به .

قصة له مع امرأة ذات بعل

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنى عمر بن شبة قال : قال أبو عبيدة :

هَوِى أبو العباس الأعمى آمرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه . فأطمعته . ثم قال : أرسلى إليه فليأتك . فأرسلت إليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العباس : إنك قد وُصِفْت لنا وما نراك ، فألمسينا . فأخذت يده ، فوضعتها على أير زوجها ، فنفر ، وعلمْ أنْ قد كِيد ، فنهض من عندها ، وقال :

(١) ف : استخفت .   (٢) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : « نيام » .

صـــوت

عليَّ أَلِيَّــةٌ ما دمت حيّـا * أَمَسُّــك طائعـا إلا بعُــودِ

ولا أُهدِى لأرضٍ أنتِ فيها * ســلامَ الله إلّا من بعيــدِ

رجوتُ غنيمة فوضعت كفّى * على أيرٍ أشـدَّ من الحـديدِ

٥ فخير منـك من لا خيرَ فيــهِ * وخيرٌ من زيارتكم قُعــودِى

وقرأت هذه الحكاية مرويّة عن الأصمعىّ غيرَ مذكور راويها عنه . وزعم أن بشارا صاحب القصة، وأنه كان له مجلس يسمّيه البَرْدان، يجتمع إليه فيه النساء، فعشق هذه المرأة وقـد سمع كلامها . ثم ذكر الخبر بطوله، وقال فيه : فلما وصل إليها أنشأ يقول :

١٠ مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسنٍ * وإنا لا نراكِ فأَلمِسينا

فأخذ زوجها يده، فوضعها على أَيره .

ذكر إسحاق أن فى البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات، لحنا من خفيف الثقيل، بالسبابة فى مجرى الوسطى، ولم ينسبه إلى أحد . ووجدته فى غناء عَمْرو ابن بانة فى هذه الطريقة منسوبا إليه، فلا أدرى هو ذلك اللحن أو غيره .

كان يحض بنى أمية على ابن الزبير

١٥ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنا عمر بن شَـبَّة قال : حدّثنى أيوب بن عمر أبو سلمة قال :

قال أبو العباس الأعمى، مولى بنى الدِّيل بن بكر، يَحض بنى أمية على عبد الله ابن الزُّبير :

أبنى أميّــةَ لا أرى لَكُمُ * شِبْهـا إذا ما التفّت الشِّيَعُ

٢٠ سَعَةً وأحلاما إذا نَزَعَتْ * أهلُ الحلومِ فضرَّها النَّزَعُ (١)

(١) ف : نقصرها .

وحفيظةٌ فى كل نائبــةٍ * شَهباءَ لا يُنْهَى لهـا الرُّبَعُ
اللهُ أعطاكمْ وإنْ رغِمتْ * من ذاك أنفُ معاشِرٍ رَتَعُوا
أبنى أميــةَ غيرَ أنكُمُ * والناس فيما أُطْمِعوا طمِعوا
أطْمَعْتُمُ فيكمْ عدُوَّكمُ * فسما بهمْ فى ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَو آنَّكمْ كنتمْ لقـولكُمُ * مثلَ الذى كانوا لكمْ رجَعوا
عمـا كرهتمْ أو لَرَدَّهُمُ * حذرُ العقوبة إنهـا تزَعُ

ولهُ أشعار كثيرة فى مدائح بنى أمية ، وهجاء آل الزُّبير ، وأكثرها فى هجاء عمرو بن الزبير ، ليس ذكرها ممـا قصدنا له .

٦٢ / ١٥

ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحْرز قال : حدّثنا المدائنىّ ، عن جُوَيْرِية بن أسمـاء :

أبو العباس يهجو ابن الزبير

أن آبن الزبير رأى رجلا من حُلَفاء بنى أسـد بن عبد العُـزَّى فى حالة رَثَّة ، فكساه ثوبين ، وأمر له ببُرٍّ وتمر ، فقال أبو العباس الأعمى فى ذلك :

صـــوت

كَسَتْ أسدٌ إخوانَها ولَوَ آننى * ببلدةِ إخـوانى إذًا لكُسِيتُ
فلم ترعَنِى مثـلَ حىٍّ تحمّـلوا * إلى الشأم مظلومين منذ بُرِيتُ

غنى فى هـذين البيتين دُحمان ثقيـلَ أول بالبنصر ، من رواية آبن المكى ، ورأيت فى بعض الكتب لزرزور غلام المـارقىّ فيهما صنعة أيضا .

أبو العباس يهجو البعيث المجاشعى

وقال محمد بن معاوية : حدّثنى المدائنىّ قال :

قـدم البَعيثُ المجاشِعِىّ مكة ، وكان أبو العبـاس الأعمى الشـاعر لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائز أميـةَ تأتيه من الشام ، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه ،

(١) كذا فى ف : وفى الأصول : رفعوا .

وتقرّبا إلى بنى أمية ببرّه . قال : فصلى البعيث مع الناس ، وسأل فى حمالة كانت عليه ، وكان سَؤولا ملحًّا شديد الطمع ، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشىء يتحمّله عنه ، فيقول : لا أقبله إلا أن تجىء معى إلى الصرّاف حتى ينقده ويزنه ، فإن لم يفعل ذمه وهجاه . فشكوه إلى أبى العباس الأعمى ، فقال : قودونى إليه ، ففعلوا . فلما عرف مجلسه رفع عصاه ، فضرب بها رأسه ، ثم قال له :

فهل أنتَ إلا مُلْصَقٌ فى مُجاشِعٍ * نَفاكَ جريرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ

ويروى : * نفاك جرير بالهجاء إلى نجد *

تظلّ إذا أُعطيتَ شيئا سألتَه * تطالبُ من أعطاك بالوزن والنقدِ

فلا تَطْمَعَنْ من بعدِ ذا فى عطيّةٍ * وثِقْ بقبيح المنعِ والدفعِ والردِّ

فلستَ بمُسْبِقٍ فى قريش نِخَاية(1) * تُذَمّ ولو أبعَدْتَ فيه مَدَى الجَهْدِ

قال فتضاحك به مَن حضر ، واستحيا ولم يُحِر جوابا . فلما جَنّ الليل عليه هرب من مكة .

وقال قَعنب بن المحرز : حدّثنى المدائنى قال :

عبد الملك يستنشده مديحه فى مصعب

قال عبد الملك بن مروان لأبى العباس الأعمى مولى بنى الدّيل : أنشدنى مديحك مُصْعَبا . فاستعفاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقى ، وقد علمتَ أن هوايَ أمويّ . قال : صدقت ، ولكن أنشدنى ما قلته . فأنشده :

يرحمُ الله مصعبًا فلقد ما * تَ كريما ورامَ أمرا جسيمَا

فقال عبد الملك : أَجَلْ ، لقد مات كريما . ثم تمثل :

ولكنه رام التى لا يرومُها * من الناس إلا كلّ خِرْقٍ(2) مُعَمَّمِ

(1) ف : فلست بمستبق قريشا خزاية * ... ولو أنفدت فيه مدى الدهر

(2) خرق : كذا فى ف ، وهو السيد الكريم . وفى بعض الأصول : حرّ .

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان ، قال حدّثنى إسحاق بن محمد الأموى قال :

عبد الملك يقسم على بنى أمية أن يخلعوا على أبى العباس

لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة ، فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ، ودخل أبو العباس الأعمى ، فلما رآه عبد الملك قال : مَرحبا مرحبا بك يا أبا العباس ، أخبرنى بخبر المُلْحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك ، وأنشدنى ما قلت فى ذلك .

فأخبره بخبر ابن الزبير ، وأنه كسا بنى أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات . فقال عبد الملك : أقسم على كل من حضرنى من بنى أمية وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كل من حضرنى من أوليائى وشيعتى على دعوتهم ، إلا كسا أبا العباس .

٦٣ / ١٥

نخُلعت والله حُلَل الوشى والخز والقُوهِىّ ، وجُعِلت تُرمَى عليه ، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه ، قال : حتى رأيت فى الدار من الثياب ما سَتَر عنى عبد الملك وجلساءه ، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ ، قال : حدّثنى أبى وأهلى :

أبو العباس يهجو ابن الزبير لما نفاه إلى الطائف

أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز ، جعل يتتبع شيعة بنى مروان ، فينفيهم عن المدينة ومكة ، حتى لم يبق بهما أحد منهم ، ثم بلغه عن أبى العباس الأعمى الشاعر نَبْذ من كلام ، وأنه يكاتب بنى مروان بعَوراته ، ويمدح عبد الملك ، وتجيئه جوائزه وصِلاته ، فدعا به ، ثم أغلظ له ، وهمّ به ، ثم كُلِّم

فيه ، وقيل له : رجل مضرور . فعفا عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير :

بنى أسد لا تذكروا الفخرَ إنكمْ * متى تذكروه تُكْذَبوا وتُحمَّقوا
بُعَيْداتِ بَيْنٍ[1] خيرُكم لصديقكمْ * وشرُّكمُ يغدو عليه ويَطْرُقُ
متى تُسألوا فضلاً تَضَنُّوا وتَبخلوا * ونيرانكمْ بالشرّ فيها تَحَرُّقُ
إذا استبقت يوما قريش خرجتُمُ * بنى أسدٍ سُكْتًا وذو المجد يسبق
تجيئون خلفَ القوم سودا وجوهكمْ * إذا ما قريش للأضاميم[2] أصفقوا
وما ذاك إلا أن للّؤم طابَعًا * يلوح عليكمْ وسْمُه ليس يَخْلُق

بينه وبين عمر ابن أبى ربيعة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال : حدّثنى عمى مُصْعَب قال :

قال عمر بن أبى ربيعة لأبى العباس الأعمى الشاعر مولى بنى الدِّيل بن بكر :

أفِتْنى إن كنتَ ثَقْفا[3] شاعرا * عن فتًى أعرجَ أعمى مختلِف
سيِّيءِ السِّحْنة كابٍ لونُه * مثلِ عود الخروع البالى القصِف

فقال أبو العباس يرد عليه :

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى[4] * وسيدُنا لولا خلائقُ أربعُ
نُكُولك فى الهيجا وتَقْوالُك الخنا * وشتمك للمولَى وأنك تُبَّعُ

قال الزبير : يقال رجل تِبْع نساء وتُبَّع نساء : إذا كان كَلِفا بهن .

أخبرنى الحَرَمىّ قال : حدّثنا الزبير قال : حدثنى عمى قال : حدّثنى المكّيّون :

(١) فى (اللسان : بعد) : أبو عبيد : يقال : « لقيته بعيدات بين » : إذا لقيته بعد حين . وهو من ظروف الزمان التى لا تمكن ، ولا تستعمل إلا ظرفا .
(٢) الأضاميم : الجماعات ، واحدها إضمامة . وأصفقوا لهم : جاءوهم من الطعام بما يشبعهم .
(٣) الثقف : الحاذق الخفيف .
(٤) الشعر من الطويل . وفى الشطر الأول منه خرم .

أن عمر بن أبى ربيعة كان يُرامِى جارية لأبى العباس الأعمى ببنادق الغالية ، فبلغ ذلك أبا العباس ، فقال لقائده : قفنى على باب بنى مخزوم ، فإذا مر عمر ابن أبى ربيعة ، فضع يدى عليه ، فلما مر عمر وضع يده عليه ، فأخذ بحُجْزته ، وقال :

ألا من يشترى جارا نَئُوما * بجار لا ينام ولا يُنِيمُ ٥

ويلبس بالنهار ثياب ناسٍ * وشَطْرَ الليل شيطانٌ رجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فمه ، وضَمِنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه .

صــوت

صوت لأبى حية النميرى

ألا حَىِّ من أجل الحبيب المَغانيا * لبِسن البِلى لما لَبِسن اللياليا ١٠

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلة * تقاضاه شىء لا يملّ التقاضيا

٦٤ / ١٥

الشعر لأبى حيّة النُّميرى . والغناء لأحمد بن يحيى المكى ، خفيفُ رَمَل بالبنصر عن الهشامى .

أخبار أبى حَيَّة النُّمَيرِىِّ ونسبه

نسبه

أبو حية : الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جَناب بن كعب بن مالك ابن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

٥ وكان يقال لمالك الأصقع . وقال قوم : إن الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جناب بن كعب .

مكانته فى الشعر

وأبو حية شاعر مُجيد مُقدَّم، من مُخَضْرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعا ، وكان فصيحا مُقَصِّدا راجزا، من ساكنى البصرة ، وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا ، معروفا بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه . وقيل إنه كان يُصْرَع .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنى محمد بن سلّام الجمحىّ . وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد . وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، قالوا :

سيفه لعاب المنية

كان لأبى حيةَ سيف يسميه لُعابَ المَنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، ١٥ وكان من أجبن الناس .

قال : فحدّثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنه لصّا ، فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفَه لعابَ المنية ، وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول : أيها المغترّ بنا ، والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تُخاف نَبْوته . اخرج

بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. إنى والله إن أدْعُ قيسا إليك لا تقُم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورَجْلا، سبحانَ الله! ما أكثرها وأطيبها! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله الذى مسخك كلبا، وكفانى حربا.

طرائف من أخباره

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدّثنى محمد بن علىّ بن حمزة قال: حدّثنى أبو عثمان المازنىّ قال: حدّثنى سعيد بن مَسْعدة الأخفش قال:

قال أبو حية النميرى: أتدرى ما يقول القَدَرِيون؟ قلت: لا. قال: يقولون: الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون، ولا يسألهم ما لا يَجدون، وصدق والله القَدَريّون، ولكنى لا أقول كما يقولون.

قال محمد بن على بن حمزة: وحدّثنى أبو عثمان قال:

قال سَلَمة بن عياش لأبى حيــة النُّميرىّ: أتدرى ما يقــول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنى أشعر منك. قال: إنا لله! هلكَ والله الناس!

قال: وكان أبو حية النميرىّ مجنونا يُصْرَع، وقد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ قال: سمعت عمى يقول:

أبو حية فى الشعراء كالرجل الرَّبْعة، لا يعدّ طويلا ولا قصيرا.

قال: وسمعت أبا عمرو يقول: هو أشعر فى عُظْم الشعر من الراعى.

أخبرنى الحسن بن علىّ وعلىّ بن سليمان الأخفش، قالا: حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثنى عبد الصمد بن المعذّل. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم، قالوا:

كان من أكذب الناس ٦٥/١٥

كان أبو حية النميرىّ من أكذب الناس، فحدث يوما أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له: يا أبا حية، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك، فما نصنع بك؟ قال: أبعدها الله إذن!

٥ قال: وحدثنا يوما قال: عن لى ظبى يوما فرميته، فراغ عن سهمى، فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجَبّانات.

قال: وقال يوما: رميت والله ظبية، فلما نفذ سهمى عن القوس، ذكرت بالظبية حبيبة لى، فعدَوت خلف السهم، حتى قبضت على قُذَذه قبل أن يدركها.

١٠ وذكر يحيى بن علىّ عن الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال: قال الرياشىّ، عن الأصمعىّ قال:

يمدح المنصور ويهجو بنى حسن

وفد أبو حية النميرىّ على المنصور وقد امتدحه، وهجا بنى حسن بقصيدته التى أولها:

عُوجا نحىِّ ديار الحىّ بالسَّنَدِ * وهل بتلك الديارِ اليوم من أحدِ

١٥ يقول فيها:

أحين شِيمَ فلم يترك لهم تِرَةً * سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللِّبَدِ

سللتموه عليكُمْ يا بنى حسنٍ * ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبد

قد أصبحتْ لبنى العباس صافيةً * بجدع آناف أهل البغى والحسد

وأصبحت كلَهاة الليث فى فمه * ومَنْ يحاولُ شيئا فى فم الأسد؟

نزوله عند خمارة بالحيرة

٢٠ فوصله أبو جعفر بشىء دون ما كان يؤمل؛ فاحتجن لعيا له أكثره، وصار إلى الحيرة، فشرب عند خمّارة بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاد ما معه، وأحب أن

يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد ، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبى حية أير كعنق الظليم ، فأبرز لها عنه ، فتدلهت ، وكانت كلما سقته خطّت فى الحائط ، فأنشأ أبو حية يقول :

إذا أسقيتنى كوزا بخطّ * تخطّى ما بدا لك فى الجدار
فإن أعطيتنى عينا بدين * فهاتى العين وانتظرى ضمارى[1]
خرقتُ مقدّما من جنب ثوبى * حيال مكان ذاك من الإزار
فقالت ويلها : رجل ويمشى * بما يمشى به عُجَرُ الحمار[2]
وقالت : ماتريد؟ فقلت : خيرا * نسيئة ما علىّ إلى يسارى
فصدّت بعد ما نظرت إليه * وقد ألحتْها عُنُق الحوار

بينه وبين ابن مناذر

أخبرنى إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال :

لقى ابن مناذر أبا حية ، فقال له : أنشدنى بعض شعرك . فأنشده :

* ألا حىّ من أجل الحبيب المغانيا *

فقال له ابن مُناذر : وهذا شعر؟ فقال أبو حية : ما فى شعرى عيب هو شر من أنك تسمعه . ثم أنشده ابن مناذر شيئا من شعره ، فقال له أبو حية : قد عرفتك ما قصتك ؟

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية ، ويذكر يوم النَّشّاش[3] ، وهو يوم لبنى نُمَير .

(١) الضمار : الوعد المسوف ، أو الدين لا يرجى حصوله .

(٢) العجر : جمع عجرة : العروق المتعقدة فى الجسد ، يريد أير الحمار ، لما فيه من التعقيد .

(٣) النشاش : واد لبنى نمير كانت به وقعة بين بنى نمير وأهل اليمامة (التاج) .

أخبار أحمد بن يحيى المكّى

التعريف به

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكىّ ، ويكنى أبا جعفر . وكان يلقب ظُنينا[(١)] .
وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره . وهو أحد المحسنين المبرّزين، الرواة للغناء، المحكمى
الصنعة . وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره ، ويُشيد بذكره ، ويجهر بتفضيله ، وكتابه
٥ «المجرد» فى الأغانى ونِسَبها أصل من الأصول المعمول عليها، وما أعرف كتابا بعد
كتاب إسحاق الذى ألفه لشبحا[(٢)] ، يقارب كتابه ، ولا يقاس به ، وكان مع جودة
غنائه وحسن صنعته ، أحد الضُّراب الموصوفين المتقدمين .

٦٦ / ١٥

أخبرنى عمى قال : حدثنى أبو عبد الله الهشامىّ ، عن محمد بن أحمد المكىّ :
أن أباه[(٣)] جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديوانا للغناء ونِسَبه وجنسه ، فكان
١٠ محتويا على أربعة عشر ألف صوت .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى علىّ بن يحيى ، ونسخت من بعض الكتب :
حدثنى محمد بن أحمد المكى قال : حدثنى علىّ بن يحيى قال :

بكم كانوا يقومون فنه

قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكى :
يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكى مملوكا، كم كان يساوى ؟ فقال :
١٥ أخبرك عن ذلك .

---

(١) فى نهاية الأرب (٤ : ٣٢١) : طنينا ، بالطاء المهملة .

(٢) كذا فى الأصول . ولإسحاق أكثر من كتاب ، ولعله يقصد أحد كتابين له : ما ألفه للواثق وكتاب الشركة الذى كتب مقدمته وأكمله سندى بن على (انظر مصادر الموسيقى العربية ٢٤ — ٢٨) .

(٣) سقط من (ف) بقية هذا الخبر وما بعده إلى ص ٣١٣ .

آنصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه ، فإذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة ، قال لى الحسن بن وهب : كم يساوى أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنى صوتا ، فقال لى الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنى صوتا آخر ، فقلت للحسن : يا أبا علىّ أضعفها . ثم أردت الانصراف ، فقلت لأحمد : غننى :

صوت

لولا الحياءُ وأن السِّتْر من خُلُقى * إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أقُمِ
أليس عندك شُكر للتى جعلت * ما ابيضّ من قادمات الرأس كالحُمَمِ

الغناء فيه لمعبد ، خفيف ثقيل أول فى مجرى البنصر ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك ، وليس كما قال ، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامىّ ودنانير وغيرهما .

قال : فغناه أحمد بن يحيى المكى ، فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا علىّ ، أضعف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذى أسمعكما تقولانه ، ولست أدرى ما معناه . قال : نحن نبيعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدرى .

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علىّ بن يحيى ، عن أخيه أحمد بن علىّ ، عن عافية ابن شبيب ، عن أبى حاتم ، قال :

كان إسحاق عندنا فى منزل أبى علىّ الحسن بن وهب ، وعندنا ظبين بن المكىّ ، وذكر الحديث مثله ، وقال فيه : إنه قوّمه مِئة ألف درهم ، وذكر أن الصوت الذى غناه آخرا :

صـــوت

أمِن دِمَنٍ وخَيمٍ باليـاتِ * وسُفْعٍ كالحمائم جاثماتِ
أرِقتَ لهنّ شطرَ الليل حتى * طلعن من المناقب مُنجداتِ

وأن إسحاق لمّا سمعه قال : كم كنت قوّمتـه ؟ قال : مئة ألف درهم . قال :
٥ أضعفوا القيمة . قيمته مئتا ألفِ درهم .

فى هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول ، بالسبابة فى مجرى الوسطى ، ينسب إلى ابن مِسجح ، و إلى ابن محرز . وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالوسطى ، عن عمرو . وللغريض خفيف ثقيل عن الهشامىّ .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى محمد بن أحمد المكى قال :

مناظرته للمغنين ٦٧/١٥

١٠ ناظر أبى بعضَ المغنين ذات ليلة بين يدى المعتصم ، وطال تلاحيهما فى الغناء ، فقال أبى للمعتصم ، يا أمير المؤمنين ، من شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنى عشرة وعشرة وعشرة ، لا يعرف أحد منهم صوتا منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين . واتبعه ابن بُسْخُنَّر(1) وعَلُّويه ، فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله . فأمر له بعشرين ألف درهم .

١٥ قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظّته يوما ، فقال له : قد دعوتك إلى النَّصَفة ، فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بمـا دعوتك إليه ، فاندفع فغنى عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم منها صوتا واحدا ، كلها من الغناء القديم ، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملى الذكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتا ، وأسكت المغنين له ، واستعاده مرات عدّة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر ألا يراجعَ أحدا

٢٠ (1) إلى هنا ينتهى الساقط من (ف) .

من المغنين كلاما ، ولا يعارضه أحدٌ منهم ، إذ كان قد أبرّ عليهم ، وأوضح الحجة فى انقطاعهم ، وإدحاض حُججهم .

كان الصوت الذى اختاره المعتصم عليه ، وأمر له لما سمعه بألفى دينار :

صـــوت

لعنَ الله من يلوم محبّا * ولحى الله من يُحَبُّ فيَأبَى

رُبَّ إلفين أضمرا الحُبَّ دهرا * فعفا الله عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكى رَمَل .

قال محمد، قال أبى :

وكان المعتصم قد خلع علينا فى ذلك اليوم مَمَاطر لها شأن من ألوان شتى ، فسألنى عبد الوهاب بن علىّ أن أرد عليه هذا الصوت ، وجعل لى مِمْطره ، فغنيته إياه ، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا ، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلمانى ، فسلموه إليهم .

أخبرنى عبد الله بن الربيع ، عن أبيه ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

ثناء إسحاق الموصلى عليه

سألنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى يوما : مَنْ بقى من المُغنين ؟ قلت : وجْه القَرْعة محمد بن عيسى ، مولى عيسى بن جعفر . فقال : صالح كَيِّس ، ومَن أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكى . قال بَخٍ بَخٍ ! ذاك المحسن المُجمل الضارب المغنّى القائم بمجلسه ، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره . ومن بأبى أنت ؟ قلت : ابن مقامرة . قال : لا والله ما سمعت بهذا قطّ . فمن مُقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنية ؟ قلت : لا . ولكنها من الناس ، وليست من أهل صناعته . قال : ومن أيضا

بأبى أنت ؟ قلت : يحيى بن القاسم ابن أخى سَلَمة . قال : الذى كان له اخ يغنى مرتجلا ؟ قلت : نعم . قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئا قَطُّ ، ولا أشك أن هذا كذلك ، لأنهما مُؤَدِّباه .

غناؤه فى مدح خالد بن يزيد بن مزيد

وذكر ابن المكى عن أبيه قال :

٥ قال المعتصم يوما لجلسائه ونحن عنده : خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف ، حسن الوجه ، شجاع القلب ، ووليته المَصيصَة ونواحيها . فقلنا : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالدُ بن يزيدَ بن مَزْيد . فقال عَلُّوَيْه : يا أحمد غنّ أمير المؤمنين صوتك فى مدح خالد ، فأمسكت عنه . فقال المعتصم : مالك لا تجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس هو مما يغنَّى بحضرة الخليفة . فقال : مالمانع أن تغنيه

١٠ بدّ . قال : فغنيته صنعة لى فى هذا الشعر :

صــــوت

عَلَّمَ النَّاسَ خالدُ بنُ يزيدٍ * كُلَّ حلم وكل بأسٍ وجُودِ

فترى الناسَ هيبةً حين يبدو * مِن قيامٍ ورُكَّعٍ وسجودِ

فقال المعتصم : ياسمـانة[1] ، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجوارى فى غد ،

٦٨/١٥

١٥ وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

غناؤه الأمين

قال : وغنى أبى يوما محمدا الأمين :

صــــوت

فعش عُمْرَ نوحٍ فى سرورٍ وغِبْطَةٍ * وفى خفضِ عيشٍ ليس فى طوله إثمُ

تساعدُك الأقدارُ فيه وتنثنى * إليك وترعَى فضلَك العُرْبُ والعُجْمُ

٢٠ فأمر له بخمس مئة دينار .

(١) كذا فى ف . وفى بعض الأصول : ثمامة .

وفاتـــه

وتوفى أحمد بن يحيى المكّىّ فى خلافة المستعين فى أوّلها .

أخبرنى بذلك جحظة البرمكىّ ، عن محمــد بن أحمد بن يحــيى المكى : أن أباه تُوُفِّىَ فى هذا الوقت .

انقضت أخباره .

٥

* * *

صـــــوت

صوت من غزل بجـرير

إن الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا * وشَـــلا بعينك ما يزال مَعِينا

غَيَّضْن من عبراتهن وقلن لى : * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟

غادروا : تركوا . والوشَل : المــاء القليـــل . والمَعين : المــاء الصافى الجارى .

١٠

وغَيَّضن من عبراتهن : أى كفَفنها ومسحنها حتى تغيض .

الشعر لجرير، والغناء لإسحاق، رَمَل بالوسطى، عن عمرو . وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها . وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشامىّ وعمرو . وذكر على بن يحيى أن فيــه لابن سريج رملا آخر . وذكر عيسى أن الثقيل الأوّل لإبراهيم، وأن فيه للهُذَلِىّ ثانى ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضا ماخورىّ بالبنصر .

[من غـــزل جرير]

تنازع العلماء في هذا الشعر

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال : حدّثنا عبد الله بن مسلم ابن قتيبة :

أن هذين البيتين للمَعْلوط ، وأن جريرا سرقهما منه ، وأدخلهما في شعره .

٥ أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثني عمي وغيره قالوا :

أبو السائب المخزومي وغزل جرير

غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَلي على أبي السائب المخزوميّ في منزله ، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير :

إن الذين غَدَوا بلبك غادَروا * وشَلًا بعينك لا يزال مَعِينا

١٠ البيتين . فحلف أبو السائب ألّا يَرُد على أحد سلاما ، ولا يكلّمه إلا بهذين البيتين ، حتى يرجع إلى منزله . فخرجا ، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاض ، وكانا يُدْعَيان القرينين لملازمتهما ، فلما رآهما قال : كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب ابنَ جنـدُب : أن أخبره (١) بالقصّة ، وابن جُندَب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أبو السائب يغمزه ، أي أخبره بيميني (١) . قال ابن جندب :

١٥ أحمد الله إليك ، ما زلت منكرا لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه ، فصرفهم (٢) ودخل منزله مغتما . فلما أتى أبو السائب منزله ، وبرّت يمينه ، خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطلب ، فإني أخاف أن يردّ شهادتي . فاستأذنا عليه ، فأذن لهما فقال له أبو السائب : قد علمت —

(١ـــ١) كذا في ف . وفي الأصول : بيميني ، فأنشده أبو السائب البيتين ، ولم يرد سلاما ، وجعل

٢٠ يغمز ابن جندب أن يخبره بالقصة ، وابن جندب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ، فجعل أبو السائب يغمز ابن جندب أن يخبره بيميني . (٢) ف : فعرفهم الخبر .

أعزك الله — غرامى بالشعر ، وإن هذا الضالّ جاءنى حين خرجت من منزلى ، فأنشدنى بيتين ، فحلفت ألا أرد على أحد سلاما ، ولا أكلمه إلا بهما ، حتى أرجع إلى منزلى . فقال ابن المطلب : اللهم غَفْرًا ! ألا تترك المجون يا أبا السائب .

٦٩ / ١٥

أخبرنى الحَرَمىّ قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى عبد المطلب بن عبد العزيز قال :

٥

أنشدت أبا السائب قول جرير :

غَيَّضْنَ من عَبَراتهن وقُلْنَ لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فقال : يابن أخى ، أتدرى ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه ، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

أخبرنى الحَرَمىّ قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنا المدائنىّ . وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ ، عن أحمد بن زهير ، عن الزبير بن بكار قال : عن المدائنىّ قال :

١٠

ابن أبى عتيق وبيت جرير

شهد رجل عند قاض بشهادة ، فقيل له : من يعرفك ؟ قال : ابن أبى عَتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدلٌ رِضًا . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكنى سمعته ينشد :

١٥

غَيَّضْن من عَبَراتهن وقُلْن لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا !

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا فى قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

أخبرنى الحرمىّ قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد ابن الضحاك قالا :

أبو السائب المخزومى يذهب بعقله غزل جرير

كان أبو السائب المخزومىّ واقفا على رأس بئر ، فأنشده ابن جندب :

إن الذين غدَوا بلبك غادروا * وشَــلًا بعينك لا يزال مَعينا

فرمى بنفسه فى البئر بثيابه ، فبعد لأْيٍ ما أخرجوه .

أشعب وسالم ابن عبد الله ابن عمر

أخبرنى محمــد بن خلف وكيعٌ قال : حدّثنا محمــد بن الحسن الزُّرَقىّ قال : حدّثنا العــلاء بن عمرو الزُّبَيرىّ ، من ولد عَمْرو بن الزبير ، قال : حدّثنا يحيى بن أبى قُتيلة[(1)] قال : حدّثنى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن علىّ عليهم السلام ، عن أشعب قال :

جاءنى فِتية من قريش ، فقالوا لى : نحب أن تُسْمِع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء ، وتُعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لى فى ذلك جُعْلا . فدخلت عليه ، فقلت : يا أبا عَمْرو ، لى مجالسة وحرمة ، ومودة وسِنّ ، وأنا مولع بالترنم . قال : وما الترنم؟ قلت : الغناء . قال : وفى أى وقت؟ قلت : فى الخَلْوة ، ومع الإخوان فى الخارج . وأُحب أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنــه . ثم غنيته ، فقال : ما أرى بأسا . فخــرجت إليهم ، فأعلمتهــم ، فقالوا : وما غنيتــه ؟ فقلت : غنيتــــه :

قَــرِّبا مَرْبَطَ النعــامةِ منى * لقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ

قالوا : هذا بارد لا حركة فيــه ، ولسنا نرضى . فلما رأيت دفعهم إياى ، وخفت ذهاب ماجعلوا لى ، رجعت إليه ، فقلت : يا أبا عمرو ، آخَر . قال : مالى ولك؟

(1) ف : ابن قتيلة .

ولم أملِّكه أمره حتى غنيت ، فقال : ما أرى بأسا . فخرجت إليهم فأعلمتهم .
قالوا : وما غنيته ؟ قلت :

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونزلْنا * وأخو الحرب من أطاق النزولَا

قالوا : وليس هذا بشىء . فرجعت إليه ، فقلت : آخر . فاستكفَّنى ، فلم أُمَلِّكه
القول حتى غنيته :

غَيَّضْنَ من عَبَراتهن وقُلْن لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟

فقال : مَهْلا مَهلا . قلت : لا والله إلا بذاك الذى فيه تمر عجوة من صدقة عمر .
فقال : هو لك . فخرجت عليهم به ، وأنا أخطِر . فقالوا : مه . فقلت : أطربتُ
الشيخ حتى أعطانى هذا ، وقال مرة أخرى : حتى فرضَ[1] لى هذا[2] . قال : ووالله
ما فعل ، وإنما كان فِدْية لأصمت ، وأخذت منهم الجُعْل .

بين علويه المغنى وإسحاق الموصلى

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى المنجم ، قال : حُدِّثت عن حماد بن إسحاق
قال : حدّثنى عَلّويه الأعسر قال :

أتيت أباك فى داره هذه يوما وقد بنى إيوانها وسائرها خراب ، فجلسنا على
تلٍّ من تراب ، فغنانى لحنه فى :

غَيَّضْن من عَبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا!

فسألته أن يعيده علىّ ، ففعل . وأتانا رسول أبيه بطبق رُطَب ، فقال للرسول :
قل له : سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذى بعثتَ به إلىّ ، فأبلغه الرسول

(١) فرض له : أعطاه عطية لا يريد بها الثواب .

(٢) ف : « حتى فرض لى » يعنى نقطنى » . وكلمة « نقطنى » لم ينقسط من حروفها فى الأصل غير القاف .

ذلك ، فقال له : ومن عنده ؟ فأخبره أنى عنده . فقال : ما أخلقه أن يكون قد أتانا بآبدة[1] ، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال : ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلنى إليه وقد أخذت الصوت ، فغنيته إياه ، فقال : أجاد والله . أألام على هذا وحبه ، والله لو لم يكن بينى و بينه قرابة لأحببته ، فكيف وهو ابنى ؟

* * *

صــــوت

صوت لنائلة بنت الفرافصة

ألست ترى يا ضبُّ بالله أننى * مصاحبة نحو المدينـة أرْكُبَا[2]

إذا قطعوا حَزْنا تَخُبُّ رِكابُهمْ * كما حرّكتْ ريحٌ يَرَاعًا مُثَقَّبا

عروضه من الطويل . والشعر لنائلة بنت الفَرافِصة . والغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى . ووجدت فى كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكى لابن عائشة .

(١) الآبدة : الأمر الفائق الغريب . (٢) أركب : جمع ركب ، من جموع القلة .

أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

نسبها

هى نائلة بنت الفَرافِصة بن الأحوص بن عمرو ، وقيل: ابن عَفْر بن ثعلبة ، وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عدىّ بن جَناب الكَلْبية ، زوجة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان .

زواجها من عثمان

٥ أخبرنى بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه .

١٠ « بسم ٱلله الرحمن الرحيم .

أما بعد ، فإنه قد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كَلْب ، فاكتب إلىّ بنسبها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفَرافصة بن الأحوص . وجمالُها أنها بيضاء

١٥ مديدة القامة » .

فكتب إليه : « إن كانت لها أخت فزوِّجْنيها » .

فبعث سعيد إلى الفَرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفَرافصة آبنه ضبا، فزوجها إياه . وكان ضب مسلما، وكان الفَرافصة نصرانيا، فلما أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : يا بنيّة، إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش، هن

أقدر على الطيب منك، فاحفظى عنى خصلتين، تكحّلى، وتطيّبى بالماء، حتى يكون ريحُك ريح شنّ(١) أصابه مطر.

فلما حُملتْ كرهت الغربة، وحزنت لفراق أهلها، فأنشأت تقول:

ألستَ ترى يا ضبُّ باللهِ أننى * مصاحبةٌ نحو المدينة أَركُبا

إذا قطعوا حزنا تَخُبّ ركابهم * كما زعزعتْ ريحٌ يراعا مُثَقّبا

لقد كان فى أبناء حِصْن بن ضَمْضمٍ * لكَ الويلُ ما يغنى الخِباءَ المطَنّبا

٧١ / ١٥

لقاء عثمان إياها

فلما قدمت على عثمان رضى الله عنه، قعد على سريره، ووضع لها سريرا حياله؛ فجلست عليه، فوضع عثمان قُلَنسيته، فبدا الصلَع، فقال: يابنة الفَرافصة، لا يهولنك ما ترين من صَلَعى، فإن وراءه ما تحبين. فسكتت. فقال: إما أن تقومى إلىّ، و إمّا أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلَع، فإنى من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصُّلْع. وأما قولك: إما أن تقومى إلىّ، و إما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشمت من جَنبات السماوة أبعدَ مما بينى و بينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، ودعالها بالبركة، ثم قال لها: اطرحى عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: اطرحى خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزعى دِرْعك، فنزعته؛ ثم قال: حُلِّى إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحلَّ إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

هجوم الناس على عثمان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا على بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبى الجَرّاح مولى أم حبيبة، قال:

(١) الشن: القربة الخلق.

كنت مع عثمان رضى الله عنه فى الدار، فما شَعَرْت وقد خرج محمد بن أبى بكر، ونحن نقول: هم فى الصلح، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة[1]، ونزلوا بأمراس الحبال من سُور الدار، معهم السيوف، فرميت بسيفى[2]، وجلست عليه، وسمعت صياحهم، فكأنى أنظر إلى مصحف فى يد عثمان، وإلى حمرة أديمه، فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذى خمارك، فلعمرى لدخولهم علىّ أعظم من حرمة شعرك. وأهوى رجل إليه رضى الله عنه بالسيف، فاتقته نائلة بيدها، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه، وخرجوا يكبِّرون، ومرّ بى محمد بن أبى بكر، فقال: مالكَ يا عبد أم حبيبة؟ ومضى فخرجت.

شعر لنائلة عند مقتل عثمان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائىّ، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال:

لما قُتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفَرافصة:

ألا إن خيرَ الناس بعد ثلاثةٍ[3] * قتيلُ التُّجيبىّ الذى جاءَ مِن مِصرِ
ومالى لا أبكى وتبكى قَرابتى * وقد غُيِّبت عنا فضولُ أبى عمرو

هكذا فى هذه الرواية. وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عُقْبة.

كتاب نائلة إلى معاوية تصف مقتل عثمان

أخبرنى أحمد قال: حدّثنى عمر قال: حدّثنا على بن محمد، عن أبى مخنف، عن نُمَير بن وَعْلة، عن الشعبىّ ومَسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد ابن معاوية:

---

(١) الخوخة فى لغة أهل الحجاز: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب. وهى أشبه بالممر يسلك بين الدارين.
(٢) بسيفى: كذا فى ف. وفى الأصول: بنفسى.
(٣) ثلاثة: تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما.

أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبى سفيان، وبعثت بقميص عثمان مع النّعمان بن بشير، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بَلْتعة :

« من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان .

أما بعد، فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ النعمة (١)، وأَنْشُدكم بالله، وأذكّركم حقه وحق خليفته الذى لم تنصروه (٢)، وبعزمة الله عليكم، فإنه عز وجل يقول : ﴿ وإنْ طَائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ . وإن أمير المؤمنين بُغِىَ عليه، ولو لم يكن له عليكم حقٌّ إلا حقّ الوِلاية، ثم أُتِى إليه بما أُتِى، لحَقٌ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقدمه فى الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعىَ الله، وصدّق كتابه (٣)، والله أعلم به إذ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإنى أقص عليكم خبره، لأنى كنت مشاهدة أمره كله، حتى أُفْضِى إليه :

وإن أهل المدينة حصروه فى داره، يحرسونه ليلهم ونهارهم، قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شىء قَدَروا عليه، حتى منعوه الماء، يُحْضِرونه الأذى، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر، وكان علىّ مع المحرِّضين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به . فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل، وطوائف من مُزَينة وجُهينة،

(١) ف : وأوسع عليكم النعمة . (٢) ف : وحق خليفته أن تنصروه .
(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : رسوله .

وأنباطِ يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكنى سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه
فى أول أمره وآخره . ثم إنه رُمِى بالنَّبل والحجارة ، فقُتل ممن كان فى الدار ثلاثة نفر ،
فأتوه يصرخون إليه ، ليأذن لهم فى القتال ، فنهاهم عنـه ، وأمرهم أن يردوا عليهم
نبلَهم ، فردّوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءة ، وفى الأمر إلا إغراء .
ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه ، فقالوا : إن فى المسجد ناسا ٥
يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق
فجلس فيه ساعة ، وأسلحة القوم مُطلة عليه من كل ناحية ، وما أرى أحدا يعدل ،
فدخل الدار ، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال
لأصحابه : لولا أنتم مالبست درعا ، فوثب عليه القوم ، فكلمهم ابن الزبير ، وأخذ
عليهم ميثاقا فى صحيفة ، بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تَعُرُّوه ١٠
بشىء ، فكلموه وتحرجوا ، فوضع السلاح ، فلم يكن إلا وضْعه ، حتى دخل عليه القوم
يقدُمهم ابن أبى بكر ، حتى أخذوا بلحيته ، ودَعَوْه باللَّقب . فقال : أنا عبـد الله
وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات ،
وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت فى العظم ، فسقطتُ عليه
وقد أثْخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسـه ، ليذهبوا به ، فأتتنى بنت شيبة ١٥
ابن ربيعة ، فألقت نفسها معى عليـه ، فوُطِئْنا وطْئا شديدا ، وعُرِّينا من ثيابنا ،
وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه رحمة الله عليه فى بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت
إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنه والله لئن كان أثِم مَنْ قَتَله ، لمـا يَسْلَم مَنْ خَذَله .
فانظروا أين أنتم من الله جل وعز ، فإنا نشْكِى ما مسنا إليه ، ونستنصر وليه وصالحَ
عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله من قتـله ، وصرعهم فى الدنيـا مصارع ٢٠
الخزى والمذلة ، وشَفَى منهم الصدور » .

فحلف رجال من أهل الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته، أو تذهب أرواحهم .

* * *

صـــوت

شعر لعبد يغوث ابن وقاص الحارثى وهو فى الأسر ٧٣/١٥

فيا راكبًا إما عرضت فبلِّغنْ (١) * نداماى من نجرانَ أنْ لا تلاقيا

أبا كربٍ والأيهمين كليهما * وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا

وتضحكُ منّى شيخةٌ عبشميةٌ * كأن لم ترا قبلى أسيرا يمانيا

أقول وقد شدُّوا لسانى بنِسعةٍ (٢) * أمعشر تيمٍ أطلقوا عن لسانيا

الشعر لعبد يغوث بن صلاءة الحارثى . والغناء لإسحاق، ثقيل أول .

(١) أتيت العروض ، وهى مكة .

(٢) نسعة : قطعة من الجلد .

أخبار عبد يغوث ونسبه

نســبه

هو عبد يغوث بن صلاءة . وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقّاص ابن صلاءة — وهو قول ابن الكلبى — بن المغفّل، واسم المغفل : ربيعة ابن كعب الأرَتّ[1] بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة ابن خالد بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن الكلبى : قحطان بن عابَر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المرعّف .

منزلته فى قومه وشاعريته

وكان عبد يغوث بن صلاءة شاعرا من شعراء الجاهلية، فارسا سيدا لقومه من بنى الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم فى يوم الكُلاب الثانى، إلى بنى تميم، وفى ذلك اليوم أُسر فقتل . وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم فى الجاهلية والإسلام، منهم اللّجلاج الحارثى، وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مُسْهِر فارس شاعر، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيْف الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ابن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارسا شاعرا صُعلوكا، أُخذ فى دم، فحُبس بالمدينة، ثم قتل صَبْرا . وخبره يذكر منفردا، لأن له شعرا فيه غناء .

شعره فى يوم الكلاب

والشعر المذكور فى هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة، يقوله فى يوم الكُلاب الثانى[2]، وهو اليوم الذى جمع فيه قومه وغزا بنى تميم، فظفرت به بنو تميم، وأسروه وقُتل يومئذ .

(١) ف : الأزب .
(٢) سماه صاحب العقد يوم الصفقة .

حديث يوم الكلاب

وكان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبى عمرو بن العلاء، وهشام بن الكلبىّ عن أبيه، والمفضل بن محمد الضبىّ، وإسحاق بن الجصّاص عن العنبرىّ، قالوا:

لما أوقع كسرى ببنى تميم يوم الصّفا بالمشقّر، فقتل المقاتلة، وبقيت الأموال ٥ والذرارىّ، بلغ ذلك مَذحِجا، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموا بنى تميم، ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، فقالت مذحج للمأمور الحارثىّ، وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بنى تميم، فإنهم يسيرون أغبابا[1]، ويردون مياها جِبابا، فتكون غنيمتكم ترابا. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مَذْحِج ولَفّها اثنا عشر ألفا، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة، ورئيس هَمْدان ١٠ يقال له مُسَرِّح[2]، ورئيس كندة البَرَاء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعدا والرِّباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفىّ، وهو قاضى العرب يومئذ، فاستشاروه، فقال لهم: أقلّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصّياح من الفَشَل، والمرء يعجز لا محالة. ياقوم تثبّتوا، فإن أحزم الفريقين الرّكين، وربّ عجلة تهب رَيْثا. واتّزروا للحرب[3]، وادّرعوا الليل، فإنه أخفى ١٥ للويل، ولا جماعة لمن اختلف.

٧٤/١٥

فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا، واستعدّوا للحرب، وأقبل أهل اليمن، من بنى الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرّم، ويزيد بن الطيثم[4] ابن المأمور، ويزيد بن هَوْبر، حتى إذا كانوا بتَيْمَن[5] نزلوا قريبا من الكُلاب،

(١) أغبابا: كذا فى النقائض (١: ١٤٩) يعنى أنهم يسيرون منقلتين فى منقلة واحدة، أخذ ٢٠ من الغب. وفى الأصول: أعقابا. (٢) النقائض: مشرح.
(٣) النقائض: وابرزوا للحرب. (٤) ف: الطيسم. النقائض: الكيشم.
(٥) ف: بثبير. وتيمن: ما بين نجران إلى بلاد بنى تميم.

ورجل من بنى زيد بن رياح بن يربوع، يقال له مُشَمِّت بن زنباع فى إبل له، عند خال له من بنى سعد، يقال له زهير بن بق[1]، فلما أبصرهم المشمّت قال لزهير: دونك الإبل، وتنحّ عن طريقهم، حتى آتِيَ الحىّ فأُنذرَهم. قال: فركب المشمّت ناقة، ثم سار حتى أتى سعدا والرِّباب وهم على الكُلاب، فأنذرهم، فأعدّوا للقوم، وصَبَّحوهم، فأغاروا على النَّعَم فطردوها، وجعل رجل [من أهل اليمن] يرتجز ويقول:

في كل عام نَعَمٌ تَنتابُهُ * على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

قال: فأجابه غلام من بنى سعد كان فى النَّعَم، على فرس له، فقال:

عما قليل سَتُرَى أربابُهُ * صُلْبَ القناةِ حازمًا شبابُهُ

* على جيادٍ ضُمَّرٍ عيابه *

قال: فأقبلت سعد والرِّباب، ورئيس الرِّباب النعمان بن جسّاس، ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم المنقرىّ. قال أبو عبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذ قيسُ بن عاصم. فقال ضبّىّ حين دنا من القوم:

فى كلِّ عام نَعَمٌ تحوُونَهُ * يُلْقِحُهُ قومٌ وتَنْتِجُونَهُ

أربابُه نوكَى فلا يَحْمُونه * ولا يلاقون طِعانا دونَهُ

أَنَعَمَ الأبناءِ تَحْسَبُونَهُ * هيهاتَ هيهاتَ لما تَرْجُونَهُ

فقال ضَمرة بن لَبيد الحِماسىّ[2]: أُنظروا إذا سقتم النَّعم، فإن أتتكم الخيل عُصَبا عُصبا، وثبتت الأولى للأخرى، حتى تَلْحَق، فإن أمر القوم هيّن. وإن لحق

---

(١) النقائض: ومعه رجل يقال له زهير. وذكر ابن عبد ربه (العقد الفريد ٥ : ٢٢٦) أن الذى حذرهم ابن لجزء بن جزء الباهلى. (٢) كذا فى النقائض (١ : ١٥٠) والعقد الفريد (٥ : ٢٢٦) وهو الصحيح كما يلى. وفى الأصول: ضمرة بن أسد الحارثى.

بكم القوم ، فلم ينظروا إليكم حتى يردُّوا وجوه النَّعم ، ولا ينتظرُ بعضهم بعضا ، فإن أمر القوم شديد . وتقدمت سعدٌ والرِّباب ، فالتقوا فى أوائل الناس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعم من قِبَل وجوهها ، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم ، واختلط القوم ، فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِل النعمان بن جِسَاس ، قتله رجل من أهل اليمن ، كانت أمه من بنى حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذى رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحَنْظلية . فقال النعمان : ثَكِلتك أمك ، رب حَنظلية قد غاظتنى[1] . فذهبت مثلا ، وظن أهل اليمن أن بنى تميم سيُهَدّهم قتل النعمان ، فلم يزدهم ذلك إلا جَراءة عليهم ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرس بعضهم بعضا ، فلما أصبحوا غدَوا على القتال ، فنادى قيس بن عاصم : يالَ سعد ، ونادى عبد يغوث : يالَ سعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب ، فنادى عبد يغوث : يالَ كعب[2] . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو . فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث ، قال : ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دَعَوا بمثله . فنادى قيس : يال مُقاعس ، يعنى بنى الحارث بن عمرو ابن كعب ، وكان يلقب مُقاعِسا ، فلما سمع وَعْلة بن عبد الله الجَرْمىّ الصوت ، وكان صاحب اللواء يومئذ ، طرحه ، وكان أول من انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب ، فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول :

يا قومُ لا يُفْلِتْكُمُ اليزيدانْ * مُخَرِّما أعنى به والدَّيَّانْ

(١) النقائض : رب ابن حنظلية قد غاظنى .

(٢) العقد الفريد (٥ : ٢٢٧) : كعب بن مالك .

وجعل قيس بن عاصم ينادى : يالَ تميم : لا تقتلوا إلا فارسا، فإن الرجّالة لكم .
وجعل يرتجز ويقول :

لما تَوَلَّوا عُصَبا شَوازِبا (١) * أقسمت لا أطعُن إلّا راكبا

* إنى وجدت الطعنَ فيهم صائبا *

وجعل يأخذ الأُسارى، فإذا أخذ أسيرا قال له : ممن أنت؟ فيقول: من بنى زَعْبل، وهو زَعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، وهم أنذال، فكأن الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيرا منهم، دفعه إلى من يليه من بنى تميم، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أخرى، فذهبت مثلا. فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون، حتى أُسر عبدُ يغوث، أسره فتى من بنى عُمير بن عبد شمس . وقُتل يومئذ علقمة بن سِبَاع (٢) القُرَيعى، وهو فارس هَبُّود، وهَبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المرادى [وكان علقمة قتل عَمْرا وأخذ فرسه من تحته]، وأُسر الأهتم، واسمه سنان بن سُمَى بن خالد بن مِنْقر، ويومئذ سُمّى الأهتم — رئيسَ كندة البراءَ بن قيس، وقتلت التيم الأَوْبَرَ الحارثى، وآخر من بنى الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جِسَاس، وقتل يومئذ من أشرافهم خمسة، وقتلت بنو ضَبّة ضَمرة بن لَبيد الحماسىّ الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار ابن عمرو الضبى .

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبْشَمى إلى أهله، وكان العبشمى أهوج، فقالت له أمه — ورأت عبد يغوث عظيما جميلا جسيما — : من أنت؟ قال :

---

(١) شوازب: جمع شازب، وهو الشاحب الضامر . وفى العقد الفريد (٥ : ٢٢٧) : هواربا .
(٢) النقائض (١ : ١٥٢) : سباح .

أنا سيد القوم . فضحكت ، وقالت : قَبَحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج . فقال عبد يغوث :

وتَضْحَكُ منى شيخةٌ عَبْشَمِيّة * كأن لم ترا قبلى أسيرا يمانيا

ثم قال لها : أيتها الحرة ، هل لك إلى خير؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى ٥ ابنك مِئَةً من الإبل وينطلق بى إلَى الأهتم ، فإنى أتخوف أن تنتزعنى سعد والرِّباب منه ، فضمن له مِئة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث ، فوجهوا بها إليه ، فقبضها العبشمىّ ، فانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتمُ يا خيرَ البرية والدا * ورَهْطا إذا ماالناسُ عَدُّوا المساعيا

تدارَكْ أسيرا عانيا فى بلادكم * ولا تثقفنّى(١) التيمُ ألْقَ الدواهيا

١٠ فمشت سعد والرِّباب فيه . فقالت الرباب : يا بنى سعد ، قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهتم إليهم ، فأخذه عِصْمة بنُ أبير(٢) التيمىّ ، فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بنى تيم ، اقتلونى قِتلة كريمة . فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اسقونى الخمر ، ودعونى أنُحْ على نفسى ، فقال له عصمة : نَعَم . فسقاه الخمر ، ثم قطع له عرقا يقال له الأكحل ، وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه ١٥ عصمة ، وترك معه ابنين له ، فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا ، فكيف رأيت اللهَ صنع بك ؟ فقال عبد يغوث فى ذلك :

قصيدة عبد يغوث المشهورة
٧٦
١٥

ألا لا تلومانى كفى اللومَ ما بيا * فما لكما فى اللوم نفعٌ ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نفعُها * قليل وما لومى أخى من شِماليا(٣)

فيا راكبًا إما عرضت فبلِّغنْ(٤) * نداماىَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقيا

٢٠ (١) ثقفه : ظفر به . (٢) ف : أثير . (٣) الشمال : الخلق ، يريد شمائلى . (٤) عرضت : أتيت العروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها .

أبا كَرِبٍ والأَيْهمين كليهما * وقيْسا بأعلى حضرموتَ اليمانيا

جزى الله قومى بالكُلاب[1] مَلامةً * صريحَهم والآخرينَ المَواليا

ولو شئتُ نجّتْنى من الخيل نَهْدةٌ * ترى خَلْفَها الحُوَّ[2] الجيادَ تواليا

ولكننى أحمى ذمار أبيكم * وكان الرماح يختطفن المحاميا

وتضحك منى شيخة عبشمية * كأن لم ترأ[3] قبلى أسيرا يمانيا

وقد علمتْ عرسى مُلَيْكَةُ أننى * أنا الليثُ معدوًّا عليه وعاديا

أقول وقد شدّوا لسانى بنِسعةٍ * أمعشر تيم أطلقوا لى لسانيا[4]

أمعشر تيم قد ملكتمْ فأَسْجِحُوا * فإن أخاكم لم يكن من بَوائيا[5]

فإن تقتلونى تقتلوا بىَ سيدا * وإن تطلقونى تَحْرُبونى[6] بما ليا

أحقًّا عبادَ الله أنْ لست سامعا * نشيدَ الرِّعاء المُعْزِبين[7] المَتاليا

---

(١) الكلاب، بضم الكاف: اسم موضع كانت فيه الموقعة، قال البكرى: وهو قدة بعينها، أعلاه مما يلى اليمن، وأسفله مما يلى العراق.

(٢) النهدة: المرتفعة. والحو من الخيل: التى تضرب إلى الخضرة، وإنما خص الحو، لأنه يقال إنها أصبر الخيل وأخفها عظاما إذا عرقت لكثرة الجرى.

(٣) قال ابن السيد: قوله «كأن لم ترى»: رجوع من الإخبار إلى الخطاب. ويروى على الإخبار، وفى إثبات الألف وجهان: أحدهما: أن يكون ضرورة. والثانى: أن يكون على لغة من قال «راء» مقلوب «رأى». بجزم، فصار «ترأ»، ثم خفف الهمزة، فقلبها ألفا، لانفتاح ما قبلها. وهذه لغة مشهورة.

(٤) ف: من لسانيا. والنسعة: سير منسوج. وفى شد اللسان بها قولان: الأول: أن هذا مثل، لأن اللسان لا يشد بنسعة، وإنما أراد: افعلوا بى خيرا ينطلق لسانى بشكركم، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم. والثانى أنهم شدوه بنسعة خفيفة، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين؛ وحكى ابن الأنبارى أنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم.

(٥) أسجحوا: سهلوا ويسروا. البواء: السواء، أى لم يكن أخوكم نظيرا لى، فأكون بواء له.

(٦) تحربونى: تسلبونى وتغلبونى.

(٧) الرعاء: جمع راع. والمعزب: المتنحى بأبله. والمتالى: جمع متلية، وهى التى يتبعها أولادها.

وقد كنت نحار الجزور ومُعْمِلَ الْـ * ـمَطِىّ وأمضى حيث لا حىّ ماضيا

وأنحر للشَّرْب الكرام مطيتى * وأصدع بين القَينتين ردائيا[1]

وعاديةٍ سومَ الجراد وَزَعتها * بكفّى وقد أنحوا إلىّ العواليا[2]

كأنىَ لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلىَ كُرِّى نَفِّسى عن رجاليا[3]

٥ ولم أَسْبأ الزِّقّ الروىّ ولم أقل * لأيسار صدق أعظموا ضَوْءَ ناريا[4]

قال : فضحكت العَبْشمية ، وهم آسروه . وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة ، لئلا يهجوهم ، وأبوا إلا قتله ، فقتلوه بالنعمان بن جسّاس .

ما قيل من الشعر بعد الوقعة

فقالت صفية بنت الخَرِع ترثى النعمان :

نطاقه هُنْدُوانىٌّ وجبّتُهُ * فَضْفاضة كأضاة النِّهْى مَوْضونه[5]

١٠ لقد أخذنا شفاء النفس لو شُفِيت * وما قتلنا به إلا امرأً دونه

وقال عَلْقمة بن سَبّاع لعمرو بن الجُعيد :

لما رأيت الأمر مَخْلُوجةً * أكرهت فيه ذابلا مارِنا[6]

قلت له : خذها فإنى امرؤ * يعرِف رمحى الرجلَ الكاهنا

---

(١) أصدع : أشق . والقينة هنا : الأمة المغنية .

١٥ (٢) العادية : القوم يركضون . وسوم الجراد : أى كسومه ، وهو انتشاره فى المرعى . ووزعتها : كففتها ومنعتها . وأنحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها . والعوالى : جمع عالية ، وهى من الرمح أعلاه أو ما دون السنان بذراع . (٣) نفسى : وسعى . وروى : قاتلى .

(٤) أسبأ الزق : أشتريه للشرب لا للبيع . والأيسار : جمع ياسر ، وهو الذى يضرب قداح الميسر .

وقد ذكرت قصيدة عبد يغوث بتمامها فى المفضليات . وساق ابن عبد ربه فى العقد آخر الكلام على

٢٠ يوم « الصفقة » الأبيات التى أنشدها المؤلف هنا . وذكر كلاما عن أبى عبيدة يثير الشك فى قصيدة عبد يغوث هذه ، وأنها صنعت فى الإسلام .

(٥) الأضاة : مسيل الماء إلى الغدير . والنهى : الغدير . وموضونة : مثنى بعضها على بعض ، لسعتها . (٦) يقال : أمرهم مخلوج : غير مستقيم ، ووقعوا فى مخلوجة من أمرهم : أى اختلاط . والذابل : الرمح . والمارن : اللين فى صلابة .

قوله : «يعرف رمحى الرجل الكاهنا» يريد : أن عمرو بن الجُعيد كان كاهنا ، وهو أحد بنى عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أفصَى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك فى ولده ، ومنهم الرَّبَاب بن البَرَاء ، كان يتكهن ، ثم طلب خلاف أهـل الجاهلية ، فصار على دين المسيح عليـه السلام ، فذكر أبو اليقظان أن النـاس سمعوا فى زمانه مناديا ينادى فى الليل ، وذلك قبل مَبعث النبى صلى الله عليـه وسلم : خير أهل الأرض رَبَابُ الشَّنِّيّ ، و بحيرا الراهب ، وآخر لم يأت بعـد . قال : وكان لا يموت أحد من ولد الرَّباب إلا رأوا على قـبره طَشا[1] . ومن ولده مَخْـرَبة ، وهو أحد أجواد العرب ، و إنمـا سمى مَخْربة لأن السلاح خَرَبه ، لكثرة لبسه إياه ؛ وقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، فأرسله إلى ابن الجُلَنْدَى العُمانِيّ . وابنُه المُثَنَّى بن مَخْـرَبة أحد وجوه أصحاب المختار ، وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها ، فحاربه عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه ، وكان ابنه بَلْجُ بن المُثَنَّى جوادا ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس :

ألا يا بَلْجُ بلجَ بنى المُثَـنَّى * وأنت لكـل مَكرُمة كِفـاءُ
ألومُك طائعـا ما دمتُ حيًّـا * علىّ إذَنْ من الله العَفاء[2]
كفَى قومًا مكارمَ ضَـيَّعوها * وأحسنَ حين أبصرَهم أساءُوا

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوثَ والوقعة

قال : فأما وَعْلة بن عبد الله الجرمىّ ، فإنه لحقه رجل من بنى سعد ، فعقَر به ، فنزل ، وجعل يُحْضِر على رجليه ، فلحق رجلا من بنى نهد يقال له سَليط بن قَتَب ، من بنى رفاعة ، فقال له لمـا لحقه : أَرْدِفنى ، فأبى ، فطرحه ، عن فرسه ، وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النهدىَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة فى ذلك :

(١) الطش : المطر الضعيف . (٢) ألومك : أى لا ألومك .

ولما سمعت الخيلَ تدعو مقاعِسًا * علمتُ بأن اليوم أغبرُ فاجرُ
نجوتُ نجاءً ليس فيه وَتيرة (١) * كأنى عُقاب دون تَيْمَن (٢) كاسر
خُداريَّةٌ صَقْعاء لَبَّد رِيشها * بِطَخفةَ يومٌ ذو أهاضيبَ ماطر (٣)
وقد قلت للنهدىّ: هل أنت مردِفى * وكيف رِداف الفَلِّ أمك عاثر (٤)
فإن أستطع لا تَبْتئِس بى مقاعِس * ولا يرنى باديهمُ والحواضر
فِدًى لكما رِجلىّ أمى وخالتى * غداة الكُلاب إذ تحز الحناجر
فمن كان يرجو فى تميم هوادة * فليست لجَرم فى تميم أواصر

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد:

أشابَ قَذال الرأس مَصْرَعُ سيِّد * وفارسُ هَبُّودٍ أشاب النواصيا

وقال محرز بن مُكَعْبَر الضَّبىّ:

فِدًى لقومىَ ما جمَّعت من نَشَبٍ (٥) * إذ ساقت الحرب أقواما لأقوام
قد حَدَّثتْ مَذْحج عنا وقد كَذَبتْ * أن لا يُوَرِّع (٦) عن نسوانِنا حامِ
دارت رحاهمْ قَليلا ثم واجههمْ * ضرب يصبِّح (٧) منهم مَسْكَن الهامِ
ساروا إلينا وهم صِيد (٨) رءوسهمُ * فقد جعلنا لهمْ يوما كأيامِ

(١) وتيرة: توان.
(٢) فى الأصول: تيماء. والتصويب عن النقائض (١: ١٥٥) والخزانة (١: ١٩٩) ومعجم البلدان: رسم تيمن (١: ٩٠٩)، والعقد الفريد (٥: ٢٣١).
(٣) الخدارية: العقاب لسوادها. والصقعاء: ذات بياض فى وسط رأسها. وطخفة: موضع. والأهاضيب: جمع أهضوبة، وهى الدفعة من المطر.
(٤) الفل: المنهزم.
(٥) ف: سبد.
(٦) يورع: يكف.
(٧) ف والنقائض: يصيح منه.
(٨) الصيد: جمع أصيد، وهو الذى يرفع رأسه كبرا.

ظَلّتْ ضِباعُ مُجيراتٍ يَعُدْنَهُمُ (١) * وأَلْحَمُوهُنَّ منهمْ أىَّ إلْحَامِ

ظلت تدوس (٢) بنى كعبٍ بكَلْكَلِها * وهَمّ يومُ بنى نهدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغراء :

وفى يومِ الكُلاب إذ اعترتنا (٣) * قبائلُ أقبلوا متناسِبينا

قبائلُ مذحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ * وهَمْدانٍ وكِندةَ أجمعينا

وحِميرَ ثم ساروا فى لُهامٍ * على جُرْدٍ جميعا قادِرينا

فلما أن أتونا لم نُكَذِّب * ولم نَسْأَلْهمُ أن يُمْهِلونا

قتلنا منهم قَتْلَى وولّى * شريدُهم شَعاعا (٤) هاربينا

وفاظتْ (٥) منهم فينا أُسارَى * لدينا منهمُ مُتَخَشِّعينا

وقال ذو الرُّمّة غَيلان بن عُقْبة فى ذلك (٦) :

وعمّى الذى قاد الرِّباب جماعةً * وسعدُهُمُ الرأسُ الرئيسُ المؤمَّرُ

عشيّةَ أعطتنا أزِمّةَ أمرِها * ضِرارٌ بنو القَرْمِ الأغرّ ومِنْقَرُ

وعبدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه * قد احتزّ عُرْشَيه الحسامُ المذكَّرُ

العُرْشانِ : عِرقانِ فى العنق :

عشيّةَ فرّ الحارثيون بعدما * قضى نَحْبَه فى مَعْرَك الخيل هَوْبَرُ

وقال أخو جَرْمٍ ألا لا هوادةٌ * ولا وَزَرٌ إلا النجاءُ المشمِّرُ

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : « ظلت مطيا لحراز تعذبهم » وفى العقد الفريد (٥ : ٢٣٣) : تجررهم . وألحموهن : أطعموهن اللحم . ومجيرات : موضع . (٢) تدوس : كذا فى النقائض والعقد . وفى الأصول : روس . (٣) ف : اعترتنا : أى جاءتنا . وفى الأصول : إذا غزتنا .

(٤) شعاعا : متفرقين فى كل ناحية . (٥) فاظت : هلكت .

(٦) ديوانه ٢٣٢ . وفيه اختلاف فى الرواية .

أبى اللهُ إلّا أننا آلَ خِندِفٍ * بنا يَسْمَعُ الصوتَ الأنامُ ويُبْصِرُ
إذا ما تمضّرنا فلا ناسَ غيرُنا[1] * ونُضْعِفُ أحيانا ولا نتمضّرُ

وقال أيضاً[2] :

فما شَهِدت خيلُ امرئ القيس غارةً * بثهلانَ تَحمِى عن ثغورِ الحقائقِ
أثَرنا بِهِ نَقْعَ الكُلاب وأنتمُ * تُثيرونَ نقعَ الملتقَى بالمعازقِ
أدَرْنا على جَرْمٍ وأفناءِ مذحِجٍ * رَحَى الموت فوق العاملاتِ الخوافقِ
صدمناهمُ دُونَ الأمانىّ صَدْمةً * عَماسا بأطوادٍ طِوالٍ شواهقِ
إذا نطحتْ شهباءُ شهباءَ بينها * شُعاعُ القَنا والمشرفىِّ البوارقِ

وقال البَرّاء بن قيس الكِنْدىّ :

قتَلَتْنا تميمُ يوما جديدا[3] * قتلَ عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ
يومَ جئنا يسوقنا الحَين سوقا * نحو قومٍ كأنهم أسدُ غابِ
سِرتُ فى الأزد والمذاجِ طُرّا * بين صِلٍّ وكاشِرِ الأنيابِ[4]
وبنى كِندةَ الملوكِ ولخمٍ * وجُذامٍ وحِميرَ الأربابِ
ومُرادٍ وخَثْعمٍ وزُبيدٍ * وبنى الحارثِ الطوالِ الرِّغابِ
وحشدنا الصميمَ نرجو نِهابا * فلقينا البَوارَ دونَ النِّهابِ
لقِيَتْنا أسودُ سعدٍ وسعدٌ * خُلِقت فى الحروب سَوْطَ عذابِ
تركونى مُسهَّدا فى وَثاقٍ * أرقبُ النجمَ ما أُسيغُ شرابى
خائفا للرّدَى ولولا دفاعى * بمئينٍ عن مهجتى كالهضابِ

(١) فلا ناس : كذا فى ف . وفى الأصول والديوان : فما الناس .
(٢) ديوانه (٤٠٧) . وفيه اختلاف فى الرواية . (٣) ف : يوم جديد
(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : « وبكيل وحاشد الأنياب » .

لَسُقِيتَ الرَّدَى وكنت كقومى * فى ضريحٍ مغيَّبًا فى التراب
تذرفُ الدمعَ بالعويل نسائى * كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّباب
فلِعينى على الألَى فارقونى * دِرَرٌ(١) من دموعها بانسكاب
كيف أبغى الحياة بعد رجالٍ * قُتلوا كالأسودِ قتلَ الكلاب
منهم الحارثىُّ عبدُ يغوثٍ * ويزيدُ الفتيانِ وابن شهابِ
فى مِئينٍ نعدّها ومئينٍ * بعد ألف مُنوا بقوم غِضاب
برجال من الدارِين شُمٍّ * أُسْدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْمىّ :

عَذَلتنى نهد فقلت لنهدٍ * حين حاست(٢) على الكُلاب أخاها
يوم كنا عليهمُ طيرَ ماءٍ * وتميمٌ صُقورَها وبُزاها
لا تلوموا على الفِرار فسعدٌ * يالَ نَهْد يخافها من يراها
إنما همُّها الطِّعان إذا ما * كَرِه الطعن والضراب سِواها
تركوا مَذْحِجا حديثا مشاعا * مثل طَسْمٍ وحِمْيرٍ وصُداها
يالَ قحطانَ وادعوا حىَّ سعدٍ * وابتغوا سلمَها وفضل نداها
إن سعد السعود أُسْدُ غياضٍ * باسلٍ بأسها شديد قُواها
فُضِحتْ بالكُلاب حارِ(٣) بنُ كعبٍ * وبنو كندةَ الملوكُ أباها
أسلموا للنون عبدَ يغوثٍ * ولِعضّ الكبول حولا يَراها
بعد ألف سُقوا المنيّةَ صِرفا * فأصابت فى ذاك سعدٌ مُناها
ليتَ نَهْدا وجَرْمها ومُرادا * والمذاحيجَ ذو أناةٍ نَهاها

(١) الدرر : جمع درة ، وهى الدفعة من المطر . (٢) حاست : وطئت .
(٣) حار : يريد حارث بن كعب . وقد رخمه فى غير النداء شذوذا .

عن تمـيم فـلم تكن فَقْـع قاعٍ * تبتـدرْها رِبابُهـا ومنـاها
قـل لبكر العـراق تَستر عَمْـراً * عمـرَو قيسٍ فرأىُ عمـرو قَراها
عن تمـيم ولو غزتْهـا لكانت * مثـل قحطانَ مستباحا حماها

* * *

صـوت لإبراهيم الموصلى فى شعره

صـوت

٥

ما بالُ شمس أبى الخطاب قد حُجِبَتْ * أَظُنّ يا صاحبىَّ الساعةَ اقتربتْ (٢)
أوْلا فما بالُ ريح كنت آنَسُها * عادتْ علىَّ بصِرٍّ بعد ما جَنَبَتْ (٣)
أشكو إليك أبا الخطّاب جارية (٤) * غريرةً بفؤادى اليوم قد لَعِبتْ
وأنت قَيِّمها فانظر لعاشـقها * يا ليتَ (٥) قد قَرُبت منى وما بَعُدَتْ

١٠ عروضه من البسيط . الشعر والغناء لإبراهيم الموصلىّ ، رَمَل بالبنصر، عن الهشامىّ وعلى بن يحيى . وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أن فيه هَزَجا بالبنصر لإبراهيم ابن المهدىّ . وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلىّ أيضا .

وأبو الخطاب الذى عناه إبراهيم الموصلى فى شعره هـذا : رجل نَخّاس يعرف بقَرين، مولى العباسة بنت المهدىّ، وكان إبراهيم يهوى جارية له ، يقال لها خُنث (٦) ،

١٥ وكانت من أجمل النساء وأكملهن ، وكان لها خال فوق شفتها العليا ، وكانت تعرف بذات الخال ، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة . نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

---

(١) فقع القاع : ضرب من الكمأة ، تطؤه الإبل ، ويضرب به المثل فى الحقارة والذلة . وجزم "تبتدرها" ضرورة . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : * يا صاحبى لعل الساعة اقتربت *

٢٠ (٣) ف : كنت قيمها . والصر : البرد . وجنبت الريح : هبت جنوبا . (٤) كذا فى ف . وفى الأصول : « إليك أشكو » . (٥) كذا فى ف . وفى الأصول : ياليتها قربت .

(٦) ف ونهاية الأرب (٥ : ٩١) : خشف .

أخبار ذات الخال

عشق إبراهيم لها وشراء الرشيد إياها

أخبرنى بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثنى أبى:

أن جدى كان يتعشق جارية لقَرِين، المكنىّ بأبى الخطّاب النخّاس، وكان يقول فيها الشعر ويُغَنِّى فيه، فشَهَرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيدَ خبرها، فاشتراها بسبعين ألف درهم. فقال لها ذات يوم: أسألك عن شىء، فإن صَدَقْتنى وإلا صَدَقَنى غيرُك وكَذَّبْتُك. قالت له: بل أَصْدُقك. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلىّ شىء قَطّ، وأنا أُحْلِفه أن يَصْدُقنى. قال: فتلكأت ساعة، ثم قالت: نعم، مرة واحدةً. فأبغضها وقال يوما فى مجلسه: أيكم لا يبالى أن يكون كَشْخانا (١)، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حَمَّويه الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخالِ راجية رَبّا * وقد فَتَنَتْ (٢) قلبا يهيم بها حُبّا
وماعُذْرها نفسى فِداها ولم تَدَع * على أعظمى لحما ولم تُبق لى لُبّا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف (٣) رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى.

الرشيد يشتاقها بعد أن وهبها لحمويه

وذكر أحمد بن أبى طاهر:

أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حَمَّويه كما ذكرها حماد، وقال فى خبره: فاشتاقها الرشيد يوما بعد ما وهبها لحَمَّويه، فقال له: ويلَك يا حَمَّويه، وهبنالك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غدا. فمضى فاستعد لذلك، واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنة (٤) وعقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآها (٥)

(١) الكشخان: الديوث. (٢) كذا فى ف. وفى الأصول: سلبت.
(٣) خفيف: ساقطة من ف. (٤) البدنة: قميص لا كمى له، من ملابس النساء.
(٥) ف: رآه.

أنكره، وقال : ويلك ياحمويه ! من أين لك هذا وما وليتك عملا تكسب فيه مثله، ولا وصل إليك منى هذا القدر ! فصدقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم ، واشترى الجوهر منهم ، ووهبه لها ، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئا إلا أعطاها ، ولا حاجة إلا قضاها ، فسألته أن يولى حمويه الحرب والخراج ٥ بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك ، وكتب له عهده به ، وشرط على ولى العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم فى حياته .

حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنى محمد بن عبيد الله العاصمى قال : حدثنى أحمد بن عبد الله طآبس ، عن عبد الله وإبراهيم أخى العباس الصولى قالا :

قصها خالها وشعر العباس بن الأحنف فيها

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال ، فدعته يوما ، فوعدها أن يصير إليها ، ١٠ وخرج يريدها ، فاعترضته جارية ، فسألته أن يدخل إليها ، فدخل وأقام عندها ؛ فشق ذلك على ذات الخال ، وقالت : والله لأطلبن له شيئا أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجها ، ولها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه فى موضعه ، فدعت بمقراض ، فقصت الخال الذى كان فى خدها ، وبلغ ذلك الرشيد ، فشق عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضعه ، وقال للفضل بن الربيع : انظر من بالباب ١٥ من الشعراء ، فقال : الساعة رأيت العباس بن الأحنف . فقال : أدخله ، فأدخله ، فعرفه الرشيد القصة وقال : اعمل فى هذا شيئا ، على معنى رسمه له[(١)] ، فقال :

صوت

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة * ومالت إلى من لا يغيره حال
فإن كان قطع الخال لما تطاعت[(٢)] * إلى غيرها نفسى فقد ظلم الخال

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : الخبر . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : تعطفت على

غناه إبراهيم . فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعا مسترضيا لها ، وجعل هذين البيتين سببا ، وأمر للعباس بألفىْ دينار ، وأمر إبراهيم الموصلىّ فغناه فى هذا الشعر .

٨١/١٥

محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم فى الشعر

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال : حدثنى محمد بن الفضل قال :

كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم فى الشعر ، ويُشغَف بجيد الأشعار ، فكان مما يعجبه قول نُصَيْب : ٥

صوت

أيا بعلَ ليلَى كيف تجمعُ سلْمَها * وحَرْبى وفيما بيننا شبَّت الحربُ

لها مثلُ ذنبى اليومَ إن كنتُ مذنبا * ولا ذنب لى إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل . والشعر لنُصَيْب ، ويروَى للمجنون ، ويروى لكعب ابن مالك الخثْعَمىّ . والغناء لمالك ، ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو . ١٠

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيرا للعباس بن الأحنف :

صوت

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى * عَشِير الذى أَلْقَى فيلتئمَ الشَّعْبُ

إذا رَضِيتْ لم يَهْنِنِى ذلك الرضا * لعلمى به أن سوف يتبعُه العَتْبُ

وأبكى إذا ما أذنبتْ خوفَ صَدّها * وأسألها مَرْضاتها ولها الذنب ١٥

وصالُكمُ صُرْمٌ وحبُّكمُ قِلًى * وعطفُكمُ صَدّ وسِلْمُكم حَرْبُ

ويقول : ما أحسن ما قسّم ، حتى جعل بإزاء كل شىء ضدّه ، والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس .

الغناء فى هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصلىّ ، ثانى ثقيل بالوسطى ، عن المشامىّ ٢٠

جواري الرشيد الثلاث اللائي هويهن

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن، ويقول الشعر فيهن، وهن سِحْر، وضياءٌ، وخُنْث؛ وفيهن يقول الرشيد :

إن سِحْـرا وضياءً وخُنُثْ * هنّ سحر وضياءٌ وخُنُثْ(١)
أَخَذَتْ سِحْرٌ ولا ذنبَ لها * ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

٥ حدّثني محمد بن يحيى الصولىّ قال : حدثنا أحمد بن محمد الأسدىّ قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن علىّ بن سُويد بن مَنْجوف السَّدُوسىّ قال : حدّثني محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال :

وجه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه، فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة، ثم جاءته من الغد، فقال الرشيد :

١٠ أيا مَنْ رَدَّ وُدّى أَمْـ * ـسِ لا أُعْطيكَهُ اليوما
ولا والله لا أعطيـ * ـك إلا الصدَّ واللَّوْما
وإن كان بقلبي منـ * ـك حُبٌّ يمنع النَّوما(٢)
أيا من سُمْتُه الوَصْلَ * فأغلى المَهْرَ والسَّوْما

قال : وفيهن يقول، وقد قيل إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه :

١٥ صـــوت

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنساتُ عِنانِي * وحَلَلْنَ من قلبي بكلِّ مَكانِ
ما لي تُطاوعني البريةُ كلُّها * وأُطيعُهن وهنّ في عصياني
ما ذاك إلا أن سُلْطان الهوى * وبه عَزَزْنَ(٣) أعزّ من سلطاني

غنته عَرِيبُ خفيف ثقيل الأول بالوسطى .

٢٠ (١) الخنث : المتثنى والمنكسر، وضم النون اتباعا للوزن .
(٢) ف : وإن كان بقلبي منـ * ـك ما يمنعني النوما
(٣) كذا في ف . وفي الأصول : قوين .

مجلس غناء وسمر

٨٢ / ١٥

وروى أحمد بن أبى طاهر عن إسحاق قال :

وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل ، فحضرت ، فأخرج إلىّ جارية كأنها المهاة ، فأجلسها فى حجره ، ثم قال : غنى ، فغنته :

جئْنَ منَ الروم وقاليقَلَا * يرفُلْن فى المِرْط وإبن المُلَا
مُقَرْطَقاتٌ(١) بصُنوف الحُلَى * يا حَبَّذا البيضُ وتلك الحُلَى

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استُؤْذن للفضل بن الربيع ، فأذن له ، فلما دخل قال : ما وراءك فى هذا الوقت؟ قال : كل خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى الساعة لى سبب لم يجز لى كتمانُهُ أميرَ المؤمنين . قال : وما ذاك ؟ قال : أُخرج إلىّ فى هذا الوقت ثلاثُ جَوارٍ لى : مكية ، ومَدينية(٢) ، وعِراقية . فقبضَت المَدينية على ذَكَرى ، فلما أنعظْت وثبت المكية فقعدت عليه ، فقالت لها المدينية : ما هذا التعدى ؟ ألم تعلَمى أن مالكا حدثنا عن الزهرىّ عن عبد الله بن ظالم ، عن سعيد بن زيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أحيا أرضا مَيِّتة فهى له » ؟ فقالت الأخرى : أو لم تعلمى أن سفيان حدّثنا ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصيدُ لمن صاده لا لمن أثاره » . فدفعتهما العراقية عنه ، ووثبت عليه ، وقالت : هذا لى ، وفى يدى حتى تصطلحا . فضحك الرشيد ، وأمره بحملهن إليه ، ففعل ، وحَظِين عنده ، وفيهن يقول :

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِى * وحَلَلْن من قلبى بكل مكانِ

إعجاب الناس بشعر الرشيد فى جواريه

حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا الغَلّابىّ قال : حدثنى مهدىّ بن سابق قال : حججنا مع الرشيد آخر حجّة ، فكان الناس يتناشدون له فى جواريه :

(١) ف : مقرطات .   (٢) نسبة إلى مدينة الرسول خاصة .

ثلاث قد حَلَلْن حِمَى فؤادى * ويُعْطِين الرغائب من وِدادى (1)

نظمت قلوبهن بخيط قلبى * فهنّ قرابتى حتى التنادى

فمن يكُ حلّ من قلب مَحَلاّ * فهن معَ النواظر والسَّواد (2)

غناء لابراهيم الموصلى فى ذات الخال

ومما قاله إبراهيم وغيره فى ذات الخال وغَنَّى فيه :

٥

صوت

أذاتَ الخالِ أَقْصَيْتِ * مُحِبًّا بكُمُ صَبَّا

فلا أَنْسَى حياتىَ ما * عَبَدْتُ الدهرَ لى رَبّا

وقد قلت أنيلينى * فقالت أَقْرَقُ الذَّنْبَا

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوُسطى عن عمرو . ومنها :

١٠

صوت

أذاتَ الخال قد طالَ * بمن أسقمتِه الوجَعُ (3)

وليس إلى سِواكم فى الْ * لذى يلقَى له فَزَع

أما يمنعُك الإسلا * مُ من قتلى ولا الوَرَع

وما ينفكُّ لى فيكِ * هوًى تَغترُّه خُدَع

١٥

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى ، عن عمرو . ومنها :

٨٣/١٥

صوت

تَغلَّبُ يا هذا الكثيرُ العَبَثْ * بالله لمَّا قُلْتَ لى عن خُنُثْ

عن ظبيةٍ تميس فى مِشيتها * أحسنُ من أبصرتُه فى شَعَثْ

(1) كذا فى ف . وفى الأصول : « فى ودادى » . (2) كذا فى ف . وفى الأصول : من النواظر .

٢٠

(3) سقط من أول هذا الشعر مقدار صفحتين من ف .

فقال : قالت قل له أنت امرؤ * مُوَكَّل فيما ترى بالعَبَث
والله لولا خَصْــلَةٌ أرقبُهــا * لقَــلّ فى الدنيا لمــا بى لَبَــثِى

الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان : أحدهما ثقيل الأوّل ، عن أبى العنبس . والآخر هزج بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريب ثقيل أول آخَرُ . وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجا آخر بالوسطى .

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه :

أن ثعلبا هــذا ، كان مملوكا لإبراهيم ، فقال هــذه الأبيات فى خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلىّ ، وكانت مغنية محسنة ، وخاطب ثعلبا فيها مستخبرا له .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه :

أنه قال فى خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلى ، وخاطب فى شعره غلاما يقال له ثعلب ، وكانت خُنْث مغنية محسنة ، وكانت تعرف بذات الخال .

صــــوت

ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث * بالله إلا قلت لى عن خُنُث

وذكر الأبيات .

قال : وقال له أيضا :

صــــوت

أبدِ لذات الخال يا ثعلبُ * قولَ امرئ فى الحبّ لا يكذبُ
إنى أقول الحق (١) فاستيقِنى * كلّ امرئ فى حُبِّه يلعبُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، له فيه لحنان : رمَل وخفيف ثقيل ، عن ابن المكىّ .

ومنهــا :

(١) أ : الشعر .

صــوت

جزى الله خيرا من كلفت بحبه * وليس به إلا المموه من حبي

وقالوا : قلوب العاشقين رقيقة * فما بال ذات الخال قاسيةَ القلبِ؟

وقالوا لها : هـذا محبك معرضًا * فقالت: أرى إعراضه[1] أيسرَ الخطبِ

٥ فما هو إلا نظرة بتبسّم * فتنشب رجلاه ويسقطُ للجَنب

ومنها :

صــوت

إن لم يكن حب ذات الخال عنّانى * إذنْ فخُوِّلتُ فى مَسْك[2] ابن زيدان[3]

فإنّ هذى يمين ما حلفت بها * إلا على الحقّ فى سرى وإعلانى

١٠ الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالبنصر .

ومنها :

صــوت

لقد أخلو بذات الخا * ل والحراسُ قد هجَعُوا

فمن يُبْصِرْ أبا الخطّا * ب يطلُبُها ويتّبِع[4]

١٥ ألا لم تَرَ محزونا * تَسَنّم صبْرَهُ الجزع

وقارَعَنى ففزْت بها * وحازتها لى القُرَعُ

٨٤/١٥

غناه إبراهيم ، من رواية بَذْل عنه ، ولم تذكر طريقته .

---

(١) أ : ألا .

(٢) المسك : الجلد . يريد : مسخت وصيرت ابن زيدان . أى فى مسلاخه وشبهه .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من نسخة (ف) .

٢٠ (٤) جواب الشرط محذوف ، تقديره : ير منظرا مؤلما ، وفسره فى البيت الذى يليه ، بأنك لم تر محزونا غلبه الجزع مثله .

إبراهيم الموصلى يعد ذات الخال دنياه ودينه

قال علىّ بن محمد الهشامىّ : حدّثنى جدى ، يعنى ابن حمدون، قال : حدّثنى مخارق قال :

كنت عنـد إبراهيم الموصلىّ ومعى ابن زَيدان صاحب البرامكة، وإبراهيم يلاعبه بالشِّطْرَنْج ، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه : ما أفدت اليوم ؟ فقال : أعظم فائدة . سألنى رجل ما أفخم كلمة فى الفم ؟ فقلت : لا إله إلا الله . فقـال له أبوه إبراهيم : أخطأت . هـلا قلت : دُنْيا ودينا (١) . فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهـيم ، وقال له : يا زنديق ، أتكفر بحضرتى ؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضربا شديدا، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدّثه بخبره . قال : وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به ، فاستوهبه الفضلُ من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول :

صـــوت

إن لم يكن حب ذات الخال عنّانى * إذا فخوّلتُ فى مَسْك ابن زَيْدان
فإن هـذى يمين ما حلفت بها * إلا على الصـدق فى سرى وإعلانى

قال : وله فى هذين البيتين صنعة ، وهى هَزَج .

منها :

شعر إبراهيم الموصلى فى ذات الخال

صـــوت

مَنْ يرحمُ محزونًا (٢) * بذات الخال مَفتونَا
أبى فيها فما يسلو * وكل الناس يَسْلُونا

(١) يشير إبراهيم إلى قوله فى ذات الخال :
لا تلحنى إن ذات الـ * ـخال دنياى ودينى
(انظر صفحة ٣٥١ من هذا الجزء) . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : مجنونا .

فقد أودى به السُّقْمُ * وقد أصبح مجنونا
فإن دام على هــذا * ثَوَى فى اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل ، عن الهشامىّ .

ومنهـا :

٥

صـــوت

لذات الخال أَرَّقني * خيالٌ بات يَلْثِمني
بكى وجرى له دمع * لمـا بالقلب من حَزَن
فلا أنسـاه أو أَنسَى * إذا أُدْرِجْت فى كَفَنى

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشامىّ .

١٠ ومنهـا :

صـــوت

هل علمتَ اليومَ يا عا * صِمُ يا خــيرَ خَــدِينِ
أنّ ذات الخــال تأتيـ * ـنِي على رَغــمِ قَرِينِ
لا تلُمْني إنّ ذاتَ الـ * ـخالِ دنيـاىَ ودينى
١٥ وإلى حفصٍ خليــلى * ووَزيرى وأميــنى
بُحْت لا أكتمُه شيـ * ـئا من الداء الدفين (١)
إنّ بى من حب ذات الـ * ـخال شـيئا كالجنون

فيه لإبراهيم هزَج بالوسطى ، عن ابن المكىّ .

ومنهـا :

٢٠ (١) ف : السر .

صـــوت

تقـول ذات الخـالِ * لى : يا خَـلِيّ البـالِ
فقلتُ : حاشاكِ من أنْ * يكونَ حالُك حالِى
أعرَضْتِ عَنّى لمّـا * أوقعتِنِى فى الحبـال
إنّ الخلىّ هو الغا * فِـلُ الذى لا يُبـالى ٥

لإبراهيم من كتابه عن حَبَش فيه لحن . وذكر ابن المكىّ أنه رمل .

ومنهـا :

صـــوت

أما تعـلمُ ذات الخـا * لِ فوقَ الشـفة العليـا
بأنى لست أهـوى غيـ * ـرها شيئا من الدنيـا ١٠
وأنى عن جميع النـ * ـاس إلا عنهمُ أعمى
وأنى لو سُقِيت الدهـ * ـرَ من ريقك لا أَرْوَى

الشعر والغنـاء لإبراهيم ، رمل بالوسطى ، عن عمرو وابن المكىّ وغيرهما . وقـد روى « أما تعلم ياذا الخال » ، وهذا هو الصحيح .

ومنهـا : ١٥

صـــوت

ياليت شِعرىَ كيفَ ذاتُ الخالِ * أمْ أينَ تحسِبُ حالَهـا من حالِى
هـل أنْسَيَنْ منهـا وضَمَّتْ مرةً * رأسى إليهـا ثم قالت : مالى
ألِزَلّة أقصيتَنِى نفسى الفـدا * لك[(١)] أم أطعت مَقالةَ العـذال
والله ما استحسنتُ شيئا مُونقـا * ألتـذُّه إلّا خَطَرتِ ببـالى ٢٠

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : نفسى فداؤك .

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان : هزج بالأصابع كلها ، عن ابن المكيّ ، وثقيل أول بالوسطى ، عن حبش .

ومنها :

صــــوت

يا ليتَ شِعرِي والنساءُ غوادِرٌ * خُلُفُ العِداتِ وَفاؤُهن قليلُ

هل وصلُ ذاتِ الخال يوما عائدٌ * فتزولَ لَوْعاتي وحَـرٌّ غليلِي (١)

أم قـد تناستْ عهدَنا وأحالَهـا * عن ذاك مَلَك حال دون خليـلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ، ثقيـل أول بالبنصر ، عن إسحاق بن إبراهيم ، وابن المكيّ والهشاميّ .

انقضت أخبارها .

* * *

صــــوت

صوت لحنين في شعر لحجر بن عمرو

إن من غَرَّهُ النساءُ بشيء * بعـد هنـدٍ لجَاهلٌ مغـرورُ

حُـلْوة القـول واللسان ومُرٌّ * كل شيء أَجَنَّ منها الضميرُ

كل أنثى وإن بدا لك منها * آيةُ الحبِّ حبها خَيْتعورُ (٢)

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار . والغناء لحُنين ، ثانى ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ . وفيه لنُبَيه ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حَبَش . وفيه رمل له (٣) .

---

(١) في الشعر إقواء .

(٢) الخيتعور : الباطل ، أو الذي لا يدوم على حال .

(٣) إلى هنا ينتهي الـ السادس عشر من نسخة ف .

٨٦/١٥

نسب حُجر بن عمرو، والسبب الذى من أجله قال هذا الشعر

نســبه

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِـع[1]، واسمه عمرو بن ثور، وقيل : ابن معاوية بن ثور، وهو كندة بن عُفَير بن عدىّ بن الحارث بن مرّة بن ادد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان[2] .

القتال بينه وبين ابن الهبولة

أخبرنى بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة، قال : حدّثنى عمى، عن ابن الكلبىّ، عن أبيه، عن الشَّرْقى بن القُطامِىّ قال :

أقبـل تُبَّع أيام سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو، وهو آكل المرار، فلم يزل ملكا حتى نخرِف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَـوْن . ثم إن زياد بن الهَبولة بن عمـرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سـعد بن سَليح القضاعىّ، أغار عليـه وهو ملك فى ربيعة بن نزار، ومنزله بغَمر ذى كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين . فبلغ زيادا غزاتُه، فأقبل حتى أغار فى مملكة حُجْر، فأخذ مالا كثيرا، وسبى آمرأة حُجْر، وهى هند بنة ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل .

فلمـا بلغ حجرا وبكر بن وائل مغاره وما أخذ أقبلوا معـه، ومعه يومئذ أشرافُ بكر بن وائل، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شيبان، وصُلَيع بن عبد غَنْم بن ذهل ابن شيبان، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهـل، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبـة، وعامر

(١) مرتع : ضبطه فى التاج كمحسن ومحدث .

(٢) فى كتب التراجم اختلاف كثير فى أسماء آباء حجر، وفى ترتيبهم .

ابن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم ، قالا لحجر : إنا متعجِّلان إلى الرجل ، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا . فلقياه دون عين أُباغ ، فكلمه عوف بن محلم ، وقال : يا خير الفتيان ، اردد علىّ ما أخذته منى . فأعطاه إياه . وكلمه عمرو بن معاوية فى فحل إبله ، فقال : خذه ، فأخذه عمرو ، وكان قويا . فجعل الفحل ينزع إلى الإبل ، فاعتقله عمرو ، فصرعه . فقال له ابن الهبولة : أما والله يا بنى شيبان ، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم . فقال عمرو : أما والله لقد وهبت قليلا ، وشممت جليلا . ولقد جررت على نفسك شرا ، واتجدنى عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر ، فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْـر فى أصحـابه ، حتى إذا كان بمكان يقـال له « الحفير » بالبرّ ، وهو دون عين أُباغ ، بعث سَـدوسا وصُـلَيعا يتجسسان له الخـبر ، ويعلمان له علم العسـكر . فخـرجا حتى هجما على عسـكره ، وقـد أوقد نارا ، ونادى منـادٍ له : من جاء بحـزمة من حطب فـله فِدرة[1] من تمـر . وكان ابن الهَبولة قد أصاب فى عسكر حُجْـر تمـرا كثيرا ، فضَرب قبابه ، وأَجَّج ناره ، ونثر التمـر بين يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمـرا . فاحتطب سَدوس وصليع[2] ، ثم أتيـا به ابن الهَبولة ، فطرحاه بين يديه ، فناولهما من التمـر ، وجلسا قريبـا من القُبـة . فأما صليع[2] فقـال : هذه آية وعلم ما يريد[3] ، فانصرف إلى حُجْـر ، فأعلمه بعسكره ، وأراه التمـر . وأما سدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَلِىّ . فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر فى كل ناحية ، فضرب سَدُوس بيـده إلى جَليس له ، فقـال له : من أنت ؟ مخافة أن يستنكر .

(١) فدرة : قطعة . (٢) أ ، م : ضبيعة . (٣) أ ، م : على .

فقال : أنا فلان ابن فلان . قال : نعم . ودنا سَدوس من القُبة ، فكان حيث يسمع الكلام ، فدنا ابن الهبولة من هند آمرأة حجر ، فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنك الآن بحُجر لو علم بمكانى منك ؟ قالت : ظنى به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحُمْر ، وكأنى أنظر إليه فى فوارسَ من بنى شيبان يُذَمِّرهم ويذمِّرونه ، وهو شديد الكَلَب ، سريع الطلَب ، يزبد شدقاه كأنه بعير آكلُ مُرار . فسمّى حُجْر آكلَ المُرار يومئذ . قال : فرفع يده فلطمها . ثم قال : ما قلتِ هذا إلا من عُجْبك به ، وحبك له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمة قطُّ بغضى له ، ولا رأيت رجلا قطُّ أحزم منه نائما ومستيقظا ، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حىٌّ لا ينام ، وكان إذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءا لبنا ، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة ، وبسط الأخرى ، فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى العُسّ : شربه ثم مجه ، فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت ، فأستريح منه . فانتبه من نومه ، فقال : علىّ بالإناء ، فناولته ، فشمه فاضطربت يداه ، حتى سقط الإناء فأهريق . وذلك كله بأُذن سَدُوس . فلما نامت الأحراس خرج يسرى ليلته ، حتى صبّح حُجرا . فقال :

أتاك المرجفون برجم غيبٍ * على دَهَش وجئتك باليقين

فمن يَكُ قد أتاك بأمر لَبْس * فقد آتى بأمر مُستبين

ثم قصّ عليه جميع ما سمع .

فأسف ونادى فى الناس : الرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة ، وعرفه سَدوس ، فحمل عليه ،

فاعتنقه وصرعه فقتله . وبصر به عمرو بن معاوية، فشدّ عليه، فأخذ رأسه منه، وأخذ سدوس سَلَبه، وأخذ حُجْر هندا فربطها بين فرسين، ثم ركضا بها حتى قَطَّعاها قطعا .

هذه رواية ابن الكلبىّ .

وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهَبولة لما غنم عسكر حُجر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، وأم أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيبانى، وهى أم الحارث ابن حُجر وهند بنت حجر، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو، وله يقول بشر ابن أبى خازم :

فإلى ابن أم أناس أُعْمِل ناقتى * عمرٍو فتنجح حاجتى أم تُرْجَف

مَلِك إذا نزل الوفودُ ببابه * غَرَفوا غواربَ مُزْبد ما يُنزَف

قال : وبنتها هند هى التى تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخمىّ . قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعم، ويتصيد فى المسير، ولا يمرّ بواد إلا أقام به يوما أو يومين، حتى أتى على ضَرِيَّة، فوجدها مُعْشِبة، فأعجبته، فأقام بها أياما . وقالت له أم أُناس : إنى لأرى ذات وَدَك[1]، وسوء دَرَك، كأنى قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرار قد أخذ برقبته، فسمى حُجْر آكلَ المُرار بذلك . وذكر باقى القصة نحو ما مضى .

وقال فى خبر ابن الهَبولة : إن سَدوسا أسَرَه، وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده، فطعنه فقتله : فغضب سَدوس لذلك، وقال : قتلت أسيرى وديتُه دية

---

(١) الودك : الدسم من اللحم والشحم .

الملوك . وتحاكما إلى حُجْر، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك، وأعانهم
في ذلك بماله . وقال سَدُوس فى ذلك يعاتب بنى شيبان :

٨٨ / ١٥

ما بعدكم عيشٌ ولا مَعْكُمُ * عيشٌ لذى أَنَف ولا حَسَبِ
لولا بنو ذهل وجَمْعُ بنى * قيس وما جَمَّعت من نَشَبِ
ما سُمْتُمونى خُطَّة غَبَنًا * وعلى ضَرِيَّة رمتُمُ غَلَبى ٥

قال : وقد رُوِى أن حُجْرا ليس بآكل المُرار، وإنما أبوه الحارث آكل المُرار .
ورُوِى أيضا أنه إنما سُمى آكلَ المُرار لأن سَدوسا لما أتاه بخبر ابن الهَبولة
ومداعبته لهند، وأن رأسه كان فى حجرها، وحدّثه بقولها وقوله، فجعل يسمع
ذلك وهو يعبث بالمُرار، وهو نبت شديد المرارة، وكان جالسا فى موضع فيه منه
شىء كثير، فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَبا وهو يسمع من سدوس ولا يعلم ١٠
أنه يأكله من شدّة الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذ
بذلك، ووجد طعمه، فسمى يومئذ آكلَ المُرار .

قال ابن الكلبى : وقال حُجْر فى هند :

لمن النارُ أُوقِدَتْ بحَفِيرِ * لم تَنَمْ عند مُصْطلٍ مَقْرورِ (١)
أوقدتْها إحدى الهنود وقالت * أنت ذا مُوثَقٌ وَثاق الأسيرِ ١٥
إنّ من غَرّه النساء بشىء * بعدَ هند لجاهلٌ مغرورُ

وبعده باقى الأبيات المذكورة متقدّما وفيها الغناء .

(١) هذا البيت والذى بعده فيهما إقواء، لأنهما مخالفان للبيت الثالث وللأبيات التى تقدّمت فى الصوت .

⁂

شعر لمحمد بن صالح العلوى فيه غناء

صـــوت

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه * وتقرّقت فِرقا به أشجانُهُ

وبدا له من بعد ما اندمل الهوَى * برقٌ تألّقَ مَوْهنا لَمَعانُه

يبدو كحاشية الرداءِ ودونه * صعبُ الذّرَى متمنِّعٌ أركانه

فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه * والماء ما جادت به أجفانه

الشعر لمحمد بن صالح العَلَوِىّ . والغناء لرذاذ ، ويقال إنه لبنان . خفيف ثقيل .
وفيه ثقيل أوّل ، يقال إنه لأبى العنبس ، ويقال إنه للقاسم بن زُرزور . وفيه لعمرو الميدانى رمل طُنبورىّ ، وهو لحن مشهور .

أخبار محمد بن صالح العلوىّ ونسبه

نسبه ومنزلته الشعرية

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ ابن أبى طالب . ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازىّ ظريف ، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدّمين . وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين فى أيام المنصور ، أمهم جميعا هند بنت أبى عُبيدة .

٥

جدّه موسى بن عبد الله

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ قالا : حدّثنا الزُّبير بن بكار ؛ وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال : حدّثنا يحيى بن الحسن العَلوىّ قال : حدّثنى الزبير بن بكار :

أن هندا حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة . قال : ولا تحمل لستين إلا قرشية، ولا تحمل لخمسين إلا عربية . قال : وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة، وله تقول أمه هند :

١٠

٨٩ / ١٥

إنك أنْ تكونَ جَوْنا أنزعا * أجدرُ أن تضرَّهُمْ وتنفعا

وتسلكَ العيش طريقا مَهْيعا * فردا من الأصحاب أو مُشَيَّعا

وكان موسى آستتر بعد قتل أخويه زمانا، ثم ظَفِر به أبو جعفر، فضربه بالسوط، وحبسه مدّة، ثم عفا عنه وأطلقه .

١٥

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها .

خروجه على المتوكل وحبسه

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بيّض فى تلك السنة، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج، فأخذهم وقيّدهم، وقتل بعضهم، وأخرب سُوَيقة،

وهى منزل للحسنيين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه ، وقعر بها نخلا كثيرا ، وحرّق منازل لهم بها ، وأثر فيهم وفيها آثارا قبيحة ، وحُمل محمد بن صالح فيمن حُمل منهم إلى سُرَّ مَنْ رأى ، فحُبس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكل ، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنِّى فى شعره المذكور ، فطرب ، وسأل عن قائله فعرفه ، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه . ٥

وأخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثمة قال :

شعره فى الحبس

أنكر موسى بن عبدالله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى ، بعضَ ما ينكره العمومة على بنى أخيهم ، فى شىء من أمور السلطان ، وكان محمد ابن صالح قد خرج بسُوَيقة ، فصار أبو الساج إلى سُوَيقة ، فأسلمه عمه موسى و بنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان ، فطرح سلاحه ، ونزل إليه فقيده ، وحمله إلى سُرّ ١٠ من رأى ، فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين ، ثم أطلق ، وأقام بها إلى أن مات . وكان سبب موته أنه جُدِر ، فمات فى الجُدَرِىّ ، وهو الذى يقول فى الحبس :

طربَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه * وتشعبتْ شُعَبا به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى * بَرْق تألّق مَوْهِنا لَمَعانه
يبدو كحاشية الرِّداء ودونَهُ * صعْب الذُّرا متمنعٌ أركانه ١٥
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ * نظرا إليه ورده سَجّانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه * والماءُ ماسَحّت (١) به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح ورَدَّهُ * نحوَ العزاء عن الصِّبا إيقانه
وبدا له أن الذى قد ناله * ما كان قدّره له ديّانه
حتى اطمأن ضميرُه وكأنما * هتكَ العلائقَ عاملٌ (٢) وسنانه ٢٠

(١) أ ، م : جادت .
(٢) العامل من الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان .

يا قلبُ لا يذهبْ بحلمك باخلٌ * بالنَّيْـل باذلُ تافـه مَنّـانه
يَعِدُ القضاءَ وليس ينجز مَوْعداً * ويكونُ قبـل قضـائه لَيّـانه (١)
خَدِلُ الشَّوَى حَسَن القَوام مُخَصَّر (٢) * عـذبٌ لَمَاه طيِّب أردانه
وٱقنـع بما قسم الإله فأمرُه * ما لا يزال على الفـتى إتيـانه
والبؤس ماض ما يدوم كما مضى * عصرُ النعيم وزال عنك أوانه ٥

شجاعته

أخبرنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

كنت مع أبى عبد الله محمد بن صالح فى منزل بعض إخواننا ، فأقمنا إلى أن
ٱنتصف الليل ، وأنا أرى أنه يبيت ، فإذا هو قد قام ، فتقلد سيفه ، وخرج ،
فأشفقت عليه من خروجه فى ذلك الوقت ، وسألته المُقام والمبيت ، وأعلمته خوفى
عليه ، فٱلتفت إلىّ متبسما وقال : ١٠

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أَهَلْ * لِشيءٍ ولم تَقْرَع فؤادى القوارعُ

شعره فى الجوارى الباكيات

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل ، فرأى الجوارى يلطمن عنده ،
فأنشدنى لنفسه :

رأيت بسامَرّا صَبيحةَ جمعة * عيونا يروق الناظرين فتُورُها ١٥
تزور العِظام الباليات لدى الثَّرَى * تجاوزَ عن تلك العظام غَفُورُها
فلولا قضاءُ الله أن تَعْمُرَ الثرى * إلى أن يُنادَى يوم يُنْفَخُ صُورُها
لقلتُ عساها أن تَعيش وأنها * ستُنْشَر من جَرّا عيونٍ تزورها

---

(١) ليانه : إخلاف موعده ، وهو مصدر لواه بحقه : إذا ماطله .

(٢) أ ، م : القيام . ٢٠

أسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ * شُـؤون المـآقى ثم سَحّ مَطيرها
بوبْلٍ كأتْوام الجمان يُفيضُه * على ... ـرها أنفاسُها وزفيرها
فيا رحمـةً ماقـد رحمتِ بَواكيا * ثقالا تواليهـا لِطافا خُصـورها

تزوجه من أخت عيسى بن موسى الحـرى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال :
٥ حدّثنى إبراهيم بن المدبِّر قال :

جاءنى محمد بن صالح الحسَنىّ، فسألنى أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى ابن أبى خالد الحَـرِّىّ، أو أخته حَمـدونة . ففعلت ذلك، وصرت إلى عيسى، فسألتـه أن يجيبه، فأبى، وقال لى : لا أَكذبك، والله ما أرده لأنى لا أعرف أشرف وأشهر منـه لمن يصاهره، ولكنى أخاف المتوكل وولده بعده على نعمتى
١٠ ونفسى، فرجعت إليه، فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدّة، ثم عاودنى بعد ذلك، وسألنى معاودته، فعاودته ورَفقْت به، حتى أجاب، فزوّجه أختـه، فأنشدنى بعد ذلك محمد :

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردّنى * فلِلّهِ والى حُـرّة وعَليقُهـا
لقـد ردنى عيسى ويعـلم أننى * سليلُ بنات المصطفى وعريقها
١٥ وإن لنـا بعـد الولادة نبعـةً * نبىُّ الإله صِـنْوُها وشـقيقُها
فلمـا أبى بُخْـلا بهـا وتمنُّعـا * وصـيّرنى ذا خُلّةٍ لا يُطيقها
تداركنى المـرءُ الذى لم يزل له * من المكرُمات رحبُها وطليقُهـا
سَمِىُّ خليـل الله وابنُ وليـه * وحَمّالُ أعبـاء العُـلا وطريقُها
وزوَّجَها والمنُّ عنـدى لغـيره * فيابيعـةً وفّتْنىَ الربح سـوقُها
٢٠ ويا نعمةً لابن المـدبِّر عنـدنا * يجِـدّ على كر الزمان أنيقها

قال ابن مهرويه : قال لى إبراهيم بن المدبر :

شعره فى حمدونة زوجته

فلما نُقلت حمدونة إليه شُغف بها، وكانت امرأة جميلة عاقلة، فأنشدنى لنفسه فيها:

لعمرُ حمدونةَ إنّى بها * لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامْ
مجاوز للقدر فى حُبِّها * مباينٌ فيها لأهل الملامْ
مُطَّرِحٌ للعذل ماضٍ على * مخافة النفس وهول المَقام
مُشايعى قلب يخاف الخَنا * وصارمٌ يقطع صُمّ العظام
جَشَّمنى ذلك وَجْدى بها * وفضلُها بين النساء الوِسام
ممكورة الساقِ رُدَيْنيَّةٌ * مع الشَّوَى الخَدْلِ وحسن القوام
صامتة الحِجْل خَفوق الحَشَا * مائرة الساق ثقالُ القِيام
ساجية الطَّرْف نئوم الضُّحَى * منيرة الوجه كبَرْقِ الغَمام
زينها الله وما شانَها * وأُعطيت مُنيتَها من تَمام
تلك التى لولا غرامى بها * كنتُ بسامرّا قليلَ المُقام

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر، فى خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة.

قصته مع حمدونة زوجته

وحدثنى عمى عن أبى جعفر بن الدِّهقانة النديم قال: حدثنى إبراهيم ابن المدبّر قال:

جاءنى يوما محمد بن صالح الحَسَنى العلوىّ بعد أن أُطلق من الحبس، فقال لى: إنى أريد المُقام عندك اليوم على خلوة، لأبُثّك من أمرى شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا. فقلت: أفعل. فصرفت من كان بحضرتى، وخلوت معه، وأمرت برد دابّته، وأخذ ثيابه؛ فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا، قال لى: أُعلمك أنى خرجت فى سنة كذا وكذا ومعى أصحابى على القافلة الفُلانية، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزُها وأنيخ الجمال، إذ طلعت علىّ امرأة

من العَمَارِيَّة[1]، ما رأيت قط أحسن منها وجها، ولا أحلى منطقا، فقالت : يا فتى، إن رأيتَ أن تدعوَ لى بالشريف المتولِّى أمر هـذا الجيش، فقلت : وقد رأيته وسمع كلامك. فقالت : سألتك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم أنت هو؟ فقلت : نعم وحق الله وحق رسـوله إنى لهو. فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبى خالد الحَرْبى، ولأبى مَحَلٌّ من سُلْطانه، ولنا نِعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بهـا فسل عنها غيرى، ووالله لا استأثرت عنك بشىء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علىّ، وما أسألك إلا أن تصوننى وتسترنى، وهـذه ألف دينار معى لنفقتى، فخذها حلالا، وهذا حَلْىٌ علىّ من خمس مئة دينار، فخذه وضَمِّنِّى ما شئت بعده، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعنى شيئا أطلبه، وادفع عنى، واحمنى من أصحابك، ومن عار يلحقنى. فوقع قولها من قلبى موقعا عظيما، فقلت لهـا : قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فناديت فى أصحابى، فاجتمعوا، فناديت فيهم[2] : إنى قد أجرت هذه القافلة وأهلها، وخَفَرتها وحميتُها، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتى، فمن أخذ منها خيطا أو عِقالا فقد آذنته بحرب. فانصرفوا معى، وانصرفت.

فلما أُخذت وحُبست، بينا أنا ذات يوم فى مَحبِسى إذ جاءنى السَّجّان وقال لى : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حُظِر علىّ أن يدخل عليك أحد، إلا إنهما أعطتانى دُمْلُج ذَهب، وجعلتاه لى إن أوصلتهما إليك، وقد أذِنت لهما، وهمـا فى الدِّهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكرت فيمن يجيئنى فى هـذا البلد

(١) العمارية : لعله يريد المظلة، نسبة إلى العمارة، وهى رقعة مزينة تخاط فى المظلة علامة على الرياسة أو الوجاهة (انظر تاج العروس).
(٢) أ، م : فأعلمتهم.

وأنا به غريب ، لا أعرف أحدا ، ثم قلت : لعلهما من ولد أبى أو بعض نساء أهلى ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتى ، فلما رأتنى بكت لما رأت من تغير خَلْقى ، وثقل حديدى ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو؟ فقالت : إىْ والله ، إنه لهو هو ، ثم أقبلت علىّ فقالت : فِداك أبى وأمى ، والله لو استطعت أن أقيَك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت ، وكنتَ بذلك منى حقيقا ، ووالله لا تركتُ المعاونة لك ، والسعى فى حاجتك ، وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطِيب ، فاستعن بها على موضعك ، ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يصلحك ، حتى يفرّج الله عنك . ثم أخرجت إلىّ كسوة وطيبا ومائتى دينار ، وكان رسولها يأتينى فى كل يوم بطعام نظيف ، وتُواصِلُ[1] برَّها بالسَّجان ، فلا يمتنع من كل شىء أريده .

فمنّ الله بخلاصى ، ثم راسلتها فخطبتها ، فقالت : أما من جهتى فأنا لك متابعة مطيعة ، والأمر إلى أبى ، فأتيته ، فخطبتها إليه ، فردنى ، وقال : ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع فى الناس عنك فى أمرها ، وقد صيرتَها فضيحة ، فقمت من عنده منكّسا مستَحيا ، وقلت له فى ذلك :

رَمَوْنى وإياها بشنعاءَ هُمْ بها * أحقّ أدال الله منهم فعجَّلا

بأمرٍ تركناه وربِّ محمد * عِيانا فإما عِفَّةً أو تجمُّلا

فقلت له : إن عيسى صنيعة أخى ، وهو لى مطيع ، وأنا أكفيك أمره .

فلما كان من الغد لقيتُ عيسى فى منزله ، وقلت له : قد جئتك فى حاجة لى ؛ فقال : مَقْضيّة ، ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبه لأمرتنى بجئتك ، وكان أسرَّ إلىّ . فقلت له : قد جئتك خاطبا إليك ابنتك . فقال : هى لك أمَة ، وأنا لك عبد ،

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : يتواصل .

وقد أجبتك . فقلت : إنى خطبتها على من هو خير منى أبا وأما، وأشرف لك صهرا ومُتّصلا، محمد بن صالح العَلَوِىّ . فقال لى : ياسيدى، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنة، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة؟ قال : بلى، والحمد لله . قلت : فكأنها لم تقل ، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق به حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوجته، وسُقْت الصَّداق عنه .

مدحه إبراهيم ابن المدبر

قال أبو الفرج الأَصْبهانى :

وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة ، لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقة كانت بينهما ، فمن جيد ما قاله فيه قوله :

أتخبِر عنهم الدِّمَنُ الدُّثور * وقد يُنْبِى إذا سُئل الخبيرُ
وكيف تُبَيِّنُ الأنباءَ دارٌ * تعاقَبَها الشمائلُ والدَّبُورُ

يقول فيها فى مدحه :

فهلَّا فى الذى أولاكَ عُرْفا * تُسَدَّى من مقالك ما تُنِير(١)
ثناءً غيرَ مختلَق(٢) ومَدْحا * مع الركبان يُنْجِد أو يَغُور
أخ واساك فى كَلَب الليالى * وقد خَذَل الأقارب والنصيرُ
حفاظا حين أسلمك الموالى * وضَنّ(٣) بنفسه الرجلُ الصبور
فإن تشكر فقد أولى جميلا * وإن تكفر فإنك للكَفور
وما فى آل خاقانَ اعتصامٌ * إذا ما عُمِّم الخَطْبُ الكبير

(١) تسدّى : تقوى لحمة الثوب بالسدى . وتنير : تنسج النير ، وهو لحمة الثوب .
(٢) أ ، م : غير مخلوق . (٣) أ ، م : وصد .

لئـام الناس إثراء وفقـرا * وأعجزُهم إذا حمى القتـير
قُوَيْمٌ[1] لا يزوّجهم كريمٌ * ولا تُسْنَى لنسوتهم مُهـور

وإنما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيى قصّر به وتحامل عليه، وكان يقول ما يكره، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه، وكان فيه وفى ولده نَصْب[2] شديد.

ولمحمد بن صالح فى آل المدبّر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها فى هذا الكتاب.

صداقته لسعيد ابن حميد

أخبرنى على بن العباس بن أبى طلحة الكاتب قال: حدثنى عبد الله ابن طالب الكاتب قال:

كان محمد بن صالح العلوىّ حُلْو اللسان، ظريفا أديبا، فكان يسُرّ من رأى مخالطا لسَراة الناس، ووجوه أهل البلد، وكان لا يكاد يفارق سعيد ابن حُمَيد، وكانا يتقارضان الأشعار، ويتكاتبان بها. وفى سعيد يقول محمد ابن صالح العلوىّ:

أصاحبُ من صاحبتُ ثُمّتَ أَنْثَنِى * إليك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أبى القلبُ أن يُرْوَى بهم وهو حائمٌ * إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا
ولكن إذا جئناكَ لم نبغ مَشْرَبًا * سواك ورَوَّيْنا العظامَ الصّواديا[3]

قال عبد الله بن طالب[4]:

وكان بعض بنى هاشم دعاه، فمضى إليه، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأُخبِر بموضعه عند الهاشمىّ، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

(١) كذا فى أ، م، وفى بقية الأصول: لئام. (٢) نصب: كره لآل علىّ وعداوة.
(٣) أ، م: العواريا، ولعله يريد عظام آبائه الذين ماتوا، وكان بينهم وبين آباء الممدوح صلات مودّة. (٤) أ، م: ابن أبى طالب.

قال عبد الله : وشرب يوما هو وسعيد بن حُميد ، فسكر محمد بن صالح قبله ، فقام لينصرف ، والتفت إلى سعيد وقال له :

لعمرُك إننى لما افترقنا * أخو ضِنٍّ بخُلْصانى سعيدِ
تبقَّتـه المـدامُ وأزعجتنِى * إلى رحلى بتعجيل الورودِ

سعيد بن حميد يرثيه

٥ قال : وتوفى محمد بن صالح بسُرّ من رأى ، وكان يجْهَد فى أن يُؤْذن له فى الرجوع إلى الحجاز ، فلا يجاب إلى ذلك ، فقال سعيد يرثيه :

بأىّ يد أسطو على الدهر بعدما * أبان يدى عضْبُ الذُّبابِ بين قاضبُ
وهاضَ جَناحى حادثٌ جَلَّ خطبُه * وسُدَّت عن الصبرِ الجميل المذاهب
ومن عادة الأيام أنَّ صُروفها * إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانب
١٠ لعمرى لقـد غال التجلدَ أننـا * فقدناك فقد الغيث والعامُ جادب
فمـا أعرفُ الأيامَ إلا ذميمـةً * ولا الدهرَ إلا وهو بالثأرِ طالب
ولا لى من الإخوان إلا مكاشِرٌ * فوجه له راضٍ ووجه مُغاضِب
فقدتُ فتًى قد كان للأرض زِينة * كما زَيَّنَتْ وجهَ السماء الكواكب
لعمرى لئن كان الردَى بك فاتنِى * وكُلُّ امرئ يوما إلى الله ذاهب
١٥ لقد أخذتْ منى النوائبُ حكمَها * فمـا تركتْ حَقـا علىّ النـوائب
ولا تركتنى أرهبُ الدهرَ بعـدَه * لقـد كَلَّ عنى نابُه والمخالب
سقى جَدَثا أمسى الكريمُ ابنُ صالح * يَحُلّ به ، دانٍ[1] من المُـزن ساكب
إذا بَشَّر الرُّوادَ بالغيث برقُـه * مَرَتْه الصَّبا واستحلبته الجنـائب
فغـادر باقى الدهرِ تأثيرُ صَـوْبه * رَبيعا زَهَت منه الرُّبا والمذانب

٩٤ / ١٥

٢٠ (١) أ ، م : وان . يريد الثقيل من السحاب الذى لا يسرع فى سيره .

إطلاقه من الحبس

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال : حدّثنى المبرّد قال :

لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى تَوصل بُنان له ، بأن غَنَّى بين يدى المتوكل فى شعره :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * بـرق تألـق مَوْهِنا لمعانُهُ

فاستحسن المتوكل الشعرَ واللحن ، وسأل عن قائله ، فأخبر به ، وكُلِّم فى أمره ، وأحسنت الجماعة رِفْدَه ، وقام الفتح بأمره قياما تاما . فأمر بإطلاقه من حبسه ، على أن يكون عند الفتح وفى يده ، حتى يقيم كفيلا بنفسه ألّا يبرح من سُرَّ مَنْ رأى ، فأُطلِق ، وأَخَذ عليه الفتحُ الأيمان الموَثّقة ألا يبرَح من سُرَّ من رأى إلا بإذنه ، ثم أطلقه .

مدحه المتوكل والمنتصر

ولمحمد بن صالح فى المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة ، منها قوله فى المتوكل :

أَلِفَ التُّقَى ووفَى بنذر الناذرِ * وأبى الوقوفَ على المحل الداثرِ
ولقدْ تَهِيج له الديارُ صبابةً * حينا وتَكْلَف بالخليط السائرِ
فرأى الهداية أن أناب وأنهُ * قصرَ المديحَ على الإمام العاشرِ
يا بن الخلائف والذين بهَديهمْ * ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغادرِ
وابنَ الذين حَوَوْا تُراث محمد * دون الأقارب بالنصيب الوافرِ
نَطَقَ الكتابُ لكم بذاك مُصدِّقا * ومضتْ به سُنَنُ النبىّ الطاهرِ
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدَى * إذ نِلْتها وأنمتَ عين الساهرِ
أحييتَ سنة من مضى فتجدّدتْ * وأبنتَ بدعة ذى الضلال الخاسرِ
فافخرْ بنفسك أو بجدٍّ مُعْلِنا * أوْدعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ

ما للمكارم غيرُكُم من أولٍ * بعدَ النبيّ وما لها من آخرِ

إنى دعوتُك فاستجبتَ لدعوتى * والموتُ منى قِيدُ شِبْرِ الشابرِ

فانتشتَنى من قعْرِ مَوْرِدة الردَى * أمْنًا[1] ولم تسمع مقالةَ زاجرِ

وفككتَ أسرى والبلاءُ مُوَكّل * وجبرتَ كَسْرا ما له من جابرِ

٥ وعطفتَ بالرَّحِم التى ترجُو بها * قربَ المحلّ من المليك القادرِ

وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أُرَى * غَرَضًا ببابك للمُسلِم الفاقرِ[2]

أو أن أُضَيَّع بعدما أنقذتَنى * من رَيب مُهْلِكة وجَدٍّ عاثرِ

ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مكدِّر * ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكرِ

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدّثنا

١٠ الفضل بن سعيد بن أبى حَرْب قال: حدّثنى أبو عبد الله الجُهَنىّ قال:

هجاؤه أبا الساج

دخلت على محمد بن صالح الحَسَنى فى حبس المتوكل، فأنشدنى لنفسه يهجو أبا الساج:

ألم يحزنْك يا ذلفاءُ أنِّى * سكنتُ مساكن الأموات حيّا

وأنّ حمائلى ونجادَ سيفى * علونَ مُجَدَّعا أُشْرُوسَنِيّا[3]

١٥ فقصّرهنّ لما طُلْنَ حتى اس * توين عليه لا أمْسَى سَوِيّا

أما والراقصاتِ بذات عِرق * تريدُ البيت تحسبها قِسِيّا

لوَ آمكننى غداتئذٍ جِلادٌ * لألفونى به سَمْحا سَخِيّا

٩٥/١٥

(١) أ، م: منا.

(٢) المسلم الفاقر: الحادث الذى يكسر فقار الظهر.

٢٠ (٣) أبو الساج الأشروسنى: أحد قواد المعتمد العباسى. توفى سنة ٢٦٦.

وله فى الغزل والحنين

قال ابن عمار : وأنشدنى عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضا :

نظرتُ ودونى ماءُ دجلة مَوْهِنًا * بمطروفة الإنسان محسورة جِدّا
لتُؤْنِس لى نارا بإيلٍ[1] توقَّدَتْ * وتالله ما كلفتها نظرا قَصْدا
فلو أنها منها لقلتُ كأننى * أرى النار قد أمست تضىء لنا هِنْدا
تضىء لنا منها جَبينا ومَحْجِرا * ومبتسَما عَذْبا وذا غُدَر جَعْدا ٥

انقضت أخباره .

* * *

صوت

شعر لأبى دواد فيه غناء

ياعديًّا لقلبك المهتاج * أن عفا رسمُ منزلٍ بالنِّباج
غيرته الصَّبَا وكُلُّ مُلِثٍّ * دائم الودقِ ذى أهاضيبَ داج ١٠
وحملنا غلامَنا ثم قُلْنا * هاجرُ العِيس ليس منك بناج
فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْنٍ * جَوَّعته القُنّاص للدُّرّاج

الشعر لأبى دُواد الإيادىّ . والغناء لحنين ، ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة . وفيه لعَريب هزج . وفيه ثقيل أول ، ينسب إلى يزيد الحَذّاء ، وإلى أحمد النَّصيبىّ . ١٥

(١) معجم البلدان : « نارا بتثليث أوقدت » . وتثليث : موضع قرب مكة .

ذكر أخبار أبي دُواد الإيادىّ ونسبه

نسبه وشعره

هو فيما ذكر يعقوب بن السكّيت : جارِيَة بن الحجّاج . وكان الحجاج يلقب حُمران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذافة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ . وقال ابن حبيب هو جارِيَة بن الحجّاج أحد بنى بُرْد بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار . شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافا للخيل ، وأكثر أشعاره فى وصفها ، وله فى غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك ، إلا أن شعره فى وصف الفَرَس أكثر .

جار أبى دواد

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : حدثنى الهيثم بن عدىّ وابن الكلبىّ ، عن أبيه ، والشَّرْقىّ :

أن أبا دُواد الإيادىّ مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذُهل بن شيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبى دُواد وهو فى جواره فوداه ، فمدحه أبو دُواد ، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبى دُواد ، وفيه يقول قيس بن زهير :

أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوِى * إلى جار كجار أبى دُوادِ

هذه رواية هؤلاء ؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك .

أخبرنى ابن دريد قال : أخبرنى أبو حاتم ، عن أبى عبيدة قال : جاور أبو دُواد الإيادى كعب بن مامة الإيادى ، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها ، وفيه يقول طَرَفة يمدح عمرو بن هند :

* جارٌ كجار الحُذاقىّ الذى انتصفا [(١)] *

---

(١) الشطر الأول من البيت هو : « إنى كفانى من هم هممت به » . والحذاقى : هو أبو دواد ، نسبه إلى حذاق ، قبيلة من إياد .

وكان لأبى دواد ابن يقال له دُواد شاعر، وهو الذى يقول يرثى أباه :

فبات فينا وأمسى تحتَ هائرة (١) * ما بعد يومك من مُمْسًى و إصباح

لا يدفع السُّقْمَ إلا أنْ نُفَـدِّيَهُ * ولو ملكنا مسكنا السُّقْم بالراح

هو وزوجته وابنه

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى علىّ بن الصباح قال : أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال : ٥

تزوج أبو دُواد امرأة من قومه، فولدت له دُوادا ثم ماتت، ثم تزوج أخرى، فأولعت بدُواد، وأمرت أباه أن يجفوَه ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت : أخرجه عنى، فخرج به وقد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شىء، فألقى سوطه متعمدا، وقال : أىْ دُواد، انزل فناولنى سَوْطى . فنزل، فدفع بعيره وناداه : ١٠

أدوادُ إن الأمر أصبح ما ترى * فانظر دوادُ لأى أرض تَعْمِدُ ؟

فقال له دُواد : على رِسْلك . فوقف له فناداه :

وبأى ظنك أن أقيمَ ببلدةٍ * جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ (٢)

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابنى حقا، ثم رده إلى منزله، وطلق امرأته .

لوم زوجته إياه لسماحه بالمال

أخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبى عمرو الشيبانىّ قال : ١٥

كانت لأبى دُواد امرأة يقال لها أم حَبْتَر، وفيها يقول :

فى ثلاثين ذعْذَعتْها حقوقٌ (٣) * أصبحت أم حَبتر تشكونى

زعمت لى بأننى أُفسد الما * لَ وأُزويه (٤) عن قضاء ديونى

أَمَّلت أن أكون عبد المالى * وتَهَنَّا بنافع المال دُونى

(١) أ، م : هابرة، ولعلها محرفة عن هائرة بمعنى ساقطة، يريد الأرض أو الحفرة . وفى بقية الأصول : هادية . ولعلها محرفة عن هاوية . ٢٠
(٢) تلدد فى المكان : تلبث .
(٣) بددتها وفرقتها .
(٤) أنحيه .

وهى طويلة . قال : ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يعتبها[1]، فصرمته :

حاولتُ حين صَرَمْتِنِي * والمرءُ يعجز لا مَحَالهْ
والدهر يلعب بالفتى * والدهر أروغُ من ثُعالهْ[2]
والمرء يكسب مالَهُ * والشُّحُّ يُورِثُهُ الكَلالَهْ
والعبدُ يُقْرع بالعصا * والحُرُّ تكفيه المقاله[3]
والسُّكْت خير للفتى * فالحَيْنُ من بعض المقاله

وصاف الخيل من الشعراء

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال : حدثنى أبى عن إسحاق، عن الأصمعىّ قال : ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد : طُفَيل، وأبو دواد، والجَعدىّ . فأما أبو دُواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر[4] . وأما طُفيل فإنه كان يركبها وهو أغرَلُ[5] إلى أن كبِر . وأما الجعدىّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء[6]، فأخذ عنهم .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدثنى أبو حاتم، عن أبى عبيدة قال : ابو دُواد أوصف الناس للفرس فى الجاهلية والإسلام، و بعده طُفَيل الغنوىّ والنابغة الجعدىّ .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابىّ قال :

لم يصف أحد قَطّ الخيل إلا احتاج إلى أبى دُواد ، ولا وصف الحمر إلا احتاج إلى أوس بن حَجَر ، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عَبَدة ، ولا اعتذر أحد فى شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبيانى .

---

(١) لم يرضها . (٢) ثعالة : الثعلب . (٣) هامش أ عن نسخة أخرى : المحالة ، وهى الظن .
(٤) فى هامش أ : ليس من المناذرة من نسبه هكذا . فلعله محرف عن المنذر بن ماء السماء ، وسيصرح بذلك قريبا . (٥) الأغرل : الصبى الذى لم يختن . (٦) أ ، م : فإنه سمع من الشعراء .

رأى على وأبى الأسود فى أشعر الناس

أخبرنى عمى قال : حدّثنى جعفر بن محمد العاصمىّ قال : حدّثنا عُيينة ابن المنهال قال : حدّثنا شدّاد بن عبيد الله قال : حدّثنى عبيد الله بن الحرّ العَنَزىّ القاضى ، عن أبى عَرادة قال :

كان علىّ صلوات الله عليه يُفْطِر النـاسَ فى شهر رمضان ، فإذا فرغ من العَشاء تكلم ، فأقلّ وأوجز ، فأبلغ . فاختصم الناس ليـلة حتى ارتفعت أصواتهم فى أشعر الناس ، فقال علىّ عليه السلام لأبى الأسود الدُّؤَلى : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود ، وكان يتعصب لأبى دُواد الإيادىّ : أشعرهم الذى يقول :

ولقـد أغتدى يدافعُ رُكنى * أَحْوَذِىٌّ ذو مَيْعـة إضْريجُ[1]
مِخْلط مِزْيَل مِكَرٌّ مِفَـرّ * مِنْفَح مِطْرَح سَـبوحٌ خَرَوج[2]
سَلْهَبٌ شَرْجَبٌ كأنَّ رِماحا * حَمَلَتْـه وفى السَّراة دُمـوج[3]

وكان لأبى الأسود رأى فى أبى دُواد ، فأقبل علىّ على الناس ، فقال : كل شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد فى القول ، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قـد أصاب الذى أراد ، وأحسن فيـه ، وإن يكن

(١) الأحوذى هاهنا : من قولهم : حاذ الإبل يحوذها إذا ساقها ؛ ويريد به السرعة ، وفى وصف الرجال : الألمعى . والميعة : النشاط والسرعة . والإضريج : السريع . (٢) يقـال : رجل مخلط مزيل : كيس لطيف ، أو هو الجدل فى الخصومات ، يزول من حجة إلى حجة ، كذا فى اللسان والتـاج والنهاية لابن الأثير ، ولم يصفوا الخيـل بذلك ، ولكن يمكن أن يفهم منـه أن أبا دواد يصف الحصان بأنه يحسن الجرى ، ويأتى منه بفن بعد فن ، أو يحسن مباراة الخيل فى السير ، وينتقل فيه من حال إلى حال أحسن منها . والمنفح : الذى ينفح بقوائمه فى العـدو ، أى يرمى بحدّ حوافره ويدفع . والمطرح : السريع . والخروج : الذى يسبق الخيل ، فيخرج من بينها . (٣) السلهب والشرجب : الطويل . وفى هامش أ : يقـال : فرس سلهبة ، ولم أسمع بالمؤنث من الشرجب . والسراة : الظهر . والدموج : الإحكام والملاسة .

أحد فَضَلَهم، فالذى لم يقل رَغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر، فإنه كان أصحهم بادرة، وأجودهم نادرة.

إهمال الرواة لشعره

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعىّ قال: كانت الرواة لا تروى شعر أبى دواد ولا عدىّ بن زيد، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[1]، قال: وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل. ٥

أخبرنى الحسن بن علىّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى ابن أبى الهَيذام قال:

افتراق الإياديين ثلاث فرق

اسم أبى دواد الإيادى جُوَيرية بن الحجاج. وكانت له ناقة يقال لها الزَّبَّاء، فكانت بنو إياد يتبركون بها. فلما أصابتهم السنة تفرّقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت فى البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن هَمّام. ١٠

وكان السببُ فى ذلك أنهم أرسلوا الزَّبَّاء، وقالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها، فحيث توجهت فاتبعوها. وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة. فخرجت تخوض العرب، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن هَمّام، وكان أكرم الناس جوارا، وهو جار أبى دواد المضروب به المثل. فقال أبو دواد يمدح الحارث، ويذكر ناقته الزَّبَّاء: ١٥

فإلى ابن هَمّامِ بن مُرّة أصعدتْ * ظُعُن الخليط بهم فقلّ زِيالُها

أنعمتَ نِعمةَ ماجد ذى مِنّة * نُصِبتْ عليه من العُلا أظلالُها

وجعلتَنا دون الولىّ فأصبحت * زباءُ منقطعا إليك عِقالُها

(١) صرح ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ص ١٢١ بهذه المخالفة، فقال: لأن ألفاظهما ليست بنجدية. وكذلك قال المرزبانى فى الموشح. ٢٠

فخر إياد على العرب

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنا يحيى بن سعيد قال :

كانت إيادُ تفتخر على العرب ، تقول : منا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنا أشعر الناس أبو دواد ، ومنا أنكح الناس ابن أَلْغَزْ[1] .

٩٨/١٥

٥

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدّثنى القَحْذمىّ قال :

ابن ألغز

كان ابن أَلْغَزَ أَيِّرًا ، فكان إذا أنعظ احتكت الفِصال بأيره ، قال : وكان فى إياد امرأة تستصغر أيور الرجال ، فجامعها ابن أَلْغَزَ ، فقالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فضرب بيده على أليتها وقال : ما هذا ؟ فقالت وهى لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضرب العربُ بها المثل : « أُريها اسْتَها

١٠

وتريني القَمَر » . وأنشد ، وقد كان الحجاج مَنَع من لحوم البقر خوفا من قِلّة العِمارة فى السواد ، فقيل فيه :

شكونا إليه خرابَ السوادِ * فحرّم فينا لحُومَ البقَرْ

فكنا كمن قال مِنْ قبلنا * أُريها اسْتَها وتريني القَمَرْ

رأى الحطيئة فى أشعر الشعراء

١٥

أخبرنى عمى عن الكرانى ، عن العُمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ بنحوه .

وأخبرنى عمى قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرانى قال : حدّثنى العُمرىّ عن لقيط قال : أخبرنى التَّوزى عن أبى عبيدة قال :

كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة ، فتذاكروا الشعراء ، وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مُلَيكة ما تقول؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ، ولا أنشدتم أجود الشعر . فقالوا : فمن أشعر الناس ؟ فقال الذى يقول :

٢٠

(١) قال فى تاج العروس : واسمه سعد أو عروة بن أشيم ... أو الحارث . ولا خلاف فى اسم أبيه أشيم .

لا أعدُّ الإقتارَ عُدما ولكن * فقدُ من قد رُزِئتَه الإعدامُ

والشعر لأبى دواد الإيادىّ . قالوا : ثم من؟ قال : ثم عَبيد بن الأبرص . قالوا : ثم من ؟ قال : كفاكم والله بى إذا أخذتْنى رغبة أو رهبة ، ثم عَوَيْت فى إثر القوافى عُواء الفصيل فى إثر أُمّه .

أسرة أبى دواد تصف الثور

٥ أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ ، قال : حدّثنى عمى ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعىّ ، عن أبى عمرو بن العلاء ، عن هَجّاس بن مَرِير الإيادى ، عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهلية ، قال :

بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة ، وإياد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دواد :

١٠ وبَدَتْ له أُذُنٌ تو * جَّسُ حُرّةٌ وأحمُّ وارِدْ[1]

وقوائمٌ عُوجٌ لها * من خلفها زَمَعٌ زوائد[2]

كمقاعد الرُّقباء للـ * ـضُّرباء أيديهم نواهد[3]

ثم قال : أنفِذِى[4] يا أمّ دُواد ، فقالت :

وبَدَتْ له أُذُنٌ تَوَ * جَّسُ حُرّة وأَحَمُّ مُولَقْ

١٥ وقوائمٌ عُوجٌ لها * من خلفها زَمَعٌ مُعلَّقْ

كمقاعد الرقباء للـ * ـضُّرباء أيديهمْ تألَّقْ

(١) توجس : تسمع إلى الصوت الخفى ، وحرة : صادقة السمع مرهفة . والأحم : القرن الأسود . والوارد : الطويل .

(٢) الزمع : الشعر الذى فى مؤخرة رجلى الشاة أو الظبى ، واحدته زمعة .

(٣) الرقباء : الذين يمسكون عيونهم و ينظارون سمات القداح . والضرباء : الذين يضربون القداح .

٢٠ (٤) يريد بالإنفاذ هنا : محاكاة شعره مع تغيير الكلمة الأخيرة منه ، تمرينا على القول ، والتمرس بالقوافى .

ثم قال : أنفذْ يا دُواد . فقال :

وبدت له أذُن تَوَجَّس حرة وأحم مرهَف
وقوائم عوج لها * من خلفها زمع ملفَّفْ
كمقاعد الرقباء للضُّرباء أيديهمْ تَلَقَّفْ

ثم قال : أنفذى يا دُوادة . قالت : وما أقول مع من أخطأ . قالوا : ومن أين أخطأناه ؟ قالت : جعلتم له قرنا واحدا ، وله قرنان . قالوا : فقولى . قالت :

وبدت له أذن تَوَجَّسُ حرة وأَحَمّتانْ
وقوائم عُوج لها * من خلفها زَمَع ثَمانْ
كمقاعد الرقباء للضُّرباء أيديهمْ دَوانْ

نزاعه مع البهرانى وقتل أولاده

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرنى عمى عن العباس بن هشام، عن أبيه قال :

كان أبو دُواد الإيادىّ الشاعر جارا للمنذر بن ماء السماء . وإن أبا دواد نازع رجلا بالحيرة من بهْراء، يقال له رَقبة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رقبة : صالحنى وحالفنى . فقال أبو دواد : فمن أين تعيش إياد إذا، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت، وانصرفا على تلك الحال .

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة فى تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْرانى، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبى دواد، فخرجوا إلى الشام، فلَقُوهم فقتلوهم . وبعثوا برءوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرءوس صنع طعاما كثيرا، ثم أتى المنذر، فقال له : قد اصطنعت لك طعاما

كثيرا ، فأنا أحب أن تتغدّى عندى ؛ فأتاه المنذر وأبو دواد معه ، فبينا الجفان تُرفع وتوضع ، إذ جاءته جفنة عليها بعض(١) رءوس بنى أبى دُواد ، فوثب وقال : أبيت اللعن ! إنى جارك ، وقد ترى ماصُنع بى ، وكان رقبة أيضا جارا للمنذر . فوقع المنذر منهما فى سَوْءة ، وأمر برقبة فحبس ، وقال لأبى دواد : أما يرضيك توجيهى بكتيبتىّ الشهباء والدّوسر إليهم ؟ قال : بلى . قال : قد فعلت . فوجه إليهم بالكتيبتين .

فلما بلغ ذلك رَقَبة قال لامرأته : ويْحَك ! الحق بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها ، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها ، وصاحت وقالت : أنا النذيرُ العُرْيان . فأرسلتها مثلا . فعرف القوم ما تريد ، فصعدوا إلى أعالى الشأم ، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحدا ، فقال المنذر لأبى دُواد : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أدِى كل ابن لك بمئتى بعير ، فأمر له بستّ مِئةِ بعير ، فرضى بذلك ، فقال فيه قيس بن زهير العبسىّ :

سأفعل ما بدا لىَ ثم آوِى * إلى جارٍ كجار أبى دُواد

(١) كذا فى أ ، م . وفى بقية الأصول : أحد .

*
* *

صـــــوت

شعر لأبى تمام فيه غناء

وركْبٍ كأطراف الأسنة عرسوا * على مثلها والليـــلُ داج غياهبُهْ
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صـــدورُه * وليس عليهـــم أن تـتم عواقبُهْ

الشعر لأبى تمام الطائى . والغناء للقاسم بن زُرْزور، ثانى ثقيل بالوسطى فى مجرى البنصر . وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل .

أخبرنى : إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، وحدثنى المظفر بن كَيَغْلَغَ عن القاسم أيضا :

أن المكتفى بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة فى رقعة ، وهو أمير، وأمر أن يصنع فيهما لحن . فصنع القاسم هذا اللحن ، وصنع جعفر خفيف الثقيل .

أخبار أبى تمام ونسبه

نسبه ومذهبه الشعرى

١٠٠ / ١٥ أبو تمام حبيب بن أوس الطائى، من نفس طيِّء صليبة[1]. مولده ومنشؤه منبج، بقرية منها يقال لها جاسم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعانى، غوّاص على ما يُستصعب منها، ويعسُر متناوله على غيره. وله مذهب فى المطابق،
٥ هو كالسابق إليه جميعَ الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضلَ الإكثار فيه، والسلوكِ فى جميع طرقه. والسليمُ من شعره النادر شىء لا يتعلق به أحد. وله أشياءُ متوسطة، ورديئة رَذْلة جدا.

الخلاف حوله

وفى عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط، حتى يفضلَه على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون
١٠ القِحَة والمكابرة فى ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس، وطلَب معايبهم، سببا للترفُّع، وطلبا للرياسة. وليست إساءة من أساء فى القليل، وأحسن فى الكثير، مُسْقِطةً إحسانه، ولو كَثُرت إساءته أيضا ثم أحسن، لم يُقَل له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب
١٥ أخطأت، والتوسط فى كل شىء أجمل، والحق أحق أن يتَّبع.

منزلة شعره عنده

وقد رُوِى عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن فى جميعها، إلا فى بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم، ولكن مَثَل شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو فى نفسه، فهو
٢٠ وإن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، وإن هَوِى بقاء المتقدم، لم يهوَ موت المتأخر،

(١) أى ليس من مواليها ولا من حلفائها.

واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف به نفسه فى مدحه الواثق ، حيث يقول :

جاءتكَ من نظمِ اللسان قِلادةٌ * سِمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنونُ

أَحْذاكَها صَنَعُ اللسان يُمدُّه * جَفْرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِين

ويُسيءُ بالإحسان ظنًّا لا كمن * هو بابنــه وبشعره مفتون

فلو كان يسىء بالإساءة ظنا ولا يفتتن بشعره ، كا فى غِنًى عن الاعتذار له .

المفضلون له

وقد فضّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء ، من لا يَشُقّ الطاعنون عليه غُبارَه ، ولا يدركون — وإن جَدُّوا — آثاره ، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له فى جَيِّده نظيرًا ولا شكلا ؛ ولولا أن الرواة قد أكثروا فى الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه فى التسطير لرديئه ، والتنبيه على رَذْله ودنيئه ، لذكرت منه طَرَفا ، ولكن قد أتى من ذلك مالا مزيد عليه .

إعجاب ابن الزيات والصولى بشعره

أخبرنى عمى قال : حدثنى أبى قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول : أشعر الناس طُرًّا الذى يقول :

وما أبالى وخيرُ القولِ أصدقُهُ * حقنتَ لى ماء وجهى أوحَقَنتَ دمى

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس[(1)] ، وكان فى نفسى أعلم من محمد وآدب ، فجلست إليه ، وكنت أجرى عنده مَجْرى الوَلد ، فقلت له : من أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال : الذى يقول :

مطــر أبوك أبو أهلّة وائلٍ * ملأ البسيطةَ عُدّةً وعَديدَا

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضُّحَى * نُورًا ومن فَلَق الصباح عَمُودا

ورثوا الأُبوّة والحظوظَ فأصبحوا * جمعوا جُدودا فى العلا وجُدودا[(2)]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه .

(1) هو إبراهيم بن العباس الصولى من كبار الكتاب والشعراء فى صدر الدولة العباسية .

(2) جدود : جمع جد ، الأولى بمعنى الآباء ، والثانية بمعنى الحظوظ .

إعجاب عمارة ابن عقيل بشعره

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ، وعلى بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا محمد ابن يزيدَ النحوىّ قال :

قدم عُمارة[1] بن عَقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم : ها هُنا شاعر يزعم [قوم][2] أنه أشعر الناس طُرّا، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك. فقال : أنشدونى قوله. فأنشدوه :

غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوَى غَدِ * وعادَ قَتادًا عندها كلُّ مَرْقَدِ

وأنقذها من غَمْرة الموت أنّهُ * صُدودُ فراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ

فأجرَى لها الإشفاقُ دمعا مُوَرَّدا * من الدم يجرى فوق خدّ مُوَرَّدِ

هِىَ البدرُ يغنيها تودُّدُ وجهِها * إلى كلِّ من لاقتْ وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عُمارة : زدنا من هذا. فوصل نشيدَه وقال :

ولكننى لم أحْوِ وَفْرا مُجَمَّعا * ففزْتُ به إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ

ولم تُعْطِنى الأيام نوما مُسَكَّنا * أَلَذُّ به إلا بنوم مُشَرَّدِ

فقال عُمارة : لله دَرُّه! لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حَبَّب إلىّ الاغتراب، هِيه. فأنشده :

وطولُ مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ * لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدت محبّةً * إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ

فقال عُمارة : كَمَلَ والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعانى، واطراد المراد، واتساق[3] الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر الأموى المشهور (الخزانة ١ : ٣٦).

(٢) زيادة يقتضيها المعنى. (٣) أ، م : واستواء.

(١٦-٢٥)

تفضيل على بن الجهم له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال : حدثنى محمد بن موسى بن حَمّاد قال : سمعت على بن الجَهم يصف أبا تمّام ويفضله ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك هذا . فقال : إن لم يكن أخا بالنسب ، فإنه أخ بالأدب والمودة ؛ أما سمعت ما خاطبنى به حيث يقول :

إنْ يُكْدِ(١) مُطَّرَفُ الإخاء فإننا * نغدو ونسرى فى إخاء تالد
أو يختلف ماء الوِصال فماؤنا * عذبٌ تحدَّرَ من غمام واحد
أو يفترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننا * أدبٌ أقمناه مَقامَ الوالد

زعم دعبل أنه يسرق معانيه

أخبرنى محمد قال : حدثنى هارون بن عبد الله المهلبىّ قال :

كنا فى حَلْقة دِعْبل ، بجرى ذكر أبى تمام ، فقال دعبل : كان يتتبع معانىّ فيأخذُها . فقال له رجل فى مجلسه : وأى شىء من ذلك ، أعزك الله؟ قال : قولى :

وإن امرأً أسدَى إلىّ بشافع * إليه ويرجو الشكرَ منى لأحمقُ
شفيعَك فاشكر فى الحوائج إنه * يصونُك عن مكروهِها وهو يَخْلُق

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال :

فلقيتُ بين يديك(٢) حُلْوَ عطائه * ولقيتَ بين يدىَّ مُرَّ سُؤاله
وإذا امْرؤ أسدَى إليكَ(٣) صَنيعةً * من جاهه فكأنها من ماله

فقال له الرجل : أحسن والله . فقال : كذبتَ قَبّحكَ الله . فقال : والله لئن كان أخذه منك ، لقد أجاد ، فصار أولى به منك . وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلَغه . فغضب دِعبل وانصرف .

١٠٢ / ١٥

(١) أكدى : خاب ولم ينفع . والمطرف ، المستحدث . والتالد : القديم .
(٢) كذا فى أ ، م والديوان . وفى بقية الأصول : « يديه » . (٣) أ ، م : إلىّ .

تقديم الباهلي له

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدثني عبد الله ابن محمد بن جرير قال :

سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدم أبا تمام ويفضله ، ويقول : لو لم يقل إلا مَرْثيته التي أولها :

* أصمّ بك الناعي وإن كان أسمعا *

وقوله :

لو يقدرون مَشَوْا على وَجَناتهم * وجباههم فضلاً عن الأقدامِ

لكفتاه .

إعجاب عمارة بن عقيل بشعره

أخبرني عمي قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان عُمارة بن عَقيل عندنا يوما ، فسمع مؤدِّبا كان لولد أخي يُرَوِّيهم قصيدة أبي تمام :

* الحق أبلج والسيوف عَوارِ *

فلما بلغ إلى قوله :

سُودُ اللباسِ كأنما نَسَجَت لهم * أيدي السَّموم مَدارِعا(1) من قارِ

بَكَروا وأَسْرَوا في مُتون ضوامرٍ * قِيدَت لهم من مَرْبط النَّجارِ

لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سَفَرٍ من الأسفارِ

فقال عُمارة : لله دره ! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه ، كأنه موقوف عليه .

استحسان الصولي لشعره

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدثني أبو ذكوان قال : قال لي إبراهيم ابن العباس : ما اتكلتُ في مكاتبتي قَطُّ إلا على ما جاش به صدري ، وجلبه خاطري ، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام :

(1) المدارع : جمع مدرعة ، وهي جبة مشقوقة المقدم .

فإن باشرَ الإصحارَ فالبِيضُ والقنا * قِراهُ وأحواضُ المنايا مَناهِــلُه[1]
وإن يَبن حِيطانا عليــه فإنمـا * أولئــك عُقّــالاتُه لا مَعاقلُه[2]
وإلا فأعلمــه بأنك ساخــطٌ * عليه، فإن الخوف لاشـكّ قاتلُه

فأخذت هذا المعــنى فى بعض رسائلى، فقلت: «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم، وما كان يَعقلهم يعتقلهم». قال: ثم قال لى إبراهيم: إن أبا تمام اخترِم وما استمتع بخاطره، ولا نزحَ رَكِيَّ[3] فكره، حتى انقطع رِشاءُ[4] عمره.

أخبرنى محمــد قال: حدثنى أبو الحسين بن السخىّ قال: حدثنى الحســين ابن عبد الله قال:

سمعت عمى إبراهيم بن العباس يقول لأبى تمام، وقد أُنشد شعرا له فى المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رَعية لإحسانك.

تعصب دعبل عليــه

أخبرنى محمد قال: حدثنى هارون بن عبــد الله قال: قال لى محمــد بن جابر الأزدىّ، وكان يتعصب لأبى تمــام:

أنشدت دِعبلَ بن علىّ[5] شعرا لأبى تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسنُ من عافيةٍ بعــد يأس. فقلت: إنه لأبى تمــام. فقال: لعله سرقه!

أخبرنى محمد قال: حدثنى أحمد بن يزيد المهلبىّ عن أبيه قال:

الشعراء لا يتكسبون إلا بعد موته

ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر فى حياة أبى تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

(١) الإصحار: البروز إلى الصحراء. (٢) عقالاته: قيوده. (٣) الركى: البئر.
(٤) الرشاء: الحبل يستقى عليه من البئر. (٥) أ، م: فلانا، فى موضع: دعبل بن علىّ.

إعجاب شعراء خراسان به وأنفته

١٠٣ / ١٥

أخبرني عمي والحسن بن عليّ ومحمــد بن يحيى وجماعة من أصحابنا ، وأظن أيضا جَحظةَ حدّثنا به ، قالوا : حدّثنا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

لمــا قدِم أبو تمــام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليــه ، وسألوه أن ينشدهم ، فقال : قد وعدني الأمير أن أنشده غدا ، وستسمعوني[1] . فلمــا دخل على عبد الله أنشــــده :

هنّ عوادي يوسفٍ وصــواحبُهْ * فعزما فقِدما أدركَ السؤلَ طالبُهْ

فلما بلغ إلى قوله :

وقلقَل نأْيٌ من خراسان جأْشَهــا * فقلتُ اطمئنى أنضرُ الروض عازبُهْ

وركبٍ كأطراف الأسنة عَرَّسُوا * على مثلهــا والليل تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أن تتم صُدورُهُ * وليس عليهــم أن تــتم عواقبــه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العبــاس : ما يستحقّ مثلَ هــذا الشعر غيرُ الأمير أعزه الله! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ : لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها ، وقد جعلتها لهــذا الرجل جزاء عن قــوله للامير . فقــال له : بل نضعفها لك ، ونقوم له بمــا يجب له علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينــار ، فلقطها الغِلمان ، ولم يمسّ منهــا شيئا ، فوجَد عليه عبد الله وقال : يترفع عن برّي ، ويتهاون بما أكرمته به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك .

تقدير أبي دلف لشــعره

أخبرني أبو مســلم محمد بن بحر الكاتب وعمي ، عن الحزَنْبَل ، عن ســعيد ابن جابر الكرخيّ ، عن أبيه :

أنه حضر أبا دلَف القــاسمَ بن عيسى وعنــده أبو تمــام الطائيّ ، وقــد أنشده قصيدته :

(١) كذا في الأصول بحذف إحدى النونين .

على مثلها من أربعٍ وملاعبٍ * أُذيلَتْ مَصُونات الدموع السواكب

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطّدت من مَناقِبِ

فأنتم بذى قارٍ أمالتْ سُيوفُكم * عُروش الذين اسْتُرْهِنوا قوسَ حاجبِ

محاسنُ من مجدٍ متى تَقْرُنوا بها * محاسن أقوامٍ تكن كالمعايب ٥

فقال أبو دُلَف : يا معشرَ ربيعة ، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قطّ ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يَرْمون بها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قبلَها وأعاركم لُبْسها ، وسأنوب عنكم فى ثوابه . تمِّم القصيدة يا أبا تمام . فتممها ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : والله ما هى بإزاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا ، فشكره وقام ليقبِّل يده ، فحلف ألا يفعل ، ثم قال له : أنشدنى قولك فى محمد بن حُميد : ١٠

وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ * من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فوتُ الموت سهلا فردّه * إليه الحفاظ المُرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

فأثبت فى مستنقَع الموت رجلَه * وقال لها من تحت أَخْمَصِك الحشر

غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائه[(١)] * فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

كأن بنى نَبهانَ يوم مُصابِه * نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدر ١٥

يُعزَّوْن عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلَى * ويبكى عليه البأسُ والجود والشعر

فأنشده إياها ، فقال : والله لوددت أنها فىّ . فقال : بل أُفدِّى الأميرَ بنفسى وأهلى ، وأ كونُ المقدم ، فقال : إنه لم يمت من رُثى بهذا الشعر ، أو مثله .

١٠٤/١٥ مدحه الواثق وابن أبى دواد

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال : حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزىّ قال : حدّثنى إسحاق بن يحيى الكاتب قال : ٢٠

(١) أ ، م : حشو ردائه .

قال الواثق لأحمد بن أبى دُواد : بلغنى أنك أعطيت أبا تمام الطائىّ فى قصيدة مدحك بها ألف دينار . قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنى أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذى قاله للمعتصم :

فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنه * سَكَنٌ لوَحشتها ودارُ قَرارِ

٥ ولقد علمت بأن ذلك مِعْصمٌ * ما كنتَ تتركه بغير سوارِ

فابتسم وقال : إنه لحقيق بذلك .

مدحه خالد بن يزيد الشيبانى

أخبرنى على بن سليمان قال : حدّثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال :

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرْمينيَة ، فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلاف موفورة ، فإن ١٠ أردت الشخوص فاعجل ، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحباء والبِرّ . قال : بل أشخص . فودّعه ، ومضت أيام ، وركب خالد يتصيد ، فرآه تحت شجرة ، وبين يديه زُكْرة[(1)] فيها شَراب ، وغلام يغنيه بالطُّنبور . فقال : أبو تمام ؟ قال : خادمك وعبدك . قال : ما فعل المال ؟ فقال :

عَلَّمنى جودُكَ السماحَ فما * أبقيت شيئا لدىّ من صِلَتكْ

١٥ ما مرّ شهر حتى سمحتُ به * كأنّ لى قدرةً كقدرتك

تُنفق فى اليوم بالهبات وفى السـ * ـاعة ما تجتنيه فى سَنَتك

فلستُ أدرى من أين تنفق لو * لا أن ربى يُمِدّ فى هبتك

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

---

(١) زكرة : وعاء من جلد للخمر .

إعجاب الحسن بن رجاء بمدحه فيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولى قال : حدّثنا عون بن محمد الكِنْدىّ قال : حدّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرّقّىّ ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ؛ قال :

قَدِم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلا عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التى امتدحه بها ، فلما انتهى إلى قوله :

٥

أنا من عَرَفْتَ فإن عرتك جَهالة[1] * فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذّالِ

عادتْ له أيامه مُسْوَدّة * حتى توهم أنهن ليالِ

فقال الحسن : والله لا تَسْوَدُّ عليك بعد اليوم . فلما قال :

لا تنكرى عَطَل الكريم من الغِنى * فالسيل حربٌ للمكان العالى

وتنظّرى حَيْثَ الركابُ ينُصُّها[2] * محيي القريض إلى مميت المالِ

١٠

فقام الحسن بن رجاء على رجليه ، وقال : والله لا أتممتَها إلا وأنا قائم . فقام أبو تمام لقيامه ، وقال :

لما بلغنا ساحةَ الحسَن انقضَى * عنا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ

بسَطَ الرجاءَ لنا برغْم نوائبٍ * كَثُرتْ بهن مصارعُ الآمالِ

أغلَى عَذارى الشعرِ إنّ مُهورَها * عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ

١٥

تَرِدُ الظُّنونُ بنا[3] على تصديقها * ويُحَكِّم الآمالَ فى الأموالِ

أضحى سَمِىُّ أبيك فيك مصدَّقا * بأجلّ فائدةٍ وأيمن فالِ

ورأيتَنى فسألتَ نفسك سَيْبَها * لِى ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالِى

كالغيث ليس له — أُريد غمامه * أو لم يرد — بُدٌّ من التَّهطالِ

١٠٥/١٥

(١) أ ، م والديوان : أنا ذو ، وهى بمعنى « من » فى لغة طيئ .

(٢) الديوان : خبب الركاب ، والخبب : ضرب من السير السريع . و ينصها : يسوقها .

(٣) بنا : كذا فى الديوان . وفى الأصول : به .

٢٠

فتعانقا وجلسا . وقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوت هـذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحُور العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها .

قال محمـد بن سـعد : وأقام شهرين ، فأخذ على يدى عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به ؛ على بخل كان فى الحسن بن رجاء .

دعبل يعتذر عن تعصبه عليه

٥ أخبرنى الصُّولى قال : حدّثنى عون بن محمد قال :

شهدت دِعبِلا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبى تمـام ، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائىّ (١) ، فقال : يا أبا على ، اسمـع منى ما قاله ، فإن أنت رضيته فذاك ؛ وإلا وافقتك على ما تذمّه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألّا ترضاه ، ثم أنشده قوله :

أما إنه لـولا الخليطُ المـودِّعُ * ومغنًى عفا منـه مَصِيفٌ ومَرْبَعُ

١٠ فلما بلغ إلى قوله :

هو السيلُ إن واجهته انقدتَ طَوْعَه * وتقتادُه من جانبيه فيَتْبَـعُ

ولم أر نفعا عنـد من ليس ضائرا * ولم أر ضُرّا عنـد من ليس ينفع

مَعـادُ الورَى بعد الممـات وسيبُه * معادٌ لنـا قبل الممـاتِ ومَرجِع

فقال له دِعبل : لم ندفع فضلَ هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه ١٥ على من يتقدمه ، وتنسُبون إليه ما قد سرقه . فقال له عصابة : إحسانه صيرك له عائبا ، وعليه عاتبا .

مدحه محمـد بن الهيثم ومكافأته

أخبرنى الصُّولى قال : حدّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال :

حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمـام ينشده :

أسْـقَى ديارَهُمُ أجشُّ هَزيمُ * وغدتْ عليهـمْ نضرةٌ ونعـيمُ

٢٠ (١) الجرجرائى : نسبة إلى جرجرايا ، من بلاد العراق ، بين واسط وبغداد ، من الجانب الشرقى .

قال : فلما فرغ أمر له بألف دينار ، وخلع عليه خلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام :

قد كسانا من كسوة الصيف خرق (١) * مكتسٍ من مكارم ومساع
حلة سابرية ورداء (٢) * كسحا القيض أو رداء الشجاع
كالسراب الرقراق (٣) فى الحسن إلا * أنه ليس مثله فى الخداع
قصبيا (٤) تسترجف الريح متنيـ * ـه بأمر من الهبوب مطاع
رجفانا كأنه الدهر منه * كبد الضب أو حشا المرتاع
لازما ما يليه تحسبه جز * ءا من المتنتين (٥) والأضلاع
يطرد اليوم ذا الهجير ولو شـ * ـبه فى حره بيوم الوداع
خلعة من أغر أروع (٦) رحب الصـ * ـدر رحب الفؤاد رحب الذراع
سوف أكسوك ما يعفى (٧) عليها * من ثناء كالبرد برد الصناع
حسن هاتيك فى العيون وهذا * حسنه فى القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم : ومن لا يعطى على هذا ملكه ؟ والله لا بقى فى دارى ثوب إلا دفعته إلى أبى تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت .

(١) الخرق : السخى . (٢) السابرية من الثياب : الرقيقة النسج الجيدة . وسحا القيض : قشر البيض الذى تحت القشرة الصلبة . والشجاع : الحية . (٣) الرقراق : المتلألىء . (٤) القصبى من الثياب : الرقيق الناعم من الكتان . وفى س : «وقسيا» ، ولا يتفق مع وزن البيت إلا بتخفيف سينه ، ولا يلائم المعنى هنا إلا « القسى » بشد السين ، وهى ثياب من كتان مخلوط بحرير . وتسترجف : تحرك . (٥) المتنتان : ما يجاور العمود الفقرى من يمينه وشماله . (٦) الأغر : الأبيض الوجه ، يريد أنه سيد شريف كريم الفعال . والأروع : الشهم الذكى ، ومن يعجبك بحسنه أو شجاعته . (٧) يعفى عليها : يفوقها فى القيمة . والصناع : المرأة الحاذقة فى العمل بيديها ، يقال رجل صنع ، وامرأة صناع .

رضا عبد الله ابن طاهر عنه بعد عتبه

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنى عمى الفضل قال : لما شَخَص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلَد ، وقد كان عبد الله وجَد عليه ، وأبطأ بجائزته ، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسَسها بيده ، ترفعا عنها ، فأغضبه وقال : يحتقر فعلى ، ويترفع علىّ . فكان يبعث إليه بالشىء بعد الشىء كالقوت ، فقال أبو تمام :

لم يبق للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ * ولا قشيبٌ فَيُستكسَى ولا سَمَلُ[1]
عدلٌ من الدمع أن يُبْكَى المَصيفُ كما * يُبْكَى الشبابُ ، ويُبْكَى اللهوُ والغزَلُ
يُمْنَى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ * يُسْراه وهْى لنا من بعدها بَدَل

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثَل شاعرَ آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمام ، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ماعَتَب عليه من أجله ، وتضمّن له ما يُحبه . ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيها الأمير ، أتتهاون بمثل أبى تمّام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة فى قدره ، والإحسان فى شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقّى لذمه ، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السَّكَن ، وقد قصدك عاقدا بك أملَه ، مُعملا إليك ركابه ، متعبا فيك فكره وجسمه ، وفى ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقه ، حتى ينصرف راضيا ؛ ولو لم يأت بفائدة ، ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلا قوله :

تقولُ فى قُومَسٍ صحبى وقد أخذتْ * منا السُّرى وخُطا المَهْرِيّة القُودِ[2]
أمَطْلَعَ الشمس تبغى أن تؤمَّ بنا * فقلت كَلّا ولكن مَطْلِعَ الجودِ

(١) القشيب : الجديد من الثياب . والسمل : البالى .
(٢) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . والمهرية : الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن ، وكانت لا يعدل بها شىء فى سرعتها (عن تاج العروس) .

فقال له عبد الله : لقد نَبَّهْتَ فأحسنت ، وشفعت فلَطُفْت ، وعاتبت فأوْجَعت ، ولك ولأبى تمــام العُتْبى ، ادعه يا غلام . فدعاه ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفى دينــار ، وما يحمله من الظَّهْر ، وخلَع عليه خِلْعة تامة من ثيابه ، وأمر ببذْرقته (١) إلى إلى آخر عمله .

أبو تمام لاقط للمعانى

أخبرنى جَحْظة قال : حدّثنى ميمون بن هارون قال :

٥

مرَّ أبو تمــام بمخنَّث يقول لآخر : جئتك أمس فاحتجبت عــنى ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغــيم رُجِّى خيرُها . فتبينتُ فى وجه أبى تمــام أنه قد أخذ المعنى ، ليضمنه (٢) فى شعره ، فمــا لبثنا إلا أياما حتى أُنْشدت قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لى أملًا * إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتجِبُ

اتهامه بسرقة قصيدة

أخبرنى أبو العباس أحمــد بن وصيف ، وأبو عبــد الله أحمــد بن الحسن ابن محمد الأصبهانى ابن عمى ، قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال :

١٠

كنا عند دِعْبل أنا والقاسم (٣) ، فى ســنة خمس وثلاثين ومئتين ، بعــد قدومه من الشأم ، فذكرنا أبا تمــام ، فثلبه ، وقال : هو سَروق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف ، هات تلك المِخلاة . فجاء بمخلاة فيهــا دفاتر ، فجعل يمرُّها على يده ، حتى أخرج منهــا دفترا ، فقال : اقرءوا هذا . فنظرنا فيــه ، فإذا فيــه : قال مُكْنِف أبو سُلْمى ، من ولد زهير بن أبى سُلْمى ، وكان هجا ذُفافة العبْسىّ بأبيات منهــا :

١٥

إن الضُّراطَ به تصاعَدَ جَدُّكُم * فتعاظموا ضَرْطًا بنى القَعقاعِ

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك ، فرثاه فقال :

١٠٧ / ١٥

أبعدَ أبى العباس يُسْتعذَبُ الدهرُ (٤) * فمــا بعده للدهرِ حسنٌ ولا عذْرُ

ألا أيُّهــا الناعى ذُفافةَ والنــدَى * تَعَسْتَ وشَلَّت من أناملك العشر

٢٠

(١) بذرقته : حراسته . (٢) أ ، م : لينظمه . (٣) أ ، م : والعمراوى .
(٤) الدهر : كذا فى أ ، م . وفى بقية الأصول : الشعر .

أتنمى لنـا مِنْ قيس عيلانَ صخرة * تفلّق عنها من جبال العِدا الصخر
إذا ما أبو العبـاس خَلّى مكانه * فلا حَملتْ أنثى ولا نالهـا طُهْرُ
ولا أمطرتْ أرضًا سماءٌ ولا جرتْ * نجـــومٌ ولا لَذّتْ لشاربها الخمر
كأنّ بنى القعـــقاع يوم مُصابِه * نجـومُ سماءٍ خرّ من بينها البـــدر
تُوُفِّيَــتِ الآمالُ يومَ وفاتـِه * وأصبح فى شُغْلٍ عن السَّفْر السفْرُ ٥

ثم قال : سرق أبو تمـام أكثر هذه القصيدة ، فأدخلها فى قصيدته :

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ * وليس لعين لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

مداعبة بينه و بين الحسن بن وهب

أخبرنى الصُّــولىّ قال : حدّثنى محمــد بن موسى قال :

كان أبو تمـام يعشق غلاما خَزَريا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبى تمام ، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقتَ[1] ١٠ إلى الروم ، لنركُضَنَّ إلى الخَــزَر . فقال له الحسن : لو شئتَ حكّمتنا واحتكمت . فقال أبو تمـام : أنا أشبهك بداود عليه الســلام ، وأشبه نفسى بخصــمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه ، فأما وهو منثور فلا ، لأنه عارِض لا حقيقة له ، فقال أبو تمـام :

أبا علىٍّ لصرف الدهر والغِـــيَرِ[2] * وللحـــوادث والأيامِ والعِـــبَرِ ١٥
أذكرتنى أمر داود وكنتُ فتًى * مُصَرَّف القلب فى الأهواء والفِكر
أعندك الشمس لم يَحظ المغيبُ بها * وأنت مضطربُ الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى * جآذر الروم أعنقنا إلى الخَــزَر
إن القُطُوبَ[3] له منى محــلّ هوًى * يَحل منى محـــلّ السمع والبصر

---

٢٠ (١) الإعناق : السير الواسع الفسيح الممتد . (٢) الديوان (طبعة بيروت ١٨٨٩) .
(٣) الديوان : النفور .

وربّ أمنعَ منه جانبا وحِمًى * أمسى وتكّته(١) منّى على خطر
جرّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ * منه غيابتُها عن نيكة هَدَر(٢)
سبحانَ من سبّحتْه كلُّ جارحة * ما فيك من طَمَحان الأير والنظر(٣)
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُه * وأيرُه(٤) أبدا منه على سَفَر

سبب غضب دعبل منه

اخبرنى الصولىّ قال : حدّثنى عبد الله بن الحسين قال : حدّثنى وهب ابن سعيد قال : ٥

جاء دِعبِل إلى الحسن بن وهب فى حاجة بعد موت أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس : يا أبا علىّ ، أنت الذى تطعُن على من يقول :

شهِدتُ لقد أقوتْ مغانيكُم بعدِى * ومحّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ(٥)
وأنجدتم من بعد إتهام داركُمْ * فيا دمعُ أنجدنِى على ساكنِى نجدِ ١٠

فصاح دعبل : أحسن والله ! وجعل يردد « فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد » ثم قال : رحمه الله ! لو كان ترك لى شيئا من شعره لقلت إنه أشعر الناس .

١٠٨ / ١٥

رثاؤه ابنى عبد الله بن طاهر

أخبرنى علىّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن يزيد قال :

مات لعبدالله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده :

ما زالت الأيامُ تخبِر سائلا * أن سوفَ تفجعُ مُسْهِلا أو عاقلا(٦) ١٥
مجدٌ تأوّبَ(٧) طارقا حتى إذا * قلنا أقام الدهرَ أصبحَ راحلا

(١) فى الأصول : ولكنه . (٢) الديوان * عنه غيابته عن بخرة هدر * والهدر : الباطل .
(٣) الديوان * مافيك من طمحان العين بالنظر * (٤) الديوان * وفعله أبدا منه على سفر *
(٥) محت : درست وانمحت . والوشائع : جمع وشيعة ، وهى الطريقة فى البرد ، وهى تخطيط يخالف لونه سائر لون البرد . (٦) مسهلا : نازلا فى السهل . وعاقلا : ممتنعا فى الجبل العالى .
(٧) تأوب : ورد ليلا ، وهو بمعنى طرق . ٢٠

نجمان شاء الله ألا يطلُعا * إلا ارتدادَ الطرف حتى يأفلا
إن الفجيعة بالرياض نواضرا * لأجل منها بالرياض ذوابلا
لو يُنسبان[1] لكان هذا غاربا * للمكرُمات وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك المخايل منهما * لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونُهما حِجًى وصباهُما * حِلْما وتلك الأريحيةُ نائلا ٥
إن الهلالَ إذا رأيت نمُوَّه * أيقنتَ أنْ سيكونُ[2] بدرا كاملا

⁂

صوت

شعر لأبي الشيص فيه غناء

بالله قُلْ يا طَلَلُ * أهلُك ماذا فعلُوا
فإن قلبي حَذِرٌ * من أن يَبِينوا وَجِلُ ١٠

عروضه من الرجز . الشعر لأبي الشيص . والغناء لأحمد بن يحيي المكيّ .
خفيف ثقيل بالوسطى ، من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ومن رواية الهشاميّ .

(١) ينسبان : كذا في جميع الأصول . يريد أنهما لو نسبا أي أضيفا إلى شيء لأضيفا إلى المكرمات ، فكانا بمنزلة السنام والكتف من البعير . وفي الديوان : لو ينسآن ، أي يؤخر أجلهما .

(٢) الديوان : « أيقنت أن سيعود » . ١٥

أخبار أبى الشِّيص ونسبه

نسبه

آسمه محمد بن رَزين بن سليمان بن تميم بن نَهْشل — وقيل : آبن بُهْنِش — آبن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أَنَس بن خُزَيمة بن سَلامان بن أسلَمَ آبن أفصَى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيا ابن عامر بن ثعلبة .

منزلته الشعرية

وكان أبو الشيص لقبا غلب عليه . وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن عم[1] دِعبل بن علىّ بن رَزين لحًّا[2] . وكان أبو الشيص من شعراء عصره ، متوسِّط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبى نواس ، فخمل وآنقطع إلى عُقْبةَ آبن جعفر بن الأشعث الخُزاعىّ ، وكان أميرا على الرَّقّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلما يُرْوَى له فى غيره . وكان عُقْبة جوادا فأغناه عن غيره .

ابنه عبد الله

ولأبى الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضا ، صالح الشعر ، وكان منقطعا إلى محمد بن طالب ، فأخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .

مراثيه فى عينيه

وعَمِىَ أبو الشِّيص فى آخر عمره ، وله مَراثٍ فى عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .

تفضيل ابن المعتز له

وكان سريع الهاجس جدا ، فيما ذُكر عنه . فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامرىّ قال له : مَن أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعرُ من أبى الشيص فكذّبه . والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان . وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .

وهكذا ذكر آبن المعتز ، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر فى ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سَرَف شديد .

(١) فى الأصول : وهو عم دعبل . ولكن المترجمين لأبى الشيص أجمعوا على أنه ابن عمه .
(٢) يقال : هو ابن عمى لحا : أى لاصق النسب .

مدحه لعقبة بن جعفر ومكافأته

١٠٩ / ١٥

أخبرنى عمى قال : حدّثنا الكرانىّ عن النضر بن عمرو قال :

قال لى أبو الشيص : لما مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتى التى أوّلها :

لا تُنكرى صَدى ولا إعراضى * ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

أمر بأن تُعَدّ، وأعطانى لكل بيت ألف درهم .

هو والخريمى يرثيان بصريهما

٥ أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أنشدت إبراهيم بن المهدىّ[1] أبيات أبى يعقوب الخُرَيمىّ التى يرثى بها عينه ، يقول فيها :

إذا ما مات بعضُك فابك بعضًا * فإن البعض من بعض قريبُ

فأنشدنى لأبى الشيص يبكى عينيه :

١٠ يا نفسُ بكّى بأدمع هُتُنِ * ووا كِفٍ كالجُمان فى سَنَنِ

على دليلى وقائدى ويدى * ونور وجهى وسائس البدنِ

أبكى عليها بها مخافةَ أن * تقْرُنَنى والظلامَ فى قَرَنِ

يدعو على امرأة عيرته بالعمى

وقال أبو هِفّان : حدّثنى دِعبل أن امرأة لقيت أبا الشِّيص، فقالت : يا أبا الشيص : عَميتَ بعدِى . فقال : قَبَحَك الله ، دعوتنى باللقَب ، وعيَّرْتنى بالضَّرر !

مجلس شعرى

١٥ أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال : حدّثنى أبى ، عن أحمد بن عُبيد قال :

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبل فى مجلس ، فقالوا : ليُنشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا منى أخبرْكم بما يُنشدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد . قالوا : هات .

٢٠ فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت :

(١) أ ، م : إبراهيم بن المدبر .

إذا ما علَتْ منا ذؤابةُ واحدٍ * وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهلِ
هل العيشُ إلا أن تروح مع الصِّبا * وتغدو صريعَ الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لقِّب «صريع الغوانى» ، لقبه به الرشيد ، فقال له مسلم : صدقت .

ثم أقبل على أبى نواس فقال له : كأنى بك يا أبا علىّ قد أنشدت :

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هندِ * واشربْ على الوَرْد من حمراءَ كالوردِ
تسقيك من عينها خمرا ومن يدها * خمرا فما لك من سُكرين من بُدّ

فقال له : صدقت .

ثم أقبل على دعبل فقال له : وأنت يا أبا علىّ ، فكأنى بك تنشد قولك :

أين الشبابُ وأيّةً سلَكا * لا أينَ يُطلَب ضلّ بلْ هلَكا
لا تعجبى يا سَلْمَ من رجُل * ضحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

١٠

فقال : صدقت . ثم أقبل على أبى الشيص ، فقال له : وأنت يا أبا جعفر ، فكأنى بك وقد أنشدتَ قولك :

لا تنكرى صدِّى ولا إعراضى * ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

فقال له : لا . ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلته . قالوا : فأنشدنا ما بدا لك . فأنشدهم قوله :

١٥

صوت

وقف الهوى بى حيثُ أنتِ فليسَ لى * متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ
أجِدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً * حبا لذكرك فليلُمْنى اللُّوَّمُ
أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبُّهم * إذ كان حظى منكِ حظِّى منهمُ
وأهنتِنى فأهنتُ نفسىَ صاغرا[1] * ما مَنْ يهون عليكِ ممن يُكرَمُ[2]

٢٠

١١٠ / ١٥

لعَرِيب فى هذا الشعر لحنان : ثقيلٌ أوّل ، ورمل .

(١) أ ، م : عامدا . (٢) أ ، م : أكرم .

قال : فقال أبو نواس ، أحسنتَ والله وجودت ! وحياتِك لأسرقنّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشتهرُ ما أقول ، ويموت ما قلت . قال : فسرق قوله :

وقَفَ الهوى بى حيث أنتِ فليس لى * متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ

سَرَقا خَفِيا[1] ، فقال فى الخصيب :

فما جازه جودٌ ولا حل دُونَهُ * ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيتِ أبى نواس، وسقط بيت أبى الشيص .

مجلس شعرى آخر

نسخت من كتاب جدّى لأمى يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه :

حدّثنى الحسن بن سعد قال : حدّثنى رَزِين بن علىّ الخزاعىّ أخو دعبل قال : كنا عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومُسلم بن الوليد الأنصارىّ ، فقال أبو نواس لأبى الشيص : أنشدنى قصيدتَك المُخْزِية . قال : وما هى ؟ قال : الضادية . فما خطر بخَلَدى قولك :

* ليس المقلُّ عن الزمان براضِ *

إلا أخزيتُك[2] استحسانا لها ، فإنّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان ثقّفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عُدّى لىَ المُخْزِيات ، فتعدُّ قوله :

أغَرُّ أرْوَعُ يُستسقَى الغمام به * لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبَهها من شعره . قال أبو الشيص : لا أفعل . إنها ليست عندى عِقْدَ دُرٍّ مفصَّل ، ولكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده قوله :

وقَفَ الهوى بى حيثُ أنت فليسَ لى * متأخَّر عنه ولا متقدَّم

(١) كذا فى ا ، م . وفى بقية الأصول : خفيفا . (٢) أخزيتك : قلت : أخزاه الله ! .

الأبيات المذكورة . فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تحلّى عن سَلَبك ، أو تُدْرَك فى هَرَبك . قال : بل أقولُ فى طلبى[1] ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال : أرى نَمَطا خُسْرُوانيا مُذْهَبا حسنا ، فكيف تركت :

فى رِداء من الصَّفيح صَقيلٍ * وقميص من الحديد مُذالِ[2]

قال : تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما ، بما سبق فى ألحاظه ، وزُيِّن فى ناظره .

تفضيل أبى نواس له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنى أبى قال : حدّثنى من قال لأبى نُواس : من أشعر طبقات المُحْدَثين؟ قال : الذى يقول :

يطوفُ علينا بها أحْوَرٌ * يداه من الكأس مخضوبتان

والشعرُ لأبى الشِّيص .

شعره فى خادم أبى دلف العجلى

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال : حدّثنى الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانىّ قال : حدّثنى أبى قال :

دخل أبو الشيص على أبى دُلَف وهو يُلاعب خادما له بالشِّطْرَنج ، فقيل له : يا أبا الشيص ، سل هذا الخادم أن يَحُلّ أزرار قميصه . فقال أبو الشيص : الأمير أعزه الله أحق بمسألته . قال : قد سألته ، فزعم أنه يخاف العين على صدره . فقل فيه شيئا . فقال :

وشادنٍ كالبدر يجلو الدُّجَى * فى الفرقِ منه المسكُ مَذرورُ

يُحاذر العينَ على صَدْره * فالجيبُ منه الدهرَ مزرور

(١) يريد : أبيت أن يدركنى أحد فى طلبى لمعانى الشعر المبتكرات .

(٢) يظهر من السياق أن هذا البيت من قصيدة لأبى الشيص أعجب بها أبو نواس ، ولكن أبا الشيص لم يذكرها فى هذا المجلس .

فقال أبو دُلَف : وحياتى لقد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد والله أحسن كما قلت ، ولكنك أنت ما أحسنت ! فضحك ، وأمر له بخمسة آلاف أخرى .

عشقه لقينة بغدادي

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرَفِيّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِيّ قال : حدّثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال :

تعشق أبو الشيص محمدُ بن رَزين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها ، وينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلف مالا كثيرا . فلما كُفّ بصره ، وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مَولى الجارية تحجّبه ، ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص ، فشكا إلىّ وجدَه بالجارية ، واستخفاف مولاها به ، وسألنى المُضِىّ معه إليه ، فمضيت معه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذن ، فدخلت أنا وأبو الشيص ، فعاتبته فى أمره ، وعَظّمت عليه حقه ، وخوفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه ، فكان يأكل فى بيته ، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها ، فلما وقفنا على بابهم ، سمعنا صُراخا شديدا من الدار ، فقال لى : ما لها تصرخ ؟ أتراه قد مات لعنه الله ! فما زلنا ندق الباب حتى فُتِح لنا ، فإذا هو قد حَسَر كميه وبيده سوط ، وقال لنا : ادخلا ، فدخلنا ، وإنما حمله على الإذن لنا الفَرَق منى ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها ، فاستمعنا عليه واطلعنا ، فإذا هى مشدودة على سُلّم وهو يضربها أشد ضرب ، وهى تصرخ ، وهو يقول : وأنت أيضا فاسرقى الخبز . فاندفع أبو الشيص على المكان يقول فى ذلك :

يقولُ والسوط على كفّه * قد حَزّ فى جلدتها حَزّا
وهي على السُّلَّم مشدودة * «وأنتِ أيضا فاسرقى الخُبْزا»

قال : وجعل أبو الشيص يُردِّدهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادرا ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحب ، فإن شاع هذان البيتان فضحتَنى ، فقل له يقطع هذا ، ولا يُسمِعْهما ، وله على يومان فى الجمعة . ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات .

شعره فى جارية سوداء عشقها

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدثنى أحمد بن عبد الرحمن الكاتب ، عن أبيه قال :

كانت لأبى الشِّيص جارية سوداء اسمها تِبْر ، وكان يتعشقها ، وفيها يقول :

لم تُنْصِفى يا سَمِيّة الذَّهَبِ * تَتلفُ نفسى وأنتِ فى لَعِبِ
يابنة عم المِسكِ الذكى ومَن * لولاك لم يُتخَذْ ولم يَطِبِ
ناسَبَكِ المسكُ فى السواد وفى الـ * ـرِّيح فأكرم بذاك من نسبِ

شعره فى محمد بن إسحاق لما تغير له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا علىّ بن محمد النَّوفلىّ ، عن عمه قال :

كان أبو الشِّيص صديقا لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمىّ ، وهما حينئذ مُملقان ، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، واستغنى ، فجفا أبا الشيص ، وتغير له ، فكتب إليه :

الحمدُ لله رب العالمينَ على * قُربى وبعدِكَ منى يابن إسحاقِ
ياليتَ شعرى متى تُجْدِى علىّ وقد * أصبحتَ رب دنانير وأوْراقِ
تُجْدِى علىَّ إذا ما قيلَ مَنْ راقٍ * والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ
يومٌ لعمرى تَهُمُّ الناسَ أنفسُهُمْ * وليس ينفع فيه رُقيةُ الراقِى

حدثنى محمد[1] بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنا أبو العباس بن الفرات قال :

وصفه

كنت أسيرُ مع عبيدالله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل ، وخلفه غلام له ، وشيخ على بغل له هَرِم ، وما فيهم إلا نِضْو ، فأقبل علىّ عبيد الله ابن سليمان فقال : كأنهم والله صِفة أبى الشيص حيث يقول :

٥ أكَلَ الوجيفُ[2] لحومَها ولحومَهم * فأتَوكَ أنقاضا على أنقاضِ

مقتله

وقال عبد الله بن المعتز : حدثنى أبو مالك عبد الله قال : قال لى عبد الله ابن الأعمش :

كان أبو الشِّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعىّ يشرب ، فلما ثَمِل نام عنده ، ثم انتبه فى بعض الليل ، فذهب يَدِبّ إلى خادم له ، فوجأه بسكين ،

١٠ فقال له : ويحك! قتلتنى والله! وما أحب والله أن أفتضح أنى قُتِلت فى مثل هذا ، ولا تُفْضَح أنت بى ، ولكن خذ دَسْتِيجة[3] فاكسِرْها ولوثها بدمى ، واجعل زجاجها فى الجُرْح ، فإذا سئِلت عن خبرى ، فقل : إنى سقطت فى سكرى على الدستيجة فانكسرت ، فقتلتنى ، ومات من ساعته . ففعل الخادم ما أمره به ، ودُفن أبو الشيص ، وجزع عُقْبة عليه جزعا شديدا . فلما كان بعد أيام سكر الخادم ، فصدق عقبةَ عن

١٥ خبره ، وأنه هو قتله ، فلم يُلْبِثه أن قام إليه بسيفه ، فلم يزل يضرِبه حتى قتله .

* * *

صـــوت

مدح الكميت مخلد ابن يزيد بن المهلب وفيه غناء

هَلّا سألتَ معالمَ الأطلالِ * والرسمَ بعد تقادم الأحوالِ

دِمَنًا تَهيج رسومُها بعد البلى * طَرَبا وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ

٢٠ (١) أ : على بن العباس . (٢) الوجيف : السير السريع .

(٣) الدستيجة : الإناء الكبير من الزجاج .

يمشين مشى قطا البطاح تأوُّدا * قُبَّ البطون رواجح الأكفالِ
من كل آنسة الحديث حَيِيّةٍ * ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ
أقصَى مذاهبِها إذا لاقيتَها * فى الشهر بين أسِرَّةٍ وحِجالِ
وتكونُ رِيقتُها إذا نبهتَها * كالشهدِ أو كسُلافة الجِريالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجريال فيما قيل : اسم للون الخمر . وقيل : بل هو من أسمائها . والدليل على أنه لونها قول الأعشى :

وسُلافةٍ مما تعتق بابل * كدمِ الذبيح سلبتُها جِرْيالَهَا

قال سِماك بن حَرْب : حدثنى يُحَنَّسُ بن مَتَّى الحيرىّ راوية الأعشى : أنه سأله عن هذا البيت فقال : سلبتها لونها : شربتها حمراء ، وبُلْتُها بيضاء .

الشعر فى هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل أولَ بالبنصر ، عن عمرو بن بانة . وذكر المكّى أنه لابن مُحرز . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل .

وهذا الشعر من قصيدة للكميت ، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب ، يقول فيها :

قادَ الجيوشَ لخمسَ عَشْرةَ حِجَّةً * ولِداتُهُ عن ذاك فى أشغالِ
قَعَدتْ بهم هِماتُهم وسَمَتْ به * هممُ الملوك وسَوْرَة الأبطالِ
فكأنما عاشَ المهلَّبُ بينهمْ * بأغرَّ قاسَ مثالَه بمثالِ
فى كفِّه قَصَبات كلِّ مُقَلَّدٍ * يومَ الرِّهان وفوزُ كلِّ نِصالِ
ومتَى أزِنْك بمعشر وأَزِنْهمُ * بك أُلْفِ وزنك أرجحَ الأثقالِ

تمّ الجزء السادس عشر من كتاب الأغانى

فهرس

الجزء السادس عشر من كتاب الأغانى

التراجم التى فى هذا الجزء

فهــــرس الموضوعات

صفحة

أخبار شارية

صفحة

أخبار الحسين بن مطير ونسبه

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

أخبار مقتل ربيعة بن مكدّم ونسبه

أخبار المغـــيرة بن شعبة ونسبه

صفحة

أخبار محمد بن بشير الخارجى ونسبه

صفحة

ذكر سديف وأخباره

أخبار الحسين بن على ونسبه

أخبار الفضل بن العباس اللهبى ونسبه

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار أبيه خالد

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

أخبار كعب بن مالك الأنصارى ونسبه

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

أخبار الرقاشى ونسبه

أخبار أبى العباس الأعمى

صفحة

أخبار أبى حية النميرى

أخبار أحمد بن يحيى المكى

صفحة

أخبار أبى الشيص ونسبه

صفحة

فهـــرس الشـــعراء

(ب)

(ج)

(ح)

(هـ)

(و)

(ى)

فهــــرس رجال السـند

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

فهـــرس المغنين

(ا)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

فهـرس رواة الألحان

(غ)

(م)

(هـ)

(ى)

فهـرس الأعـــلام

(د)

(ذ)

(ز)

(ش)

(ص)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر

(ت)

(ث)

(ى)

فهـرس أسماء الأماكن

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

فهـرس أسمـاء الكتب

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ن)

(و)

فهـــرس القـــوافى

(ا)

صدر البيت	قافيتــه	بحــره	ص	س
لعلك	بداء	طويل	١٢٣	٩
ألا يا بلج	كفاء	وافــر	٣٣٦	١٢
ألا من	الثكلى	وافر مجزوء	٢٦٥	١١
مستضحك	الأفذاء	كامــل	٢٥	١٤
إنى	اللواء	رجــز	٢٨٩	١٤
رب ليل	الحشا	رمــل	١٩٢	١٢
بالله	«	سريع	١٥	١٧
تفو تفو	تنى	«	٢٦٥	١
جئن	ولين الملا	«	٣٤٦	٤
لعن الله	فيابى	خفيف	٣١٤	٥

(ب)

صدر البيت	قافيتــه	بحــره	ص	س
بأى يد	قاضب	طويــل	٣٦٩	٧
أيا بعــل	الحرب	«	٣٤٤	٧
ألا ليت	الشعب	«	٣٤٤	١٣
أرانى	فأغلب	«	١٣٠	٧
ألا	وزينب	«	٢٧٦	١٥
إليك	خبوب	«	٢٢	١٣
فإن تسأليني	صليب	«	٢٧٠	١٤
أتيتك	مشعب	«	١٨٢	٤
هن عوادى	طالبه	«	٣٨٩	٦
وركب	غياهبه	«	٣٨٢	٣
لئن عانس	شبابها	«	١٢٦	١٢
على مثلها	السواكب	طــويل	٣٩٠	١
فحسب	الذوائب	«	٢٧٨	١٨
لعمر أبيها	أبى كعب	«	٢٣٤	١٨، ٢٤٠ : ٣
أبى لى	ذوو الشغب	«	٢٣٨	٢٠
وأرعى	على الصحب	«	٢٣٨	١٥
جزى الله	من حبى	«	٣٤٩	٢
أنحسب	بها حباً	«	٣٤٢	١٠
ألست ترى	أركبا	«	٣٢١	٧، ٣٢٣ : ٤
إذا ذكرت	سكبا	«	٤٨	١٩
أتيتك	والرغائبا	«	١٨	١٣
لبس الحجاب	تحتجب	بسيط	٣٩٦	٩
ماذا أردت	الحطب	«	١٧٧	٧
مادا تحاول	الحطب	«	١٨٤	١١
لئن أقمت	رجبا	«	١٠٤	٨
أأطلب الحسن	والحسبا	«	١١١	٥
لعمرك	والرباب	وافــر	١٣٦	١٢، ١٣٩ : ٦
إدا ما مات	قريب	«	٤٠١	٨
أما ما أقول	تعيب	«	١٢٦	٤
ألا فد	مريب	«	١١٦	١
لعن	المغرب	كامــل	٢٠٥	١٧
همت سخينة	الغلاب	«	٢٣١	١٦
نفرت قلوصى	وهوب	«	٥٥	٣، ٥٨ : ١٢، ٦٤ : ١١
أذات الخال	بكم صبا	هزج	٣٤٧	٦

(ر)

(ن)

فهـرس انصاف الأبيات

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــــرس الأمثـال

أنواع الفهارس

بيان

روجع هذا الجزء على النسخ التى أعطيت لها الرموز ا ، ب ، حـ ، د ، م ؛ وقد سبق وصفها فى الجزء الأول . كما روجع على ما صوّرته الدار أخيرا من أصول هـذا الكتاب من مكتبة فيض الله بإستانبول ؛ وهى المصوّرات التى أعطى لهـا رمز (ف) والتى وصفت فى الجـزء الثانى عشر ، وما صـوّرته أيضا من مكتبـة ميونيخ بألمـانيا ، والتى أعطى لها رمز (مب) ، وسبق وصفها فى الجزء الرابع عشر .

وقـد قام بعمل الفهـارس المنوّعة الخاصة بهذا الجـزء الأستاذ محمـــد عبد العظيم بدر ، جريا على منهج الدار فيما اتبعتــه من فهارس الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

الخطأ والصواب

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية ننبه إليها :

خطأ	صواب	ص	س
رائحتها	رائحتها	٨	١١
يخالفكَ	يخالفكِ	١١	١٢
مَنْع	مَنَع	١٢	٢
المضيَّحُ	المضيَّح	١٨	٥
نسخته	نَسَخَه	٢٧	١
بن	ابن	٢٨	٣
ابن	بن	٢٩	١٩
بن	ابن	٤٧	٤
يرى	يرثى	٥٩	١٢
فثبَّط	فتبِّط	٦٦	٥
آطردك	أطردك	٧٠	٨
مِن	(زائدة)	٨٣	١٣
٢٠ ، ٢٥	١٥ ، ٢٠	١١١	بجانبها
شرف	سرف	١١٤	٨
مبتلَّة	مبتَّلة	١١٩	٢
أَرَى	أُرِى	١٢٩	١١

خطأ	صواب	ص	س
فيخل	فيخلى	١٣١	٧
أثبنناه	أثبتنا	١٣٤	٨
ألأعمش	الأعمش	١٣٨	٢
الله	(زائدة)	١٤١	١٢
بن	ابن	١٤٦	١٥
صعصة	صعصعة	١٤٦	١٦
باللؤلؤ	باللؤلؤ	١٥٢	٣
كتابة	كناية	١٥٥	٢٠
تراتى	ترانى	١٥٧	١٨
قريس	قريش	١٥٨	٧
بذل	بدل	١٥٩	١٩
فقال : لها	فقال لها :	١٦٠	١٠
الالاف	الآلاف	١٦٢	١٥
النَّقرس	النِّقرس	١٦٧	٤
ققالت	فقالت	١٧٠	١٧
بظَر	بظْر	١٧٨	٤
ابنه	أبيه	١٩٤	١
ابنه	أبيه	١٩٥	عنوان
لِقُرةٍ	لِقرةٍ	١٩٩	١٥
والمطرز	والمطرزىّ	٢٠٢	١٧

خطأ	صـــواب	ص	س
رفعــه	ورفعــه	٢٠٣	٥
وقُطِع	وقَطِع	٢٠٨	٢٠
ويهزِلا	ويهزُلا	٢٢٠	٦
وكلّ	وكُلْ	٢٢٠	٧
شعرهم	شعرا	٢٣٢	عنوان جانبي
مالك بن كعب	مالك بن أبي كعب	١٣٨	١
مَوَلى	مَولى	١٤٥	٢
سِّميك	سَمِّيك	٢٥٦	٢١
ابن	بن	٢٦٧	٢١
بنى	بَنِيّ	٢٧١	١٢، ١٣، ١٤
تصدّقه	تصدّق	٢٧٨	١٤
خِزاية	خَزاية	٣٠٣	١٠

بعون الله و جميل توفيقه قد تم طبع " الجزء السادس عشر من كتاب الأغانى "
بمطبعة دار الكتب فى شهر صفر سنة ١٣٨١ ه (يولية سنة ١٩٦١ م) م٦

محمد حمدى على جنيدى — مساعد رئيس المطبعة

إحسان عثمان — رئيس المطبعة بدار الكتب

(مطبعة دار الكتب ٢٠/١٩٥٦/٢٠٠٠)

